منزل الخالة لورين

ابتسام الناصري

ساحر الكتب

جميع الحقوق محفوظة

بوك لاند للنشر والتوزيع
BOOKLAND
PUBLISHING AND DISTRIBUTION

booklandkw
bookland.kw
www.booklandkw.com

عام 1897

استيقظت أليونور من نومها في منتصف الليل بعد أن سمعت بكاء ابنتها الصغيرة أوديت، وقبل أن تنهض من الفراش قال لها زوجها بسخط وهو يضرب الغطاء ويرفعه ليغطي أذنيه:

ـ لا أستطيع النوم في منزلي براحة بسبب بكاء ابنتكِ المتواصل، أخبرتك من قبل أنه يجب أن نأخذها إلى المصحة العقلية، إنها مجنونة

ـ توقف أرجوك لا تقل ذلك عنها، إنها مجرد طفلة صماء.

لكنه أبعدَ الغطاء عن رأسه، واستوى جالساً وقال لها بصوت عالٍ:

ـ صماء؟! ماذا عن وجهها المخيف وقدمها الملتوية؟

ثم أخفضَ نبرة صوته الحادة، وقال بلطف عندما لاحظ حزنها:

ـ صدقيني يا عزيزتي ابنتكِ نذير شؤم، أنتِ أخبرتني أنه عندما أنجبتها توفيَ والدها مباشرة بحادثٍ شنيع، وأنك أخفيتها عن الناس حتى لا يسخروا منها أو ينعتونها بالشؤم؟ إذن من الأفضل لها ولنا أيضاً أن تكون بعيدة عنا. وأعدكِ أنني سأوصيهم بالعناية بها جيداً وسنزورها بشكل دائم

ـ لكن لا ذنب لها، إنها مجرد طفلة..

ـ أعلم أنه لا ذنب لها في خلقتها القبيحة، ولكن ما الذي تعتقدين أنه سيحدث عندما تكبر هذه الطفلة وتخرج من المنزل وتواجه الناس؟ عندها سيعلمون أن السيدة الجميلة أليونور أنجبت طفلة

بشعة ومخيفة وكأنها لعنة.

لم يكن أمام أليِنور خيار آخر، فقد أخذ زوجها يلحُّ عليها بشكل مستمر فخضعت له وتركت ابنتها أوديت في مصح عقلي اقترحه زوجها قائلاً:

ـ لنختز لها مكاناً بعيداً جداً حتى لا يشك أحد بكِ، ويعرفون حقيقة أوديت المشؤومة

ـ لكن كيف سأزورها؟

أحاطها بذراعيه بحب وحنان، ثم قال لها:

ـ سنخصص أوقاتاً معينة لزيارتها، وستبقين معها لعدة أيام

خرجت أليِنور من المصح العقلي بعد أن ودعت ابنتها أوديت التي كانت حينها تبلغ من العمر عاماً واحداً فقط، لكنها ظلت تبكي ليلاً ونهاراً بعد أن بدأت تشعر بالذنب ممّا فعلته، فقررت أن تعيد ابنتها إلى المنزل وترعاها بنفسها، لكنها لم تستطع زيارتها أو حتى رؤيتها مرة أخرى فقد أصيبت بمرض جعلها طريحة الفراش وعصبية المزاج بشكل دائم، حتى اتهمها الجميع بالجنون. وكان زوجها يشكو من تنمُّرها وسوء معاملتها له فتعاطفَ الجميع معه ونصحوه بتركها

ـ كيف تستطيع أن تتحمل مزاجها السيئ طوال الوقت؟ إنها مجنونة وتتصرف بوحشية كما أنها مريضة وعاجزة عن أن تكون زوجة لك

لكنه كان يقول لهم:

ـ أنا أحبها ولا أستطيع الابتعاد عنها، فهي من ساعدتني ووقفت معي في الشدة ولا تستحق أن أتركها الآن وهي في أمسّ الحاجة إلي

بعد عدة أشهر فقط، انتشر خبر اختفاء السيدة ألينور، وأخذ زوجها يبكي كالمجنون وهو يبحث عنها ويستعين برجال الشرطة كي يساعدوه ولكن من دون جدوى! فلا أحد يعلم ما الذي حدث للسيدة ألينور ولا إلى أين ذهبت!!

الانتقال

عام 2016

وقفت لورا في المطبخ وهي تفكر بما ستعدّه لأبنائها ولزوجها من طعام قبل عودتهم إلى المنزل. فأخذت تقطّع بعض الطماطم والبصل، وقررت أن تعدّ لهم طبقاً من المعكرونة التي يفضّلونها وربما بعض الدجاج المشوي إذا أسعفها الوقت. فجأة سمعت صوت الهاتف يرن فالتفتت إليه بينما هي تقطّع الطماطم، فغسلت يديها بسرعة وأمسكت بالهاتف لتجيب:

ـ الو، من المتصل؟

ـ صباح الخير، هل أنتِ السيدة براون زوجة السيد أليكس براون؟

ابتلعت ريقها بتوتر وقد بدأت تشعر بالقلق

ـ نعم أنا هي، من المتصل؟

ـ يؤسفني بأن أخبرك أن زوجك تعرّض إلى حادث سير وتم نقله إلى المستشفى....

ارتجفت يدها وكادت سماعة الهاتف أن يسقط منها، لكنها تمالكت نفسها لتقول:

ـ هل هو بخير؟

ـ عليكِ أن تأتي إلى المستشفى يا سيدتي حالاً...

أسرعت في تغيير ملابسها حتى إنها لم تنتبه إن كانت قد

استبدلت حذاء المنزل أم لا! ثم قادت سيارتها إلى المستشفى وهي تفكر بما قد تسمعه أو تراه متمنية أن يكون زوجها بخير وأنه مجرد حادث بسيط. وعندما وصلت سألت موظفة الاستقبال عنه فطلبت منها الجلوس وانتظار الطبيب الذي كان عابسَ الوجه عندما أقبلَ نحوها، وعندما رأته بهذه الحالة ازدادت خفقات قلبها وهي تقف لتستقبل كلماته التي وقعت في قلبها كالحجارة

ـ سيدتي، يؤسفني أن أخبرك أن زوجك قد توفي أثناء نقله إلى هنا، لقد كان الحادث....

لم تعد تسمع شيئاً حولها، فقط دقات قلبها المتسارعة وأفكارها التي تدور في عقلها الذي لم تعد تستطيع أن تفكر به بشكل واضح. ولكن مرّ شريط حياتها مع أليكس سريعاً في مخيلتها. يوم زفافها منه، وكيف كانت سعيدة لأنها تزوجت الرجل الذي أحبته، بكاؤه بسعادة عندما أنجبت ابنتهما الكبرى (كارن) وصوت ضحكته عندما سمعها تناديه بابا لأول مرة، وسعادته وتوتره أيضاً بإنجاب التوءم (جاك) و(إيمي) وجميع الذكريات الجميلة بينهما، خصوصاً بعد أن كبر الأولاد، ثم حصول الحادث وتلقيها خبر موته لتسقط بعدها وتفقد الوعي.

عندما استفاقت من غيبوبتها بعد يومين كانت ضعيفة يملؤها الحزن والقلق على مستقبل مجهول لها ولأبنائها الثلاثة، فانعزلت وحدها في غرفتهما الخاصة تحيط بها الذكريات العزيزة ورائحته التي ملأت الغرفة، فأمسكت بقميصه المفضل وأخذت تحتضنه وتشمّه بينما دموعها تنهمر كالنهر الجاري على خديها الذابلين من

شدة الحزن وهي تعاتبه:

ـ لماذا تركتني في هذا الوقت؟ أنا بحاجة إليك يا عزيزي، هل أنا في كابوس؟ أريد أن أستيقظ منه وأراك هنا معي تحتضنني وتخفف عني...

قاطعها صوت طرق على الباب، فمسحت دموعها بسرعة وسيطرت على شهقاتها ليدخل ابنها جاك والذي كان يشبه والده كثيراً بشعره البني وبعينيه العسليتين، ويقترب منها وقد بدا الحزن على وجهه رغم محاولاته كي يبدو طبيعياً بابتسامته الباهتة

ـ أمي، هل أنت بخير؟ لقد اشتقت إليكِ.

لم تحتمل لورا كلماته ونظراته الحزينة ففردت ذراعيها ليرتمي بين أحضانها وهو يشهق بالبكاء وينتحب، فمسحت على شعره وقبلته

ـ أنا أعتذر يا عزيزي، لقد كان وقع الخبر قوياً ولم أحتمل.. لم تستطع أن تكمل حديثها من فرط حزنها وألمها، فقال جاك والذي كان يتصرف كرجل بالغ رغم أنه ما يزال في الخامسة عشرَ من عمره فقط

ـ نحن بخير لا تعتذري يا أمي أرجوكِ، ولكننا اشتقنا إليكِ.

ـ لا تقلق يا عزيزي سأكون بخير ما دمتم حولي، ولكن الآن أنا ما زلت أتألم فوالدكم قد ترك فراغاً في قلبي وفاجأني رحيله..

تركَ جاك والدته كي ترتاح وعندما عاد لينضم إلى أختيه في المطبخ، حيث كانت (كارن) الابنة الكبرى والتي كانت في الثامنة عشر من عمرها تحضِّر طعاماً لإخوتها كي تشغل عقلها بعيداً عن

الحزن والتفكير بمصيرهم بعد رحيل والدها، أمّا إيمي توءم جاك فكانت تقرأ في أحد كتبها بصمت متمنية أن تستطيع بذلك تجاهل أفكارها الحزينة. جلسَ جاك على مائدة الطعام شارد الذهن فسألته كارن:

ـ هل أمي بخير؟

ـ انها ما تزال على حالها منذ أن استفاقت من الغيبوبة، تمسك بصورة أبي أو بملابسه وتبكي، لا أعرف كيف أواسيها وأخفف عنها

سحبت كارن نفساً عميقاً ثم قالت:

ـ لن يكون الأمر سهلاً عليها أو علينا فنحن فقدنا والدنا يا جاك، لكن صدّقني أمي قوية لذا لا تقلق كثيراً. الحمد لله أنها استفاقت من غيبوبتها وهذا أمر جيد

استمرّ الحزن يخيّم على منزل لورا وعائلتها رغم محاولات أولادها للتخفيف عنها، إلا أنهم عندما ينفردون في غرفهم كانوا يبكون شوقاً إلى والدهم فتمسك إيمي بصورته وتبكي، وكذلك جاك الذي يتذكر ضحكات والده عندما كانا يلعبان سوياً كرة القدم. أما كارن فقد كانت أكثرهم تأثراً حيث إنّ علاقتها بوالدها كانت متوترة قليلاً خصوصاً في فتره المراهقة فلم تكن قريبة منه كإخوتها، وتشعر بالضيق عندما يحاسبها على أفعالها الطائشة ويحتد النقاش بينهما أو ترفع صوتها في وجهه، ولكنها الآن تبكي وتقول في نفسها: ليته يعود فقد اشتقت إليه وإلى حرصه الشديد. حدّقت لورا إلى صورة أليكس وهي تفكر بالمسؤوليات الكثيرة التي ألقاها على عاتقها بعد رحيله، وكيفَ ستتصرف مع كل تلك الأمور، فهي منذ أن تزوجا كان

أليكس يهتم بكل شيء خصوصاً بالأشياء المتعلقة بالأمور المادية.

في أحد الأيام وبينما كان الأولاد في المدرسة ولورا في غرفتها تحاول النوم هرباً من التفكير، قُرِعَ جرس الباب أكثر من مرة، حاولت أن تتجاهله لكن الإزعاج جعلها تتحرك من فراشها بتململ وتتجه لفتح الباب كي ترى من الطارق.

كانَ صاحب المنزل الذي يقيمون فيه السيد (ميلون) يقف بخجل أمام الباب، فحيّته لورا وهي تشعر بالحيرة لمجيئه في هذا الوقت المبكر، ثم قال لها :

ـ أردتُ أن أذكركِ بحلول موعد دفع الإيجار

ردّت ببعض الضيق، فمثل هذه الأمور كان أليكس هو من يهتم بها:

ـ حسناً... أمهلني بعض الوقت كي أرى ماذا سأفعل، فأنا كما تعلم....

قاطعها السيد ميلون وقد بدا حزيناً:

ـ أعلم يا سيدتي، لذا سأمهلك أسبوعاً أو أكثر لتدبير أمورك. لم أكن أنوي أن أزعجك الآن، ولكن أنا بحاجة إلى بعض السيولة المادية لمشروع جديد

ـ لا عليكَ يا سيدي هذا حقك، وأنا أعدك أنني سأدفعه لك في أقرب وقت.

ابتسمَ الرجل بلطف، ثم قال:

ـ تعازيّ الحارة مجدداً، وإن احتجتِ إلى أي مساعدة لا تترددي في إخباري، أتمنى لك يوماً سعيداً يا سيدتي.

بعد أن ابتعدَ أخذت تنظر إلى الشارع بحزن، تفكر في الماضي.. هي تنظر إلى سيارة زوجها المحطمة والواقفة أمام الباب، فأخذت تتذكر رحلتهم الصيفية إلى إحدى الجزر وكيف استمتعا معاً بكل لحظة مع الأولاد، وتذكرت كلماته وضحكاته عندما يخرجان سوياً وحدهما وهو يمسك بيدها ويغازلها بكلماته الرقيقة ويمتدحها بحب. تذكرت ترديده لأغاني الحب لها وسخريتها من صوته عندما يغني، تذكرت رائحة عطره المفضل كما أنها تذكرت المسؤوليات التي ستلقى على عاتقها من بعده، وكل الأمور التي أهملتها منذ أن توفي زوجها. أولادها والمنزل والفواتير التي تكدّست. لذا قررت أن تستجمع قوتها مجدداً فعليها أن تواسي أبناءها وتخفف عنهم وتهتم بهم؛ فهم فقدوا والدهم الذي لن يعوّضهم عنه أي أحد ولا حتى هي.

فكّرت بإعداد الطعام الذي يفضلونه وهو طبق المكرونة والبطاطا المهروسة مع اللحم، وكان هذا طبق أليكس المفضل أيضاً خصوصاً في أيام العطلات عندما يجلسون سوياً أمام شاشة التلفاز لمشاهدة أحد الأفلام وهم يتناولون طعامهم بينما الأبناء في الخارج برفقه أصحابهم، فتساقطت دموعها على يدها وهي تقطّع حلقات البصل حزناً وشوقاً لزوجها الذي تركها وحيدة ومشتتة التفكير وعاجزة.

عندما عاد الأولاد من المدرسة شعروا بالدهشة وبالفرح بعد أن وصلت إلى أنوفهم رائحة الطعام التي انتشرت في المنزل، فأسرع ثلاثتهم إلى المطبخ ليروا والدتهم وهي تكمل إعداد الطعام. فاقترب التوءم واحتضنا والدتهما بسعادة فقبلتهما بحب وهي تبتسم. أما كارن فنظرت إلى والدتها بعطف وقالت:

ـ شكراً لك يا أمي، الرائحة زكية جداً، لقد اشتقت إلى طعامك اللذيذ

فأكملت إيمي قائلة:

ـ نعم يا أمي، أنتِ أفضل من يحضر الطعام

ليكمل جاك وقد جلس على مائدة الطعام قائلاً:

ـ هيا، أنا أشعر بالجوع ورائحة الطعام زادت من جوعي

جلسوا جميعهم على المائدة وأخذوا يتناولون طعامهم بسعادة رغم الحزن الذي يحتل قلوبهم وهم يحاولون إخفاءه، فالتفتت لورا إلى الكرسي الخالي حيث كان يجلس أليكس دائماً وكادت أن تطفر دمعة من عينيها لكنها جاهدت نفسها كي لا تبكي، فيكفي ما يعيشه أولادها من حزن ولا تريد أن تزيد من قلقهم، إلا أن كارن قالت:

ـ لا أريد أن أزعجك يا أمي، ولكنني بحاجة إلى شراء بعض الأشياء للمدرسة

ـ حسناً يا عزيزتي، سنذهب غداً إلى المكتبة لشراء ما تريدين.

ـ شكراً لكِ يا أمي، لكن لا تتعبي نفسك، سأذهب مع صديقتي...

قاطعتها لورا:

ـ كلا، بل سآخذكِ بنفسي

صمتوا جميعهم وقد لاحظوا التوتر الذي ساد بينهم، فنهضت لورا من مكانها وقالت:

ـ أنا متعبة قليلاً، سأذهب إلى غرفتي كي أرتاح

ظلوا يحدقون في بعضهم بعضاً وقد علت وجوههم نظرات الحزن والقلق، لكنهم لم يبدوا أي تعليق.

***

بعد عدة أيام تذكرت الإيجار وأن عليها أن تعرف ما تركه أليكس لهم من أموال، لذا ذهبت إلى البنك كي تستفسر عن حساب زوجها البنكي، وصعقت عندما أخبرها موظف البنك أن الحساب بدون رصيد!

ـ إنه فارغ تماماً يا سيدتي وقد تمّ تجميده

طلبت منه أن يتأكد عدة مرات ولكنه وجد نفس النتيجة مع باقي الحسابات الأخرى التي تخص زوجها

ـ أنا متأكدة أن زوجي كان يدّخر بعض المال، مستحيل أن ينسى الإيجار أو الفواتير، لقد اعتاد أن يفعل ذلك منذ أن تزوجنا

ـ سيدتي هذا ما أراه أمامي، ربما كان زوجك مديناً لبعض الأشخاص، أو حدث شيء ما جعله يحتاج إلى المال.

ـ حسناً ماذا عن الشركة التي كان يعمل لديها؟ أليس من المفترض أن يقوموا بإيداع مبلغ من المال له بعد الوفاة؟

ـ نعم ولكن لا يوجد أي شيء، ربما لديه حساب في بنكٍ آخر

ذهبت لورا لمراجعة البنك المركزي لمعرفة إن كان زوجها يحتفظ بماله في بنك آخر، ولكن كانت النتيجة واحدة.

ـ لا يوجد شيء باسم زوجك يا سيدتي، ولم يتم إيداع أي مبالغ مالية باسمه أيضاً

لم يكن أمامها سوى الذهاب إلى الشركة حيث كان يعمل لتستفسر أكثر، فاستقبلها المدير رغم رفضه في البداية، وعندما طلب منها الجلوس للحديث معها قالت له:

ـ أنت تعرف أن زوجي قد توفيَ منذ عدة أسابيع، ولكن لم يتم إيداع مبلغ للتأمين في حسابه البنكي حتى الآن، لماذا؟

تنهّد الرجل وهو يُخرج ملفاً من أحد الأدراج ثم ينظر إلى شاشة الكمبيوتر أمامه، وبعدها سحب نفساً عميقاً:

ـ سيدتي، يؤسفني أن أخبرك بأن زوجك مفصول عن العمل منذ عدة أسابيع قبل موته، ولا يستحق مبلغ التأمين

شعرت لورا بالدهشة، فقد كان الأمر صادماً لها

ـ لم يخبرني بذلك، ولماذا تمّ فصله من وظيفته؟ زوجي كان يعمل لديكم منذ أكثر من عشرين عاماً والجميع يشهدون على حسن سلوكه وتفانيه في العمل؟

ـ للأسف زوجك قام بعملية اختلاس كبيرة داخل الشركة وتسبّب بضرر للكثيرين، لقد وعدنا بتسديد المبلغ لكنه توفيَ، لذا هو لا يستحق أي تعويضات مالية ولو رفعنا قضية ضده للمطالبة بسداد باقي المبلغ فستتورطين أنتِ أيضاً يا سيدتي. ولكن احتراماً لوضعكم وتقديراً لسنوات خدمته في الشركة لم نفعل ذلك وقد قمنا بإغلاق القضية.

أربكت الصدمة لورا حتى كادت أن تبكي، لكنها قالت بعصبية:

ـ أنتَ تكذب، زوجي لم يخبرني بأي مما تقوله، مستحيل أن يفعل أليكس ذلك، أكيد أن هناك خطأً ما

أخرجَ الرجل ورقة من الملف ووضعها أمام لورا قائلاً:

ـ هذه الورقة تثبت الاختلاس، واعذريني يا سيدتي أنا أعلم أن الصدمة قوية ولكن لا أستطيع مساعدتك

لم تهتم للورقة، فألقت بها على الأرض وقالت:

ـ سأرفع دعوة قضائية ضدكم، زوجي لم يختلس أي أموال، وإن كان فعل ذلك فأين هذا المال الذي تتحدث عنه؟!

وقفَ المدير أمامها وضرب طاولته بقوة فتراجعت إلى الخلف رغم محاولاتها أن تبدو قوية لكنه قال:

ـ افعلي ما شئتِ يا سيدة، لدينا كل ما يثبت قيام زوجك بالاختلاس والمحكمة ستحكم لنا وأنت ستتكبدين عناء توكيل محامٍ من دون فائدة، ثم سنقوم نحن برفع دعوة ضدك بسبب تشويه السمعة، لقد أنقذنا زوجك من دخول السجن بسبب ما فعل والآن تتهمينا بالكذب!!

فخرجت من مكتبه بعد أن صفعت الباب بقوة وهي تكاد أن تفقد توازنها، وبدأت تحاول أن تستجمع بعض الذكريات ولكنها كانت مشوشة، حتى إنها وقفت وسط الطريق وكأنها ضائعة وتنظر إلى ما حولها بذعر، وتفكر بمصيرها مع أبنائها.

عادت مسرعة إلى المنزل ثم دخلت إلى غرفتها وأغلقت الباب خلفها وأخذت تبحث في أوراق زوجها وكل ما يخصه، لكنها لم تجد أي دليل واحد على مسألة الاختلاس أو حتى فصله من العمل مما جعلها تشعر بالحيرة. لكنها تذكرت أنه قبل عدة أسابيع قد لاحظت أن زوجها شارد الذهن ويبدو قلقاً في بعض الأحيان، وعندما تسأله عما به يبتسم لها بلطف ويقول:

ـ لا شيء يا عزيزتي، إنه ضغط العمل فقط لا تقلقي.

التفتت إلى صورته التي كانت تضعها بالقرب من سريرهما، ثم أخذت تبكي وهي تقول مخاطبة زوجها:

ـ أنا أشعر بالضياع ولا أعرف كيف أتصرف، لقد وضعتني في موقف لا أحسد عليه، ما الذي سأفعله الآن وحدي وأنا لا أملك أي مال ولا طريقة للخروج من هذه المصيبة؟

ثم أخذت تبكي وتنتحب حتى شعرت بالتعب، ونامت في مكانها.

***

لم تستطع أن تخبر أبناءها عن قضية والدهم فهي لا تريد أن تزيد من قلقهم. وظلت تفكر بطريقة كي تجمع مبلغ الإيجار فلم يكن أمامها سوى عدة أيام فقط، وإن لم تدفعه قد يقوم السيد ميلون بإخراجها من المنزل. فأخذت تجول بنظرها حول المنزل وتفكر بكل الذكريات الجميلة التي عاشتها فيه، ففي هذا المنزل أنجبت أبناءها وعاشت بسعادة مع زوجها طيلة عشرين عاماً، والآن قد تضطر إلى الخروج منه ولكن إلى أين؟

فقررت أن تبحث عن وظيفة حتى لو كانت براتب زهيد لحين معرفة ما الذي ستفعله فيما يخص قضية زوجها، وتستشير محامياً ليساعدها في الخروج من هذه الأزمة. فبحثت في رفوفها وصناديقها القديمة عن أوراقها وشهادتها الجامعية متمنية أن تجدها فهي لم تعمل في أي وظيفة منذ أن تزوجت وأنجبت ابنتها كارن وقررت أن تعتمد على زوجها فيما يخص المال. لكنها لم تجد أي أثر لتلك الأوراق، فشعرت باليأس والغضب وقررت أن تلقي بكل تلك المقتنيات القديمة وتتخلص منها. وقبل أن تفعل ذلك سقطت من أحد الصناديق ورقة مطوية على الأرض فأخذت تنظر إليها بحيرة، فقد كانت الورقة قديمة ومصفرة وتتساءل في نفسها عما تحويه! فوضعت الصندوق جانباً وأمسكت بالورقة وأخذت تقلبها بين يديها ثم فتحتها وقرأت ما كُتب فيها:

(عزيزتي لورا، ربما لا تعرفينني ولا تذكرينني حتى، لكن وكما تعلمين أنتِ قريبتي الوحيدة في هذه الحياة بعد أن توفيت أختي إيزابيل، لذا كتبت إليكِ هذه الرسالة وهي وصيتي الأخيرة وأرجو أن تتقبليها مني

وبما أنكِ وريثتي الوحيدة وليس لي أحد سواكِ، فقد قررت أن أكتب منزلي الموجود في قرية لوديلو - وهو كل ما أملك- باسمك ليكون تحت تصرفك، وتستطيعين أن تفعلي بالمنزل ما تشائين بشرط واحد: وهو أن لا تقومي ببيعه أو بتأجيره لأحد.

ملاحظة

اذهبي إلى المحامي الخاص بي، وقد أرفقت اسمه وعنوانه

وسيتكفل هو بنقل الملكية لك وسيرشدك إلى باقي الأمور التي تتعلق بهذا الميراث.

خالتك المحبة: (لورين)

أعادت لورا قراءة الرسالة أكثر من مرة وهي تحاول أن تتذكر متى وصلتها، ولماذا لم تقرأها من قبل؟ وأين كانت خالتها لورين طوال كل تلك السنين؟ بل إنها كانت تعتقد أن خالتها قد ماتت منذ سنوات قبل وفاة والدتها!!

توءمتان، ولكن...

كانت الطفلة إيزابيل الصغيرة والجميلة تجلس بهدوء وتلعب بدميتها الصغيرة بينما وقفت لورين أختها التوءم خلف الباب تراقبها خلسة متمنية أن تأخذ تلك الدمية من يد أختها وتمزقها لتنتقم منها. فبرغم أنهما أختان وتوءمتان إلا أن لورين كانت تكره أختها وتتمنى أن تحصل على فرصة لتؤذيها وذلك بسبب غيرتها منها، فإيزابيل كانت هادئة وتتسم بالذكاء واللطف ويحبها الجميع، بينما لورين كانت عكسها تماماً فهي فوضوية وتفتعل الكثير من المشاكل أينما ذهبت، وكانت تنال الكثير من العقاب على تصرفاتها الوقحة وأسلوبها الخشن مع أختها.

كبرتا سوياً في منزل والديهما، وبعد أن توفيا انتقلت إيزابيل للعيش في منزل أحد أقاربهم حتى تعرفت على زوجها الذي أحبها فتزوجته مباشرة، أما لورين فقد انتقلت إلى قرية بعيدة جداً وعاشت وحدها ولم تفكر أبداً في الارتباط أو الحب، ومنذ ذلك الوقت لم تعرف إيزابيل أي شيء عن أختها سوى أنها تعيش في قرية نائية تدعى لوديلو.

وبعد عدة سنوات أنجبت إيزابيل ابنتها الوحيدة لورا، ثم توفي زوجها في حادث مؤسف أثناء عمله فلم تستطع أن تتحمل وقع تلك الصدمة فأصيبت باكتئاب حاد وكادت أن تنهي حياتها بسبب ذلك، فنصحها الأطباء بعدم البقاء وحدها حتى لا يكون هناك أية خطورة على ابنتها لورا والتي كانت ما تزال طفلة في الرابعة من عمرها فقط، لكن إيزابيل شعرت بالحيرة فهي وحيدة ولا تعرف أياً من

أقاربها خصوصاً بعد موت عمتها التي عاشت معها في فترة طفولتها، ولم يكن أمامها سوى مراسلة أختها لورين لتطلب منها أن تساعدها. وبعد عدة أيام فقط وصلتها رسالة من أختها لورين تقول فيها:

(أختي العزيزة: تعازيّ الحارة على ما فقدت، أنا أعرف أنك الآن وحيدة بلا مأوى أو أحد ليهتم بك وبابنتك الصغيرة، لذا أدعوك لتأتي وتعيشي معي في منزلي إن شئت).

لم تستطع إيزابيل أن ترفض هذا العرض فهي مفلسة أيضاً وليس أمامها أي حل سوى تلبية هذه الدعوة الغريبة من أختها، والتي لم تكن على وفاق معها أبداً.

أخذت إيزابيل تتلفت حولها بانبهار غير مصدقة ما تراه بعينها عندما دخلت إلى منزل أختها في القرية المعزولة، فقد كان منزلاً أشبه بقصور العصر الفيكتوري بجدرانه المنحوتة وبتلك اللوحات والتحف باهظة الثمن، وكذلك ملابس أختها الأنيقة والتي كانت جميعها باللون الأسود ليكون مناسباً مع لون شعرها وبشرتها البيضاء. استقبلتها لورين قائلة لها وهي تفتح ذراعيها وتحتضنها بتصنع مبالغ فيه:

ـ عزيزتي إيزابيل، أخيراً التقينا

ابتسمت إيزابيل وحاولت أن تبدو ودودة وهي تقول:

ـ شكراً لكِ على دعوتك، لكنني لم أكن أتوقع أنك تعيشين في منزل كهذا!!

ضحكت لورين وقد بانَ على ملامحها الغرور والتعالي وقالت:

ـ هل أعجبكِ منزلي؟ صدقيني ستشعرين فيه بالراحة وبالانتماء رغم أن القرية معزولة وشبه خالية من الناس، إلا أنها مكان مناسب لتربية فتاة بعيداً عن أجواء المدن وما يحدث فيها.

ثم أخذت تنظر إلى لورا التي التصقت بوالدتها خوفاً من نظرات خالتها، وقالت وهي تلمس شعرها:

ـ يا لها من جميلة! لكنها لا تشبهنا كثيراً. ربما ورثت منا بعض الملامح فقط.

ـ أجل، إنها تشبه والدها أكثر

ثم قالت إيزابيل للورا وهي تشير إلى لورين:

ـ حبيبتي، هذه خالتك لورين سلّمي عليها

ابتسمت لورين للورا، وجلست بالقرب منها ثم قالت:

ـ ما هي أمنيتكِ يا حبيبتي؟ أخبريني وأنا سأحققها لكِ

حدقت في والدتها ثم قالت لخالتها:

ـ كنت أتمنى أن يشتري لي بابا حصاناً خشبياً، ولكنه لم يفعل

مسحت لورين على شعر لورا الأشقر بعطف، ثم قالت:

ـ أنت تستحقين حصاناً حقيقياً، بل ربما أكثر من ذلك.

***

كانت لورا في الخامسة من عمرها عندما انتقلت مع والدتها إلى منزل الخالة لورين، ولم تعِ ما كانت تراه في ذلك المنزل أو تهتم

لصراخ خالتها وغضب والدتها المتواصل وسيل الشتائم والسباب المستمر بين الأختين، بالرغم من أن خالتها كانت لطيفة معها وتجلسها في حضنها دائماً وتتحدث إليها بلطف، إلا أن والدتها كانت تفضل بقاءها بعيداً عنها وتمنعها من التحدث إليها أحياناً كثيرة. حتى إنها قامت بحبس لورا نهاراً كاملاً في غرفتها كي تمنعها من رؤية لورين ولم تعرف لورا حينها ما سبب كل ذلك!! كما أنها تذكر بعض الحوادث الغريبة حيث إنها في إحدى المرات خرجت من الغرفة التي تنام فيها مع والدتها بعد منتصف الليل، وأخذت تبحث عن خالتها لتلعب معها فظلت تبحث عن غرفتها وتطرق الأبواب واحداً تلو الآخر وتحاول فتحها. ودخلت إلى إحدى الغرف فشاهدت باباً خشبياً يسطع منه نور غريب فأخذت تحدق فيه بدهشة! وعندما فُتح الباب شاهدت سيدة ترتدي السواد وتقف أمامها بشعر منكوش وكأنها خفاش ضخم، فصرخت لورا بصوت عالٍ وعلى إثر صراخها استفاقت والدتها التي أخذت تبحث عنها لتجدها فاقدة الوعي في الممر المظلم. وعندما استفاقت أخبرت والدتها قائلة:

ـ لقد رأيت خفاشاً مخيفاً وضخماً يخرج من باب خشبي يا أمي

سحبت إيزابيل نفساً عميقاً وقد بانَ الغضب على وجهها، فأسرعت نحو غرفة أختها وأخذت تطرق الباب بقوة وتشتمها وتقول:

ـ اخرجي وواجهيني أيتها اللعينة، ماذا فعلتِ بابنتي؟ هل حاولت أن تختطفيها؟

فتحت لورين الباب وهي تبتسم بخبث مما جعل إيزابيل تزداد غضباً، إلا أنها حذرتها ببرود قائلة:

ـ كوني حذرة وإلا جعلتكِ تندمين، أنا لا ذنب لي إن كانت ابنتك تخرج من غرفتها ليلاً بدون أن تخبرك.. والآن اتركيني وشأني.

ـ لن أبقى في منزلك الملعون للحظة واحدة، وسأبلغ الشرطة بما تفعلينه هنا

ضحكت لورين بصوت عالٍ ومستفز، مما جعل إيزابيل تحمل ابنتها ثم تلملم جميع حاجياتها لتخرج من المنزل رغم أنها لا تعرف إلى من تلجأ.. فأخذت تبكي وجثت على الأرض بالقرب من ابنتها التي أخذت تمسح على شعرها بعطف:

ـ أرجوكِ يا ماما لا تبكي

احتضنتها إيزابيل وقالت:

ـ أنا خائفة يا حبيبتي ولا أريدك أن تتعرضي إلى الأذى، خالتك شريرة لذا يجب أن نخرج من هنا قبل أن تؤذيك

ـ لكنها لم تفعل شيئاً سيئاً لي!!

فتحت لورين الباب وأخذت تنظر إلى أختها بتعالٍ ثم قالت:

ـ أشفقُ عليك أيتها الفاشلة، ولولا هذه الطفلة لدمرتُ حياتك

ثم أخرجت مفتاحاً من جيبها وألقت به قرب إيزابيل، وقالت:

ـ هذا مفتاح شقتي التي كنتُ أعيش فيها عندما تركت منزل والدينا، تستطيعين العيش هناك فأنتِ كالفأر تفضلين الذل والعيش في القمامة على الكرامة والعز.

ومنذ تلك اللحظة خرجت إيزابيل من منزل لورين ولم ترها مجدداً،

وكذلك لورا التي شعرت بتردد وخوف من زيارتها بعد أن توفيت والدتها، متمنية أن تجد من يهتم بها. ولكن ذكرياتها وحديث والدتها عن خالتها جعلها تتراجع وفضلت البقاء وحدها حتى تعرفت على أليكس وارتبطت به كزوج.

***

الغريق يتعلق بقشة...

فكرت لورا بتلك الرسالة طوال اليوم وأخذت تقول لنفسها: إنه الحل الوحيد كي تنقذ أسرتها وأن عليها أن تنتقل إلى ذلك المنزل وتعيش فيه، فليس لديها حل آخر أو مكان تلجأ إليه على الأقل لفترة معينة من الزمن، حتى تستطيع أن تدبّر شؤونهم مجدداً وتحصل على وظيفة مناسبة. ولكن كان عليها أولاً أن تخبر أبناءها بقرارها وأن تسلم السيد ميلون مبلغاً مادياً كانت تحتفظ به في حسابها الشخصي، ففتحت صندوق المجوهرات الذي أهداه لها زوجها الراحل في ذكرى زواجهما، وأدركت أنها لا تملك الكثير من المجوهرات سوى بعض القطع الصغيرة التي كانت تشتريها في المناسبات والذكريات الجميلة كخاتم ماسي وقلادة على شكل أجنحة ملائكة وبعض السلاسل، فأخذت تنظر إليها وهي تفكر: هل سيكون ثمنها كافياً لتسديد قيمة الإيجار؟

في المساء اجتمعت بأبنائها، وبعد تردد قالت:

ـ نحن مضطرون إلى ترك المنزل وترك المدينة

نظر الأولاد إلى بعضهم بتساؤل، ثم قالت الابنة الكبرى كارن:

ـ لماذا يا أمي؟

لم تشأ لورا أن تخبرهم بالعجز المادي وبما حدثَ لوالهم لذا قالت:

ـ مبلغ التأمينات لا يغطي نفقات المنزل والإيجار، كما أنني أحتاج إلى وظيفة ولن أجد هنا ما يناسب تخصصي

فسألتها إيمي:

ـ ماذا عن المدرسة وأصدقائنا؟

ـ هناك الكثير من المدارس يا عزيزتي... كما أنكِ ستتعرفين على أصدقاء جدد

اعترضت كارن وقالت بغضب:

ـ أنا لا أريد أن أترك منزلنا، لقد عشنا هنا مع أبي، ولدينا الكثير من الذكريات في هذا المنزل، كما أنني في آخر سنة دراسية وانتقالي إلى مدرسة أخرى قد يؤثر على مستواي الدراسي.

لم تشأ لورا أن تتجادل مع ابنتها، لكنها قالت لها:

ـ ماذا عن مصروفك وأين ستسكنين؟ فصاحب هذا المنزل لن يؤجره لمراهقة لا تملك مصدر دخل؟ لن أجبرك على المجيء معي ولكن فكّري بما أعانيه، ولو لم يكن الأمر ضرورياً لما تركث هذا المنزل أبداً.

شعرت كارن بالخجل من نفسها، فهي تعلم ما تعانيه والدتها بعد رحيل والدهم لذا اعتذرت بخجل وقالت:

ـ أعتذر منك يا أمي ولكن لقد اعتدنا على هذا المنزل، كما أن تغيير المدرسة لن يكون سهلاً

ـ أعلم ذلك، حتى أنا سأفتقد هذا المنزل، ولكن لا حيلة لديّ

أما جاك فقد ظل صامتاً حتى سألته لورا:

ـ وأنت يا جاك، ألن تبدي رأيك؟

أجابها باستسلام:

ـ وماذا سأقول؟ وهل سيغير قولي أي شيء؟ أنا أعرف المسؤوليات الجديدة الملقاة على عاتقك وأعرف أنك مضطرة إلى ذلك يا أمي

ابتسمث له بلطف وهي تربّت على شعره وتتذكر ملامح زوجها حتى كادت أن تطفر دمعة من عينها، لكنها تمالكت نفسها وقالت وهي تبتسم بمرح:

ـ حسناً غداً صباحاً سأراسل مدارس تلك المنطقة كي أنقلكم إلى هناك، ثم ننتقل بعد أن نجهز أنفسنا للانتقال، لا تقلقوا ستحبون القرية وستتعرفون على أشخاص وأماكن جديدة...

قاطعتها كارن بدهشة قائلة:

ـ قرية؟! لماذا نسكن في قرية؟

ـ لأنني أملك هناك منزلاً ورثته من أحد الأقارب، ربما يكون انتقالنا لمدة معينة إذا لم يعجبنا المنزل

ـ كنت أعتقد أننا سننتقل إلى مدينة أخرى

ـ لا تقلقي، قد لا يطول بقاؤنا هناك إن سارت الأمور بشكل جيد، ربما أقوم ببيعه وسنشتري منزلاً خاصاً بنا في مكان يعجبكم.

***

وبعد أقل من أسبوع استأجرت لورا ناقلة لنقل الأثاث وكل ما تملك إلى تلك القرية التي كانت تبعد عن المدينة أكثر من ساعتين تقريباً،

في منطقة شبه معزولة لا يوجد فيها سوى عدد قليل من السكان، والوصول إليها عبر طريق فرعي ثم السير في مسافة شبه صحراوية حتى تصل إلى أطراف قرية صغيرة. فاضطرت إلى أن تستعين بجهاز تحديد المواقع حتى لا تضل طريقها. ورغم ذلك لم تستطع الوصول إلى القرية إلا في وقت متأخر قبل غروب الشمس بعدة دقائق فقط، مما جعل المكان مظلماً ومخيفاً.. فأخذت تسير بحذر وهي تتلفّت حولها وتنظر إلى تلك المنازل الصغيرة والمتباعدة، بينما أولادها يتحدثون بدهشة وخوف عما يرونه.

ـ انظروا إلى ذلك المنزل، هناك شخص ينظر إلينا من النافذة، هل يراقبنا؟

قال جاك ذلك، فالتفتت إليه إيمي والتي أخذت تحدق في ذلك الشخص وقالت:

ـ ربما يشعر بالفضول فقط

فقالت كارن ممازحة كي تخيفهم:

ـ ربما يحمل بيده فأساً، وعندما نتوقف سينقض علينا ويلاحقنا به ليقتلنا

مما جعل إيمي تنظر إليها بخوف وتقول:

ـ توقفي عن إخافتنا يا كارن، أرجوكِ لا تمزحي بهذه الطريقة.

لكن ما رأوه أمامهم جعلهم يتوقفون عن الكلام، وينظرون إلى ذلك المشهد المخيف وهم في حالة ذهول، فقد شاهدوا مجموعة من الأشخاص يقفون بشكل دائري وكأنهم يحيطون بشيء ما، ثم

يرفعون أياديهم إلى الأعلى وينزلونها إلى الأسفل وقد أشعلوا ناراً أحاطت بهم!! فتساءل جاك:

ـ ما الذي يفعلونه؟

أجابته كارن والدهشة تعلو وجهها خصوصاً بعد أن لاحظت أنهم ينظرون إليهم وقالت:

ـ لا أعلم، ولكن ما يفعلونه مريب وكأنهم يمارسون طقوساً ما

ـ أسرعي يا أمي، أين ذلك المنزل؟

حاولت لورا أن تزيد من سرعتها ولكن الطريق كان وعراً، كما أنها كانت تنظر في جهاز المواقع بين الحين والآخر وقالت:

ـ المكان قريب من هنا، لذا لا أستطيع أن أسرع أكثر، يجب أن أتأكد من طريقي..

وبعد عدة دقائق توقفت أمام أحد المنازل وأخذت تنظر إليه بدهشة، فقد كان كبيراً ومختلفاً جداً عن منازل القرية الصغيرة ومبنياً على الطراز الفيكتوري. ورغم أنه يبدو متهالكاً وقديماً إلا أنه كان فخماً وكأنه قد تمّ نقله من ذلك الزمن القديم ووضعه في هذه القرية!!

ـ لقد وصلنا إلى المنزل.

سألتها إيمي وهي تنظر إلى الحديقة الأمامية للمنزل قائلة:

ـ هل هذا منزل خالتكِ؟ إنه أشبه بالقصور القديمة، هل كانت ثرية؟

حاولت لورا أن تتذكر خالتها وتساءلت في نفسها: هل كانت ثرية

فعلاً؟ أنا لا أعرف الكثير عنها ولا أتذكرها جيداً، ثم قالت:

ـ لا أعلم، فأنا لم أرَ خالتي منذ أن كنت طفلة صغيرة.. ولا أتذكر شيئاً عنها سوى ما قالته أمي لي

أخذت كارن تتفحص ما حول المنزل من دون أن تقترب منه. ولاحظت أن هناك كوخاً صغيراً ملاصقاً لمنزل الخالة، كما أن المنازل المحيطة بمنزلهم قليلة ومتباعدة وصغيرة جداً

ـ المكان غريب جداً!

اقتربت لورا من مدخل المنزل، وقبل أن تدير مقبض الباب أمسكت إيمي بيد والدتها بخوف وسألتها:

ـ ماذا لو كان المنزل مسكوناً بالأشباح يا أمي؟ فكما يبدو أنه مهجور منذ زمن

وضعت لورا يدها على كتف ابنتها كي تطمئنها، وقالت:

ـ لا تخافي يا عزيزتي، لا أعتقد أنه مسكون. وبعد أن نقوم بتنظيفه ووضع الأثاث سيتغير كثيراً، هيا ندخل ولا تقلقي كثيراً، فالوقت قد تأخر ولا نريد أن نقف هنا عندما يصبح المكان مظلماً فيكفينا ما رأيناه اليوم.

فتحت لورا باب المنزل الذي أصدر صريراً قوياً أرعبَ إيمي مما جعلها تقفز خوفاً، فضحكَ جاك ساخراً منها وقال:

ـ أنتِ تخيفين نفسك بأفكارك وبخيالك الجامح، هذا مجرد صوت الباب لأنه قديم وصدئ.

وبالرغم من سخريته من أخته إلا أنه كان يشعر بالخوف أيضاً ولم يشأ أن تضحك كارن وتسخر منه، فمنظر الباب المهيب وصوت الصرير القوي جعلا خفقات قلبه تزداد علواً وبدا متأهباً وهو ينظر إلى ما خلف الباب، معتقداً أنه سيجد شبحاً أو ربما كائناً مخيفاً ينتظرهم لينقض عليهم، لكنه شعر ببعض الاطمئنان عندما شاهد بهو المنزل الواسع والذي يتوسطه سلم ضخم يتفرع إلى جهتين من الأعلى، وتلك النوافذ الضخمة التي أحاطت بالبهو على شكل أقواس متكررة ومتشابهة. فوقفوا في وسط البهو وهم ينظرون إلى ما حولهم بانبهار خصوصاً تلك الثريا الضخمة التي توسطت سقف البهو وأخذت حبات الكريستال تلمع بشكل جميل رغم الضوء الخافت الذي يدخل من النوافذ الكبيرة.

ـ أعتقد أن خالتكِ ثرية جداً، ولكن لماذا قررت أن تبني منزلاً كهذا في قرية صغيرة ومعزولة تماماً عن العالم؟

فقالت إيمي لتجيب أختها:

ـ ربما كانت تكره إزعاج المدن وتفضل الهدوء

ـ لكن هذا البناء لا يتناسب مع القرية أبداً!! عندما دخلنا إلى هنا شعرت أنني انتقلت إلى زمن آخر وكأنني عدت إلى الماضي، انظري يا إيمي إلى تلك التحف هناك

اقتربتا من إحدى التحف والتي كانت تمثالاً لرجل يحمل في يده سيفاً وفي اليد الأخرى يرفع رأس سيدة لها شعر من الثعابين، وكان وجهها قبيحاً يبدو عليه الذعر!! فقالت إيمي بدهشة:

ـ كيف استطاعت أن تقتني كل هذه التحف الثمينة؟

ـ أعتقد أنها قطع مقلدة فيستحيل أن تكون حقيقية جميعها

ثم التفتت إيمي إلى والدتها، والتي كانت تبحث عن مصدر الضوء وعدّاد الكهرباء لتضيء المكان فقد بدأت تشعر بالخوف هي الأخرى.

ـ أمي هل تعرفين شيئاً عن منزل الخالة لورين؟

ـ كل ما أعرفه وأتذكره أن والدتي كانت على خلاف معها لسبب أجهله، وأذكر أنه حدثت بعض المشاكل بينهما عندما كنت أعيش هنا مع أمي ولكن لا أتذكرها بوضوح لأنني كنت صغيرة حينها، ولطالما حذرتني أمي من خالتي وأخبرتني أنها متمردة

ـ إذن ربما خالتك محتالة أو تتعامل مع مجرمين للحصول على المال

قاطعتها كارن وهي تضحك بسخرية قائلة:

ـ خيالك واسع جداً يا إيمي، لقد أثرت تلك الكتب الغبية التي تقرئينها على عقلك

ـ إذن أخبريني كيف حصلت على كل هذه التحف وهذا المنزل الضخم؟

ـ أخبرتك من قبل ربما تكون مقلدة، أما المنزل فربما ورثته من زوجها أو من أحد أقاربها أيضاً

لكن لورا قالت:

ـ خالتي لم تتزوج أبداً إنها عزباء.

ثم أشعلت الضوء فأضيئ المكان بشكل مبهر، عندها استطاعوا أن يروا السلم بشكل واضح فأسرعوا نحوه لتصعد كارن وجاك إلى الطابق العلوي، أما إيمي فقد استمرت في البحث في الطابق السفلي بينما لورا تبحث عن مكان المطبخ حتى وجدت باباً كبيراً عند إحدى الزوايا ووجدت خلفه مطبخاً فخماً ومجهزاً بأحدث الأجهزة والتي لا تتناسب مع جو المنزل أبداً، فقالت محدثة نفسها بدهشة وهي تنظر إلى تلك الأواني والأسطح اللماعة رغم أنها مليئة بالغبار:

ـ يبدو أن خالتي لها ذوق رفيع!! لم أرَ مطبخاً بهذه الروعة من قبل!

قاطعها صوت إيمي التي كانت تهتف بسعادة وهي تجري نحو والدتها وتمسك بيدها:

ـ تعالي معي يا أمي، انظري لقد وجدت مكتبة كبيرة ومليئة بالكتب

فقاطعهم صوت كارن والتي كانت تتحدث بحماس هي الأخرى قائلة:

ـ يوجد بركة سباحة كبيرة في الفناء الخلفي للمنزل!! لم أكن أتوقع ذلك أبداً

شعرت لورا ببعض الاطمئنان عندما لاحظت حماس أبنائها وسعادتهم مما جعلها تتحمس هي الأخرى

ـ حسناً ما رأيكم أن نبحث عن غرف النوم، وغداً نبدأ العمل في تنظيف المكان؟ فأنا متعبة جداً بسبب القيادة طوال النهار

وافقتها إيمي وكذلك كارن لكنهم لاحظوا أن جاك لم يكن معهم

فسألتهم لورا عنه، إلا أنهما أجابتا بعدم معرفة مكانه فقالت كارن:

ـ ربما ما يزال في الأعلى، لقد صعد معي إلى الطابق العلوي وأخبرني أنه سيبحث عن غرفة مناسبة له

فصعدوا جميعهم إلى الطابق العلوي وأخذوا يفتحون أبواب الغرف واحدة تلو الأخرى بحثاً عن جاك، فتوقفت كارن عند إحدى الغرف وقالت لوالدتها وهي تبتسم:

ـ لقد وجدت غرفتي، سأنام هنا يا أمي

توقفت لورا والتفتت إلى ابنتها التي أسرعت بالدخول إلى إحدى الغرف فتبعتها وشعرت بالانبهار عندما رأت تلك الغرفة، فقد كانت كبيرة جداً ويتوسطها سرير ضخم وهناك دولاب ومرآة كبيرة أيضاً

ـ يبدو أنها أكبر غرفة في المنزل...

ـ ربما تكون هذه غرفة خالتكِ يا أمي

قالت كارن ذلك وهي تقترب من السرير وتضع يدها على الفراش لتتحسس ملمسه، فانتفض الغبار منه فأخذت تكحّ بقوة

ـ المكان يحتاج إلى التنظيف أولاً

قالت لورا ذلك وهي تبحث بعينها في أرجاء الغرفة وقد لاحظت وجود باب خشبي خلف باب الغرفة الرئيسي، فاقتربت منه وحاولت أن تحرك مقبضهُ لكنه لم ينفتح

ـ ما هذا الباب الغريب؟ يبدو قديماً ولا يتناسب مع طراز الغرفة؟ إلى أين يؤدي يا ترى؟!

ـ ربما هناك غرفة صغيرة ملحقة بهذه الغرفة، قد تكون مخزناً خاصاً أو ربما دورة مياه

قطبت لورا حاجبيها بحيرة، فالباب رغم أنه يبدو قديماً إلا أنه سليم تماماً!

ـ ربما، ولكن لماذا وضعت باباً بطراز قديم في غرفة أنيقة كهذه؟ الأمر غريب وينم عن قلة ذوق!!

أخذت كارن تضحك وهي تحرك مقبض الباب بقوة

ـ ربما ذوق خالتك سيئ، أو أن هناك من عاش معها ويمتلك ذوقاً سيئاً. عموماً سأنظف الغرفة الآن ولنترك هذا الباب إلى وقت لاحق علّنا نجد شخصاً يساعدنا على فتحه لنكتشف ما يوجد خلفه

لا تعرف لورا لماذا شعرت بالريبة لوجود الباب الغريب في أجمل وأكبر غرفة في المنزل والتي تعتقد أنها كانت غرفة خالتها، ولكن انشغالها بتنظيف المنزل والبحث عن جاك جعلها تنسى الأمر نهائياً، فعادت لتبحث عن جاك في باقي الغرف وكذلك نزلت مجدداً إلى الطابق السفلي لكنها لم تجده فشعرت بالحيرة والقلق، وأخذت تفكر أين يمكن أن يذهب، ثم التقت بابنتها إيمي التي كانت تحمل مجموعة من كتبها لتنقلها إلى المكتبة الضخمة وسألتها:

ـ هل رأيتِ أخاك؟ لقد بحثت عنه في كل مكان ولم أجده؟

ـ رأيته قبل قليل يخرج من المنزل متجهاً إلى عربة النقل، أعتقد أنه يحتاج شيئاً منها، ولكن لا أعلم إن عاد أم لا.

ثم شاهدوا جاك وهو يدخل إلى المنزل مسرعاً ويغلق الباب خلفه

بقوة، وقد لاحظوا توتره واضطرابه وهو ينظر من النافذة فاقتربت أمه منه وسألته:

ـ ما بك يا بني؟ لمَ أنت خائف وأين كنت؟

ابتلع جاك ريقه بتوتر ثم قال وهو يحاول أن يضبط أعصابه:

ـ لا شيء يا أمي لقد... لقد كنت أتوهم فقط

ـ تتوهم؟ ما الذي حدث لك؟ لماذا خرجت من المنزل؟

لم يشأ جاك أن يتسبب بالقلق لوالدته خصوصاً أنه غير متيقن مما رآه بالقرب من الكوخ الصغير الملحق بالمنزل، لكنه قال:

ـ لا شيء لم يحدث أمر سيئ، كل ما في الأمر هو أنني رأيت شخصاً غريباً يقف بالقرب من ذلك الكوخ، وعندما انتبهَ إلى وجودي سألته ماذا يريد لكنه لم يتحرك من مكانه أو يتحدث فشعرت ببعض الخوف وعدت بسرعة إلى المنزل

أخذت لورا تنظر من النافذة لكنها لم ترَ أي أحدٍ في الخارج، فقررت أن تذهب لترى بنفسها لمعرفة من يكون ذلك الشخص وما الذي يريده معتقدة أنه ربما يكون شخصاً يعرف خالتها، لكن جاك منعها من الخروج وقد ازداد توتره لأنه يتذكر منظر ذلك الرجل الذي بدا غاضباً ومخيفاً بالإضافة إلى جسده الضخم ووجهه المرعب الذي لم يستطع أن يتبين ملامحه بوضوح بسبب الظلمة.

ـ لا تخرجي يا أمي فالأمر ليس ضرورياً، كما أن المكان مظلم جداً في الخارج

ـ ألم يتبعك أو يحاول أن يؤذيك؟ أخبرني الحقيقة؟

ـ كلا، لقد ظل واقفاً مكانه، وأنا من تركته وعدت إلى المنزل

في المساء استطاعت لورا أن تستخدم بعض أدوات المطبخ كالفرن والمغسلة لصنع عشاء بسيط لهم، فقد شعروا بالجوع بعد عملهم المتواصل في تنظيف المنزل والانتقال بين الأدوار، لذا أعدت لهم بعض قطع الدجاج والبطاطا الجاهزة. وعلى طاولة الطعام الضخمة تجمّع أفراد الأسرة بالقرب من بعضهم بعضاً وجلسوا لتناول طعامهم وللتحدث حول المنزل وما وجدوه في كل غرفة حتى سألتهم لورا:

ـ هل انتهيتم من تنظيف الغرف التي اخترتموها؟

أجابتها إيمي:

ـ نعم لقد قمت بتنظيف الغرفة التي سأنام فيها معكِ، فأنا لا أريد النوم وحدي على الأقل حالياً حتى أشعر ببعض الاطمئنان، وشرعتُ الآن بتنظيف المكتبة وبمسح الغبار عن الكتب لكنني سأكمل غداً فأنا أشعر بالإرهاق

ثم قالت كارن وهي تساعد والدتها في تنظيف الأطباق المتسخة:

ـ وأنا انتهيت من تنظيف غرفتي ودورة المياه، وحاولت أن أفتح الباب الخشبي ولكنني لم أستطع

وضعت لورا المنشفة بعد أن انتهت من التنظيف وهي تسحب نفساً عميقاً:

ـ حسناً سنرى غداً ماذا نفعل بشأن ذلك الباب. ماذا عنكَ يا جاك، هل انتهيت من غرفتك؟

أجابها وهو يبتسم بخجل:

ـ لم أنتهِ بعد، نظفت السرير فقط ونقلت جهاز الألعاب

ـ لا عليك غداً نكمل تنظيفها وباقي المنزل أيضاً، إنه منزل كبير وسنستغرق وقتاً طويلاً قبل الانتهاء من تنظيفه وتأثيثه، فما تزال معظم حاجياتنا داخل الحاويات وصعب جداً أن ننقلها في وقت واحد. سنتناول الآن طعام العشاء وبعدها نرتاح قليلاً فغداً سيكون يوماً حافلاً بالعمل.

بعد العشاء ذهبَ الجميع إلى غرفهم لأخذ قسط من الراحة وغطوا في النوم بسرعة بسبب التعب والإنهاك، أما لورا فجلست عند أحد الصناديق الممتلئة وفتحته لترفع صورة أليكس وتنظر إليها بحزن قائلة:

ـ لا أعرف ماذا أفعل، أشعر أني تائهة وأخاف أنني قد ظلمت أولادي بمجيئنا إلى هذا المكان، لكني مضطرة إلى ذلك فلا مكان ولا مال لدي، ليتكَ هنا الآن فلقد اشتقت إليك كثيراً يا عزيزي، وأشعر أن هذا الحمل أكبر مني

نزلت دمعتها على وجنتيها، واحتضنت صورة زوجها بين ذراعيها ثم نامت

***

كوابيس وأمنيات

فتحت كارن عينيها وأخذت تتنفس بصعوبة، ولم تستطع أن ترى أين هي فالظلام الحالك كان يغطي عينيها وهناك شيء ما يكمم فمها!! فحاولت أن تتحرك ولكن المكان كان ضيقاً جداً وكأنها داخل تابوت، ولم تستطع أن تصرخ لتطلب المساعدة فأخذت تركل بقدميها وتضرب بيديها ولكن من دون جدوى، بل إنها شعرت أن نبضات قلبها تزداد علواً وأن هناك خطراً ما يقترب منها لا تستطيع رؤيته. وفجأة انتفض جسدها لتستيقظ وهي تلهث فزعة من ذلك الكابوس، فأخذت تلتقط أنفاسها وتهدئ من روعها بينما هي تتلفت حولها في ظلام الغرفة ثم عادت لتنام مجدداً

أخذت تجري في ممرات ضيقة كأنها متاهة وخلفها يجري شيء ما لم تستطع أن تراه لكنه كان يصدر خواراً كصوت البقر، وبدا قريباً جداً من مسامعها. ولكن فجأة توقفت عن السير وقد أصبحت قدماها ثقيلتين ولا تقوى على رفعهما، وعندما حدقت فيهما وجدت نفسها تغوص وسط بركة من الطين اللزج، فحاولت أن ترفعهما لتهرب مما كان يلاحقها ولكن عندما التفتت خلفها وجدت ذلك الشيء يقترب منها بسرعة هائلة ويرتطم بها بكل قوته، فشعرت أنها تطير في السماء وتسقط بقوة على الأرض لتستفيق من كابوس آخر وتجد نفسها وقد وقعت على الأرض بعيداً عن سريرها!! انتابها الذعر هذه المرة وشعرت أنه ليس مجرد كابوس عادي خصوصاً أن جسدها كان يؤلمها عندما استفاقت، لذا لم تستطع العودة إلى النوم مجدداً من شدة الخوف وحاولت أن تبرر ما حدث لها أنه بسبب

الانتقال إلى منزل جديد فهو الذي أربكَ عقلها وتسبب لها بكل هذه الكوابيس، فأخذت تقنع نفسها أنها ربما سارت أثناء نومها أو ربما سقطت وتدحرجت بينما هي تصارع في ذلك الكابوس مما تسبّب لها بالألم. وقررت أن تتجاهل أفكارها المخيفة لذا أمسكت بهاتفها وقامت بتشغيل موسيقى هادئة أخذت تستمع إليها وهي تغمض عينيها فتذكرت والدها وحياتهم السابقة معه، وتمنت لو أن كل ما حدث كان مجرد كابوس وأن والدها ما يزال على قيد الحياة معهم. فجأة أحست أنّ أحداً يضع يده على كتفها ففتحت عينيها بسرعة لترى والدها يقف أمامها وعلى شفتيه ابتسامته الدائمة فارداً ذراعيه لها، فأخذت تفرك عينيها بدهشة معتقدة أنه مجرد حلم، لكنه كان ما يزال يقف أمامها وينظر إليها فنهضت من فراشها واقتربت منه ببطء وهي تشعر بالخوف، ولكن عندما وضعت يدها على وجهه ولمسته شعرت بالسعادة وارتمت بين ذراعيه وأخذت تبكي وتنتحب:

ـ أبي!! أنت حي لم تمت، لقد اشتقت إليك كثيراً، أرجوك لا تتركنا مجدداً

رفعت وجهها كي تنظر إليه لكنه لم يرد عليها بل ظل واقفاً ينظر إليها ويبتسم بلطف، فقالت له وهي تمسح دموعها:

ـ سأذهب لأخبر أمي أنكَ عدت...

ثم أسرعت نحو غرفة والدتها وحاولت أن توقظها

ـ أمي أرجوكِ استيقظي، أبي قد عاد، إنه حي لم يمت

استيقظت لورا وهي ما تزال تشعر بالإرهاق

ـ ما الذي تقولينه يا عزيزتي؟ اذهبي إلى النوم فأنت تحلمين

أمسكت ذراع والدتها، فاستيقظت إيمي أيضاً والتي كانت تنام مع والدتها في نفس الغرفة فقالت كارن:

ـ يجب أن تأتيا إلى غرفتي، أبي هناك صدّقاني

شعرت لورا بالأسى على ابنتها لذا نهضت وذهبت برفقتها وتبعتهما إيمي التي كانت تشعر بالذعر، ولكن عندما دخلوا إلى غرفة كارن كانت خالية، فشعرت كارن بالتوتر وأخذت تبحث في الغرفة وهي تحاول أن تقنع والدتها بما رأته

ـ صدقيني يا أمي لقد كان أبي هنا، حتى إنني احتضنته وتحدثت إليه!!

لكنها توقفت عن الكلام عندما لاحظت دموع والدتها وتوتر أختها، فقالت بعد صمت وهي تحاول أن تمنع نزول دمعاتها:

ـ أنا أعتذر يا أمي، ربما كنت أحلم به لأنني اشتقت إليه كثيراً..

احتضنت ابنتها وأخذت تمسح دموعها وتبتسم لها لتطمئنها ثم قالت:

ـ لا تقلقي يا عزيزتي، ربما حدث ذلك لأنّ المنزل جديد ونحن منهكون، وأنت اشتقت إلى منزلنا القديم فتخيّلتِ وجود والدك هنا معنا..

وافقتها كارن باستسلام:

ـ أجل، ربما هذا ما حدث لي، أنا أعتذر مجدداً لأنني أزعجتكما

ولكن بداخلها كانت تعلم أنه ليس مجرد حلم أو خيال، فقد أحست بوجوده ولمست وجهه واستطاعت أن تحتضنه

ابتسمت إيمي لأختها وقالت:

ـ يمكنكِ النوم معنا أنا وأمي إن كنت تشعرين بالخوف، فالسرير كبير جداً

لكن كارن قررت أن تكمل ليلتها في غرفتها، فهي لا تريد أن تسبب القلق لوالدتها أكثر. وعندما خرجتا، حاولت النوم مجدداً ولكنها لم تستطع إلا بعد أن أشرقت الشمس وغمر نورها الغرفة من بين الستائر المهترئة.

استيقظت لورا وإيمي مبكراً وبدأتا بتجهيز الإفطار للجميع، ثم طلبت من إيمي أن توقظ أخويها فذهبت أولاً إلى غرفة جاك الذي كان يغط في نوم عميق فهزّته قليلاً

ـ هيا استيقظ يا جاك، الإفطار جاهز

رفع رأسه وهو ما يزال يشعر بالنعاس والتعب وأخذ يتأوه، وقال بينما هو يحاول أن يفتح عينيه:

ـ صباح الخير، ما زلت أشعر بالتعب وأشعر بألم فظيع في جسدي، وكأنني كنت أحمل أثقالاً وأنا أركض بها

ابتسمت إيمي بسخرية وهي تجرّه من يده وقالت:

ـ كل هذا وأنتَ لم تنتهِ حتى من تنظيف غرفتك؟!! هيا أيها الكسول سأذهب لأوقظ كارن أيضاً، والدتي تنتظر

عندما دخلت غرفة كارن وجدتها نائمة بعمق فتذكرت أحداث الليلة الماضية، لذا ترددت هل توقظها أم تتركها ترتاح قليلاً؟ لكن كارن فتحت عينيها وهي تتمطى بتعب وتتثاءب وقالت:

ـ صباح الخير، هل استيقظَ الجميع؟

ـ صباح النور، نعم ولكنني كنت مترددة في إيقاظك خصوصاً أنكِ لم تنامي جيداً البارحة

التفتت إيمي نحو الباب الخشبي وقالت:

ـ ألم تستطيعي فتح هذا الباب بعد؟ لا أعرف كيف تستطيعين النوم في الغرفة مع وجود هذا الباب الغريب!!

ـ لقد حاولت عدة مرات ويبدو أنه لن يفُتح بسهولة، لذا قد نحتاج إلى شخص متخصص كي يفتحه بأي طريقة! فأنا أشعر بالفضول وأريد أن أعرف ما الذي يوجد خلفه!

قالت ذلك بينما هي تنهض من الفراش وتقترب من المرآة لترتب شعرها، بينما كانت إيمي تحدق في الباب وقد أحست ببعض الخوف وجعلها ذلك الشعور تصاب بقشعريرة، فقد لاحظت أن مقبض الباب يتحرك ببطء وكأنّ هناك أحداً خلفه يحاول أن يفتحه ثم توقف، لكنها قررت عدم إخبار أي أحد فلربما هي تتخيل ذلك أيضاً بسبب التعب كما حدث لأختها البارحة، ولا تريد أن تثير المشاكل أو تسبب الخوف لوالدتها والآخرين.

نزل الجميع بعد أن جهزوا أنفسهم للذهاب إلى المدرسة الجديدة. وتناولوا الإفطار ثم أوصلتهم والدتهم إلى المدرسة التي لم تكن

كبيرة، بل كانت مؤلفة من عدة فصول صغيرة تبدو قديمة ومتهالكة، فشعر الأولاد بالإحباط قليلاً ولكن إيمي قالت في محاولة منها لرفع معنوياتهم:

ـ دعونا لا نستبق الأحداث، لربما تعجبنا المدرسة فهذا أول يوم لنا فقط

تركتهم لورا أمام المدرسة بعد أن ودعتهم وسارت عائدة إلى المنزل، وأثناء سيرها في الحي القريب من منزل خالتها لاحظت أن السكان ينظرون إليها من دون أن يبتسموا، بل كانت نظراتهم مليئة بالبغض وبالضيق فقررت أن تقف لتتحدث إليهم بتودد لعلها تكسبهم وتستطيع الاندماج معهم، فأوقفت سيارتها عند أحد المنازل عندما شاهدت سيدة برفقة طفلة صغيرة تلعب معها فاقتربت منهما وقالت بلطف:

ـ صباح الخير سيدتي، اعذريني على التطفل...

وقبل أن تكمل جملتها التفتت المرأة إليها وأخذت تنظر إليها بحقد لعدة ثوان، ثم حملت طفلتها ودخلت إلى منزلها وأغلقت الباب بقوة مما جعل لورا تجفل وتفتح عينيها بدهشة وحيرة من تصرف تلك المرأة الغريب!! ولكنها قررت أن تكمل طريقها فلربما هذه السيدة لا تحب الغرباء وتخشاهم، فعادت إلى المنزل وأخذت تنظف وترتب الأثاث لتشغل نفسها عن التفكير بكل ما يقلقها ويزعجها، ثم تذكرت ذلك الباب الغريب في غرفة كارن وقررت أن تبحث عن شخص ليساعدها على فتحه، ولكنها فكرت أين ستجد ذلك الشخص في هذه القرية خصوصاً بعد أن رأت طريقة تعاملهم معها وغرابة

تصرفاتهم؟ فلم يكن أمامها سوى الخروج من المنزل والمحاولة مجدداً مع الجيران لربما تجد من يساعدها أو يدلها على نجار على الأقل

فاختارت عشوائيا أحد المنازل القريبة وطرقت الباب أكثر من مرة ولكن لم يجبها أي أحد رغم أنها سمعت أصوات أطفال داخل المنزل، فقررت بعد تردد أن تنظر من النافذة فلربما لم يسمعوها أو ينتبهوا إلى وجودها، لكنها شعرت بالذعر عندما شاهدت مجموعة من السيدات داخل المنزل يمسكن بأيدي بعضهن بعضاً وكأنهن يقمن بطقوس غريبة ويرتلنَ كلاماً غير مفهوم، فتراجعت لورا إلى الخلف بحذر خشية أن يرونها وهي تختلس النظر إليهنّ. وتوجهت إلى منزل آخر ولكن لم يرد أحد عليها أيضاً. حينها استسلمت وقررت العودة إلى المنزل والبحث عن طريقة أخرى لفتح ذلك الباب أو ربما تبحث في الجرائد علّها تجد إعلاناً لنجار أو لعامل بناء يساعدها. وفجأة وبينما هي تسير نحو المنزل شاهدت رجلاً ضخماً يقف أمامها ويحمل بيده فأساً وهو يقترب منها وكأنه ينوي ضربها به، فأخذت تتراجع وهي تنظر إليه ثم تسرع الخطى وتلتفت بين الحين والآخر ولكنها تعثرت بصخرة كانت أمامها لم تنتبه إليها فسقطت على الأرض وأخذت تتأوه من الألم وهي تمسك بقدمها. وعندما التفتت إلى الرجل لتنظر إليه كان يقترب منها أكثر وأكثر فحاولت النهوض مجدداً وأخذت تعرج في مشيها ولم تستطع أن تتوازن بقدم واحدة وكادت أن تسقط مجدداً على الأرض، ولكن الرجل الضخم أمسك بها بسرعة وثبّتها في مكانها من دون أن يتركها فصرخت لورا بأعلى صوتها.

***

جلست إيمي وحدها في ساحة المدرسة تبحث بعينيها عن أخويها ولكنها لم تجدهما، بينما أخذت تتحاشى نظرات الطلاب إليها، فقد لاحظت أنهم ينظرون إليها باشمئزاز وغضب من دون أن تفعل ما يسيئ إليهم، مما جعلها تبتعد عن الجميع حتى اقتربت منها كارن وسألتها:

ـ كيف كان يومك الأول؟

ردت إيمي وهي تنظر إلى الطلاب الذين ما يزالون ينظرون إليها بضيق، وقالت:

ـ لم أشعر بالراحة أبداً، فالجميع ينظرون إلي نظرات غريبة وكأنني كائن فضائي أو زومبي، حتى المعلمة داخل الصف كانت تراقبني طوال الحصة فشعرت وكأنني قنبلة وسأنفجر فجأة، وهم خائفون من حدوث ذلك!!

تنهدت كارن بحزن، وجلست بالقرب من أختها وقالت:

ـ كنت أعتقد أنني واهمة، أنا أيضاً لاحظت أنهم ينظرون إليّ نفس النظرة ولم أتجرأ لأسألهم عن السبب

وبينما هما تتحدثان اقترب جاك وعلى وجهه الحزن وقال:

ـ أكره هذه المدرسة ولا أعتقد أنني أستطيع البقاء فيها، فجميع الطلبة ينظرون إلي...

قاطعته إيمي قائلة:

ـ ينظرون إليك وكأنك كائن فضائي أو قنبلة ستنفجر...

ردّ جاك بدهشة قائلاً:

ـ أجل، أو كشخص مريض، وسأنقل إليهم مرضاً معدياً!!

ضحك ثلاثتهم فالتفت جميع الطلاب إليهم وأخذوا ينظرون إليهم باحتقار، فقالت كارن وهي تنظر إلى ساعتها:

ـ لا أحتمل تلك النظرات المريبة، سأذهب إلى الصف وسنلتقي بعد انتهاء اليوم الدراسي

بينما كانت كارن تستمع إلى شرح الدرس داخل الصف انتابتها حالة من العطاس فجأة، فتوقفت المعلمة عن شرح الدرس وأخذت تنظر إلى كارن. وعندما انتبهت إلى ذلك قالت معتذرة:

ـ أنا أعتذر، ربما تغيير الجو سبّب لي ذلك

ابتلعت ريقها بتوتر عندما اقتربت منها المعلمة لتقف بالقرب منها، وتهمس في أذنها:

ـ أنتم نذير شؤم، اخرجوا من قريتنا

ثم ابتعدت. عادت لتكمل شرح الدرس مجدداً وكأنه لم يحدث أي شيء!! لم تحتمل كارن تصرف المعلمة معها وما قالته لها فأخذت حقيبتها وخرجت من الصف مسرعة، وقررت أن تبلغ إدارة المدرسة بما قالته المعلمة وبتصرفها القاسي معها، ولكنها تراجعت عن ذلك فالجميع كانوا ينظرون إليهم بحقد وغضب، وقد تلاقي نفس التعامل من إدارة المدرسة!! لذا قررت أن تصمت وتتجاهل ما حدث

حتى لا يزداد الأمر تعقيداً. بعد أن انتهى اليوم الدراسي ظل الثلاثة واقفين أمام المدرسة ينتظرون والدتهم التي تأخرت كثيراً، فقال جاك وهو يمسح العرق عن جبينه:

ـ المدرسة ليست بعيدة عن منزلنا، لماذا لا نعود سيراً على الأقدام؟ أمي تأخرت وأنا أشعر بالتعب والجوع

أجابته إيمي بحزم:

ـ لننتظرها فنحن لا نعرف هذه القرية، ولا نريد أن نتعرض إلى مشاكل، فيكفي ما حدث لنا في المدرسة

كانت كارن تفكر طوال الوقت بما قالته لها المعلمة (نذير شؤم) وما الذي تقصده بذلك، ولكن قاطعَ جاك أفكارها قائلاً:

ـ ما رأيكِ يا كارن، هل نعود أم ننتظر أمي؟

أجابتهُ بعد تفكير، خصوصاً وأن المدرسة أصبحت خالية

ـ سأقوم بالاتصال بها وبعدها نقرر

اتصلت كارن بوالدتها ولكنها لم ترد، فقالت:

ـ إذن سنعود سيراً على الأقدام، لقد تأخر الوقت كثيراً وربما أمي منشغلة بتنظيف المنزل ولم تنتبه إلى الوقت، لكن لنكن حذرين فلا نتحدث مع أي شخص أثناء عودتنا، وسنتجاهل كل شيء قدر استطاعتنا.

سار الثلاثة نحو منزلهم ولاحظوا أن شوارع القرية خالية تماماً، فقالت إيمي وهي تتلفت حولها وتنظر إلى المنازل:

ـ ما هذه القرية الغريبة!! انظري الطريق خالٍ تماماً وكأنها قرية مهجورة

فردّت كارن:

ـ في الحقيقة لا أعرف لماذا خالة والدتي اختارت هذه القرية لتبني قصراً فخماً وتسكن فيها؟ الأمر غريب جداً!!

وأثناء سيرهم شاهدوا منظراً غريباً جعلهم يقفون وينظرون إلى ما يحدث بريبة، فقد تجمع أهالي القرية بشكل دائري كل منهم يمسك بيد الآخر ويرفعون أياديهم إلى الأعلى وهم يتحدثون بكلمات غريبة ويهمهمون، وقد ذكّرهم هذا المنظر بما شاهدوه عندما وصلوا إلى القرية أول مرة!! فاختبأ الأولاد خلف شجرة وأخذوا يراقبون ما يحدث أمامهم. كانت أصواتهم ترتفع أحياناً وأحياناً أخرى تنخفض بشكل مفاجئ، فهمست إيمي لإخوتها قائلة:

ـ ماذا يفعلون؟!

أشارت إليها كارن بالصمت ثم أكملوا سيرهم بحذر وهم يراقبون أهالي القرية وما يفعلون حتى ابتعدوا عنهم، وعندما اقتربوا من المنزل قال جاك:

ـ منظرهم كان مخيفاً، هل هم من عبدة الشيطان؟

ردت كارن وهي تفتح باب المنزل:

ـ لا أعلم ولكن لنخبر أمي بما رأيناه فهذه القرية تبدو مريبة جداً، ويجب أن نحذرها.

بحث الثلاثة عن والدتهم في أرجاء المنزل ولم يجدوا لها أي أثر، فذهبت كارن إلى غرفتها لعلها تجدها هناك تحاول فتح الباب الخشبي، فقد أخبرتهم بأنها ستبحث عمن يساعدها في ذلك، لكنها لم تجدها فقال جاك:

ـ ربما ذهبت للبحث عن نجار ليساعدها على فتح الباب، أو قد تكون ذهبت للتسوق

ـ لا أعلم، ولكن ليس من عادتها أن تخرج من دون أن تخبرنا أو حتى تتصل بنا!!

وبعد مرور أكثر من ساعة ازداد قلقهم على والدتهم خصوصاً أنهم بحثوا في كل مكان في المنزل، فأخذت إيمي تبكي وقد انتابتها أفكار سوداوية حول ما يكون قد حدث لوالدتها وقالت:

ـ ربما تعرضت أمي إلى سوء ونحن لا نعلم، يجب أن نخبر الشرطة

احتضنتها كارن وحاولت أن تهدئها قائلة:

ـ توقفي يا إيمي أرجوك، أمي بخير صدقيني وستعود بعد قليل

وبينما هم قلقون على والدتهم كان سكان القرية يجتمعون في حلقة دائرية وقد وقف في وسطهم رجل يبدو عليه الغضب فصرخ فيهم قائلاً:

ـ لقد اجتمعنا اليوم وكعادتنا كل أسبوع لمناقشة ما يحدث في قريتنا، ولكن هذه المرة اجتمعنا كي نجد حلاً للمشكلة التي وقعنا فيها

صفّق الجميع وأخذوا يهتفون مؤيدين لما يقوله الرجل، ثم أكمل وهو يشير إلى منزل الخالة قائلاً:

ـ ذلك المنزل الملعون بمن فيه، علينا أن نتخلص منهم ومن شرّهم قبل أن يُقتل المزيد منا

أخذ بعضهم يصرخون بغضب ويقولون:

ـ أجل، اطردوهم من قريتنا، فلا نريد مشعوذين ومجرمين هنا

ثم قالت سيدة منهم:

ـ يكفي ما فقدنا من أحبائنا، تلك الساحرة تسببت في مقتل زوجي..

ثم صاح رجل فيهم مجدداً قائلاً:

ـ سننتقم... ولن نترك تلك الشريرة ترتاح

***

فتحت لورا عينيها ببطء وأحست بصداع فظيع مما جعلها تتأوه وهي تحاول النهوض لتعتدل في جلستها، وأخذت تتلفت حولها لتكتشف أنها في غرفة صغيرة جداً تحوي سريراً ودولاباً صغيراً فقط، فنهضت من مكانها واقتربت من الباب لتفتحه فلاحظت أنه مقفل من الخارج فأخذت تطرقه عدة مرات وتصرخ طلباً للنجدة. وفجأة فتح أحدهم الباب مما جعلها تتراجع لتصطدم بالحائط الذي كان خلفها بقوة، فقد دخل إلى الغرفة ذلك الرجل الذي كان يلاحقها بالفأس ووقف أمامها وأخذ ينظر إليها بوجهه الغاضب الذي جعلها

تتصبب عرقاً، وقد لاحظت ذلك الجرح العميق الذي امتد من عنقه حتى عينه فسألته بخوف قائلة:

ـ ما الذي تريده مني؟؟ صدقني أنا لا أملك المال..

ظلّ وجه الرجل حازماً وهو يقول مشيراً إلى الكأس الذي على المنضدة:

ـ اشربي هذا الشاي، يبدو أنك ما زلتِ تعانين من الصداع

فالتفتت إلى الكوب، ثم عاودت النظر إلى الرجل وقالت:

ـ أرجوك دعني أذهب، أولادي ينتظرونني

اقتربَ الرجل منها وعندها استطاعت رؤيته بشكل أوضح، فقد بدا أنه في مقل عمرها تقريباً أو أكبر قليلاً، كما أن تلك الندبة بدت واضحة بشكل أكثر وكأنها جرح قديم لم تتم العناية به بشكل صحيح حتى ترك أثراً قبيحاً على وجهه، جعله يبدو مخيفاً. وعندما وقفَ أمامها مباشرة قال لها وهو يمد يده للمصافحة:

ـ أنتِ لورا أليس كذلك؟ أنا آدم.

ظلت تنظر إلى يده تارة وإلى وجهه تارة أخرى، ثم سألته:

ـ كيف عرفتَ اسمي؟ ولماذا تحتجزني هنا؟ من أنت؟

أنزل آدم يده وقال:

ـ أنا لا أحتجزك، تستطيعين الخروج من هنا الآن

وقبل أن يتم جملته أسرعت نحو الباب كي تخرج، لكنه قال لها

قبل أن تفتح الباب:

ـ ربما تستطيعين الخروج من هنا ببساطة، ولكن من سيخلصك مما وقعتِ فيه؟

أرادت أن تعرف ماذا يقصد بما قاله، لكنها تذكرت أبناءها الذين ينتظرونها في المدرسة فخرجت مسرعة عائدة إلى المنزل لتأخذ سيارتها وتذهب إليهم، لكن عندما وصلت إلى المنزل شاهدت أبناءها يقفون خارجاً وقد بدا عليهم القلق والخوف وإيمي تبكي، فأسرعت نحوهم واحتضنتهم ثم أخبرتهم بما حدث لها مع ذلك الرجل، وكذلك أخبرها الأولاد بما شاهدوه في القرية وما حدث لهم في المدرسة. فقالت لورا وقد بدأت تشعر بالذنب:

ـ لا أعرف ماذا أقول لكم يا أبنائي، ربما أخطأت في المجيء معكم إلى هنا. ولكن ماذا أفعل فأنا لا أملك حلاً آخر

احتضنت إيمي والدتها وقالت لتطمئنها:

ـ لا تقلقي يا أمي نحن سنعتاد على تصرفات الطلاب معنا، وربما مع الزمن يتقبلون وجودنا فنحن غرباء بالنسبة إليهم وتعرفين سكان القرى كم هم انطوائيون

قالت كارن معلقة:

ـ بصراحة تصرفاتهم غريبة وكذلك ملابسهم، وكأنهم جاؤوا من عصر قديم

فكرت لورا بقلق وهي تتذكر ما قاله الرجل الغريب آدم، ثم قالت كي تبعد المخاوف عن عقلها:

ـ غداً سأذهب للبحث عن وظيفة مناسبة قبل أن ينفذ ما لديّ من مال

ابتسمت كارن بحماس، وقالت:

ـ أنا أيضاً سأعمل يا أمي كي أساعدك

ـ كلا يا عزيزتي، لم يبقَ على انتهاء الدراسة سوى شهر تقريباً وهذه آخر سنة دراسية لكِ، لذا يجب أن تجتهدي وتهتمي بدروسك وبعدها تفعلين ما تشائين

تناولوا طعام العشاء ثم جلسوا أمام التلفاز يشاهدون أحد البرامج الوثائقية، ما عدا إيمي التي قررت أن تذهب إلى المكتبة للقراءة ولإكمال ترتيبها

***

لسنا وحدنا

في المكتبة جلست إيمي على أحد الكراسي بعد أن قامت بتنظيفه، وأمسكت بأحد كتبها وأخذت تقرأ بتمعن من دون أن تنتبه لما يجري حولها، ولكنّ صوتاً غريباً جعلها تتوقف عن القراءة وتنظر إلى ما حولها لترى مشهداً مرعباً يحدث أمام عينيها!! فقد اهتزت جميع الكتب وهي على الرفوف ثم سقطت على الأرض بشكل مفاجئ، فأخذت إيمي تصرخ وهي تنظر إلى تلك الكتب وهي تتساقط، فخرجت مهرولة نحو غرفة الجلوس حيث كانت تجلس والدتها مع أخويها وهي تبكي وترتعد وقد اصفر وجهها وقالت:

ـ أمي، تعالي معي إلى المكتبة بسرعة

ـ ما بك يا عزيزتي؟ لماذا تبكين؟

ـ المكتبة، الكتب... لقد سقطت على الأرض فجأة..

اقتربت لورا مع أبنائها من باب المكتبة وأدارت المقبض بحذر بينما إيمي ترتجف خوفاً، ولكن عندما فتحت الباب كانت الغرفة مرتبة وجميع الكتب على الرفوف كما وضعتها سابقاً وكل شيء في مكانه ماعدا رواية إيمي الملقاة على الأرض قرب الكرسي، حيث ألقتها من يدها قبل أن تخرج!!

انفجرت إيمي بالبكاء وهي تشير إلى المكتبة وتقول:

ـ صدقيني يا أمي تلك الكتب كانت مبعثرة على الأرض، لقد سقطت جميعها أمام عيني!!

شعرت لورا بالقلق على ابنتها التي كانت تبكي بشكل هستيري وهي تتحدث عما حدث لها فاحتضنتها وقالت:

ـ أنا أصدقكِ يا بنتي ولكن الكتب الآن في مكانها لذا لا تقلقي، فلربما حدث شيء ما جعلك تتوهمين أنها سقطت

لكن إيمي كانت مصرة فاستمرت في محاولة إقناعهم حيث قالت:

ـ كلا لم أكن أتوهم، لقد رأيتها بعيني تسقط واحدة تلو الأخرى حتى إنني وقفت لعدة ثوانٍ وأنا أنظر إليها غير مصدقة!!

وقفت لورا عاجزة أمام توتر ابنتها وإصرارها، فهي لا تعرف ما الذي حدث ولم ترَ بعينيها ما تقوله إيمي لكنها قالت:

ـ حسناً سنجد تفسيراً مناسباً يفسر ما حدث لكِ بشكل منطقي، أما الآن فيجب أن ترتاحي وتحاولي أن تهدئي قليلاً

لم تشأ إيمي أن تناقش والدتها أكثر فأخذت تنظر إلى رفوف الكتب بحزن وتتذكر ما رأته ثم تركتهم وذهبت إلى غرفتها بصمت. لم تستطع لورا النوم طوال الليل وهي تفكر بكل ما حدث لهم خلال اليوم، الرجل الغريب وحديثه معها، طقوس أهل القرية وتصرفاتهم المريبة ونظراتهم الحاقدة، ابنتها كارن التي تخيلت وجود والدها والآن إيمي وما حدث لها في مكتبة الكتب!! فظلت تبحث عن حل يخرجهم من هذا المنزل من دون الاضطرار إلى البقاء في الشارع. ولكن إلى أين ستذهب وكيف ستفعل ذلك وهي عاجزة بلا مال أو شخص تلجأ إليه؟! ففكرت أن تعرض المنزل للبيع، لكنها تذكرت وصية خالتها بعدم بيع المنزل لأي سبب كان وأخذت تتساءل وتضع

الاحتمالات الممكنة عن سبب هذه الأحداث الغريبة، وانتهت بفكرة واحدة جعلتها تصاب بقشعريرة وهي أن المنزل قد يكون مسكوناً بالأشباح والأرواح الشريرة!! أخذت تتلفت يميناً وشمالاً وهي تنظر إلى ما حولها في غرفة النوم، ثم التفتت إيمي والتي كانت نائمة بهدوء قربها، فتنهدت بحزن وهي تتذكر الأيام الماضية وحياتها الهادئة مع زوجها وأبنائها، فهي لم تتصور أنها ستفقد هذا الهدوء وتعيش هذه الظروف الصعبة وحدها مع ثلاثة أبناء أصبحت هي مسؤولة عنهم بشكل كامل، فاقتربت من ابنتها وأخذت تمسح على شعرها وقبلتها على وجنتها ثم استلقت بالقرب منها واستسلمت للنوم عند بزوغ الفجر.

في غرفة جاك، وبينما كان يغط في نوم عميق، سمع صوتاً غريباً جعله يستفيق من نومه مفزوعاً وأخذ يتلفت حوله وينظر إلى زوايا الغرفة بين الحين والآخر خصوصاً بعد أن سمع صوتاً أشبه بصوت الأطفال الصغار، صوتاً يتحدث بكلمات غير مفهومة ثم تبعه صوت ضحكة!! فازداد توتره وأخذ يفرك عينيه معتقداً أنه يتوهم أو ما يزال نائماً ويحلم، لكن الصوت بدا واضحاً جداً، ورغم خوفه إلا أنه لم يشأ أن يوقظ والدته ويخيفها مجدداً، لذا استلقى على الفراش وحاول أن يُغمض عينيه ويتجاهل كل شيء.

ولكن بعد عدة دقائق سمع الصوت مجدداً بشكل أكثر قرباً منه، فنهض من سريره وقرر أن يخرج من الغرفة فقد بدأ الخوف يسيطر عليه أكثر. ولكن فجأة لاحظ وجود شيء صغير على الأرض بالقرب من سريره فاقترب من ذلك الشيء بحذر ليجد حذاء صغيراً مصنوعاً من الخشب بلون أزرق، وحجمه لا يتعدى طول الخنصر، لكنه كان

متقن الصنع بجميع تفاصيله وزخارفه الجميلة التي رسمت عليه بدقة، فأخذ يتمعن فيه بإعجاب ودهشة، ثم سمع صوتاً طفولياً يقول:

ـ هل أعجبكَ حذائي، هل تريد مثله؟

فانتفض جاك، وأخذ يبحث حوله عن مصدر الصوت

ـ أنا هنا تحتك مباشرة، ألا تراني انظر إلى الأسفل؟

أدار بصره نحو الصوت الذي كان بالقرب من قدميه مباشرة، وانحنى ليكون أقرب.

***

استيقظت لورا وهي تشعر بتعب وإرهاق حيث كان نومها مليئاً بالكوابيس والأحلام المزعجة التي جعلتها تستيقظ عدة مرات طوال الليل مفزوعة، لكن لم يكن أمامها سوى النهوض لتعدّ طعام الإفطار لأبنائها، فأيقظت إيمي بقبلة لطيفة، وطلبت منها أن توقظ أخويها كي يتناولوا جميعاً الإفطار

تثاءبت إيمي بكسل لأنها أرادت أن تكمل نومها، فلا حاجة للاستيقاظ مبكراً في يوم العطلة الأسبوعية. لكنها تذكرت ما حدث لها في المكتبة عندما كانت وحدها فنهضت بسرعة كي توقظ أخويها، إنها لا تريد أن تبقى وحدها أبداً. طرقت باب غرفة كارن ثم فتحته ببطء وحدقت في أختها التي كانت ما تزال نائمة وسماعة الهاتف في أذنها، فاقتربت منها ونزعت السماعات من أذنها ثم قالت:

ـ كارن استيقظي، لماذا تنامين والسماعات في أذنيك؟

فتحت كارن عينيها وأخذت تتثاءب في الفراش وقالت:

ـ صباح الخير، لماذا أستيقظ الآن؟ إنه يوم عطلة

ـ أمي طلبت مني ذلك، سأذهب الآن إلى غرفة جاك كي أوقظه أيضاً

طرقت إيمي باب غرفة أخيها ثم دخلت لكنها لم تجده في فراشه، فبحثت عنه في الشرفة ولم تجده أيضاً، فاعتقدت أنه قد استيقظ مبكراً وذهب إلى المطبخ أو دخل إلى دورة المياه.

وفي المطبخ كانت لورا تحضر بعض الفطائر المحلاة وتسخن الحليب، وعندما دخلت إيمي سألتها:

ـ هل استيقظ أخواكِ؟ أين هما؟

ـ كارن ترتدي ملابسها، وجاك لم أجده في غرفته، ألم يأتِ إلى هنا؟

توقفت لورا عما كانت تفعل، والتفت نحو إيمي ثم قالت:

ـ كلا لم أره، هل أنتِ متأكدة أنه ليس في غرفته؟

شعرت بالقلق على ابنها فهذا المنزل لم يعد مكاناً آمناً بعدما فكرت فيه طوال الليل، فتركت ما بيدها وذهبت تبحث عن جاك لكنها لم تجده في غرفته ولا في الحمامات ولا في أي مكان قد يذهب إليه!! فازداد قلقهم ولم تعرف ماذا تفعل أو أين تبحث، فأخذت تصرخ منادية باسمه بصوت عالٍ في أرجاء المنزل وفي الحديقة الخلفية لعله يسمعها أو تستدل على مكانه. واستمر بحثهنّ عنه لأكثر من ساعة من دون جدوى حتى خارت قواها وشعرت باليأس وأخذت

تبكي.. بينما استمرت كارن وإيمي في البحث عنه ولم تجدا له أي أثر، فقررت لورا أن تذهب إلى مركز الشرطة وتطلب منهم المساعدة فلربما خرج مبكراً من المنزل وتاه ولم يعرف طريق العودة، فصعدت إلى غرفتها كي تبدل ملابسها ولحقتها كارن التي كانت تبكي فاحتضنت والدتها التي قالت لها:

ـ لا تقلقي يا عزيزتي، ربما ضلّ طريقه ولا يعرف كيف يعود إلى المنزل، لذا سأذهب إلى الشرطة كي يساعدونني

ثم خرجت متجهة إلى مركز الشرطة، وظلت كارن تبكي في غرفتها متمنية أن يكون جاك بخير ولم يحدث له أي سوء، وفجأة سمعت طرقاً يأتي من إحدى الجدران في غرفتها فشعرت بالخوف لكنها تتبعت مصدر الطرق حتى اقتربت من الباب الخشبي، وشاهدت مقبض الباب يهتز بقوة وكأن أحدهم يحاول فتحه من الداخل، ثم تبعه صوت الطرق عدة مرات فوضعت أذنها على الباب لتسمع ما خلفه، لكنها أصيبت بالدهشة عندما سمعت صوت جاك يستنجد خلف الباب!!

ـ أمي أخرجيني من هنا، ساعدوني لا أستطيع فتحه

صرخت كارن بصوت عالٍ وأمسكت بالمقبض وحاولت أن تفتحه وقالت:

ـ جاك كيف دخلت إلى هنا؟! سأخرجك لا تفزع أرجوك

فسمعت صراخها إيمي التي دخلت مسرعة ووقفت تشاهد ذلك الباب وهو يهتز وصوت أخيها يصرخ من خلفه، بينما كانت كارن

تحاول تهدئته فأخذت تبحث مع إيمي عن شيء ما لتكسر به مقبض الباب ولكن لم تجدا أيّ شيءٍ مناسبٍ، فشعرت بالحيرة وأخذت تبكي بعجز، وفجأة توقف جاك عن الصراخ وطرق الباب واختفى صوته، فانتابهما الخوف على أخيهما واقتربتا بحذر من الباب وطرقت كارن عدة طرقات بهدوء ثم أدارت المقبض بحذر وهي ترتعد خوفاً ولاحظت أنه يستجيب لها هذه المرة فتعالت ضربات قلبها ذعراً مما قد تراه خلف الباب. وعندما فتحته خرج جاك منه وكأنّ شيئاً ما قذفه بقوة ثم أُغلقَ الباب خلفه بسرعة ووقفت الفتاتان تنظران إلى أخيهما وهما في حالة من الدهشة حتى نهضَ جاك وأخذ ينظر حوله ويحدق في الباب وقد بدا مرتبكاً جداً وهو يقول:

ـ كيف... كيف حدث كل ذلك؟ هل كنت أحلم؟!ما الذي حدث لي!؟

***

عندما وصلت لورا إلى مركز الشرطة والذي كان عبارة عن مبنى صغير يحوي مكتبين وغرفة للحجز، وقفت تنتظر دورها للتحدث مع الضابط بفارغ الصبر، رغم أن المركز كان خالياً إلا أن الموظفة طلبت منها الانتظار لحين يأتي دورها. وعندما دخلت على الضابط وأخبرته عن اختفاء ابنها لاحظت أنه غير مهتم واستمرّ بتجاهل حديثها وهو منشغل بقلمه أو بالأوراق التي أمامه بدون أية ردة فعل، وبعد صمت سألها:

ـ والآن ما الذي تريدينه منا؟!

حدقت إليه بدهشة، ثم تحول ذلك إلى غضب وقالت:

ـ أريدكم أن تبحثوا عنه في المنطقة، لقد انتقلنا حديثاً إلى هنا، وقد يكون ابني تائهاً

لم يهتم الضابط لكلامها، بل ظل هادئاً ثم قال لها:

ـ لا نستطيع مساعدتك يا سيدة، استعيني بما أتيتِ من أجله، نحن هنا نخدم من يحتاجون إلينا فقط، والأفضل لكم أن ترحلوا وتتركوا سكان القرية بسلام

ـ ما الذي تقصده؟ ولماذا تتعامل معي بهذه الوقاحة؟!

استمر ينظر إليها وعلى فمه ابتسامة ساخرة، فلم تحتمل لورا ذلك، وخرجت من مكتبه بعد أن صفقت الباب خلفها بقوة وهي تبكي، وأخذت تفكر بسبب وقاحته معها وما الذي يقصده بقوله وفجأة سمعت صوتاً خلفها يقول:

ـ هل تحتاجين إلى مساعدة؟

التفتت خلفها فرأت ذلك الرجل الذي التقت به من قبل (آدم) يسير مقترباً منها فوقفت في مكانها، وأخذت تنظر إلى وجهه وتتساءل ما الذي سيفعله الآن وماذا يريد منها، لكنه وقف أمامها وقال:

ـ أعلم أنكِ في ورطة وتحتاجين إلى مساعدة شخص ما

فقالت بتردد:

ـ نعم هل تستطيع مساعدتي؟ أم أنك كباقي سكان القرية غريبي الأطوار؟

ابتسمَ آدم وقد لانت ملامحه الجادة قليلاً، فبدا أكثر راحة وهدوءاً

وقال:

ـ كلا لست مثلهم ولن أكون كذلك أبداً، والآن أخبريني كيف أساعدك؟

ـ لقد اختفى ابني ولا أعلم أين أذهب لطلب المساعدة!! لقد بحثنا عنه في كل مكان ولم نجد له أي أثر، وعندما استعنت بالشرطة سخرَ مني ذلك الضابط المغفل وقال لي كلاماً غريباً لم أفهم ما يعني به!!

حدّق في وجهها وكأنه يتفحصه فشعرت ببعض الخجل، ثم سألها:

ـ لماذا أتيتِ إلى هنا من جديد؟

ـ من جديد؟ كيف عرفتَ أنني كنت هنا من قبل، رغم أنني كنت طفلة حينها؟

ـ أجيبي على سؤالي واتركي الأسئلة غير الهامة الآن، لماذا عدتِ؟ وهل والدتك معك أيضاً؟

رفعت حاجبيها بدهشة وكأن هذا الرجل يعرفها من قبل، بالرغم من أنها لا تعرفه ولا تذكر أنها رأته في أي مكان من قبل. لكنها أجابته قائلة:

ـ عدتُ بسبب الظروف التي أجبرتني أن أنتقل إلى منزل خالتي، فقد توفي زوجي ولا أملك المال وبما أنني ورثت المنزل منها فكرت أن أنتقل إليه، فلم يكن هناك حل آخر أمامي

سحب آدم نفساً عميقاً وقال:

ـ إنها ليست الظروف يا لورا، بل القدر الذي ساقكِ إلى هنا لسبب ما

لم تفهم ما يقصده، ولكنها عندما وصلوا بالقرب من منزلها وشاهدت جاك يجري نحوها ويحتضنها شعرت بالراحة والسعادة وسألته:

ـ أين كنت يا حبيبي؟ وكيف تخرج من المنزل من دون أن تخبرني؟ لقد قلقت كثيراً

كان يريد أن يخبر والدته بما حدث له وأين كان:

ـ أنا آسف يا أمي ولكنني لم.....

فقاطعته كارن وهي تنظر إليه بطرف عينها كي يصمت وقالت:

ـ المهم أنه بخير الآن يا أمي، لقد كان نائماً في العليّة ولم ينتبه إلى أصواتنا ونحن نبحث عنه.

ثم اقتربت منه وقالت له همساً:

ـ لا تخبر أمي عما أخبرتنا به، على الأقل ليس الآن

كان آدم يراقب كل ذلك وقلبه مشغول بالمنزل، فأخذ ينظر حوله وقد ازدادت خفقات قلبه وبدا مذعوراً رغم أنه جاهدَ كي لا يبدو ذلك واضحاً على ملامحه، فقاطعت لورا أفكاره المشوشة ودعته كي يدخل إلى المنزل قائلة:

ـ تفضل يا سيد آدم، دعني أدعوك إلى تناول الشاي معنا

تردّد آدم قبل أن يدخل المنزل، ولكنه استجمع قواه وقرر أن يدخل ويتجاهل خوفه حتى لا تلاحظ لورا ما يعانيه. وعندما أصبحوا داخل المنزل عرّفته لورا على أبنائها وأخبرهم هو أيضاً أنه يسكن في

منزل قريب منهم، فقالت له إيمي بلطف:

ـ أتعلم يا سيدي، أنت أول شخص يتحدث إلينا في هذه القرية

ابتسمَ آدم بعد أن شرب قليلاً من الشاي وقال:

ـ ربما لأني لستُ من هذه القرية أيضاً، فقد انتقلت إلى هنا منذ أربع سنوات فقط

سألته كارن:

ـ وهل تجاهلوك أنت أيضاً وعاملوك باحتقار؟

ـ وما زالوا يتجاهلونني ولا يتحدثون معي أبداً

ـ أمرهم غريب وتصرفاتهم أغرب، ولكن ما الذي جعلك تأتي إلى هنا؟

انتابت آدم حالة من السعال عندما سمع سؤال كارن، أخذ يسعل فأعطته لورا بعض الماء وعندما هدأ قال:

ـ اعذروني أنا مشغول يجب أن أذهب الآن، شكراً على الشاي.

ثم خرج مسرعاً فلحقت به لورا كي تتحدث إليه وتسأله عن مدى معرفته بخالتها، لكنه لم يلتفت إليها واستمر في المشي بينما هي تناديه وتقول:

ـ أرجوك توقف يا سيد آدم...

لكنها لم تستطع أن تجاريه في مشيه فتوقفت وهي تنظر إليه بحيرة، وقالت بصوت عالٍ:

ـ أرجوك أنا أحتاج إلى مساعدتك

عندها توقف آدم والتفت إليها، وكان يبدو عليه الضيق والقلق وقال:

ـ أرجوك يا سيدتي، دعيني أذهب الآن

ـ أخبرني فقط كيف عرفتَ اسمي؟ وما الذي تعرفه عن خالتي؟ فأنا لا أعرفها ولا أذكر أي شيء عنها!!

تردّد قبل أن يخبرها ثم قال:

ـ عرفتكِ من خالتك لورين، فقد كنت أعمل عندها وقد حدثتني عنك وعن أختها إيزابيل. شعرت لورا بالحيرة، فما الذي ستخبره خالتها عنها وهي لا تعرفها

ـ خالتي تتحدث عني!! أنا لم أقم بزيارتها أبداً وكذلك والدتي لم تأتِ لزيارتها سوى مرة واحدة عندما كنتُ طفلة صغيرة!

ـ نعم أخبرتني بذلك أيضاً

أثار حديث آدم فضولها وقلقها، فقررت أن تسأله عن خالتها أكثر لعلها تعرف ما يحدث في منزلها فسألته:

ـ هل تستطيع أن تأتي لزيارتنا غداً صباحاً؟ أريد الحديث معك أكثر عن خالتي وعن هذا المنزل ما دمتَ تعرفها أكثر مني

تردد آدم في البداية لأنه لا يريد أن يتحدث عما يحدث في هذا المنزل، ولكنه وافق على الدعوة فشيء ما بداخلهِ يدفعه إلى محاولة حماية لورا ولا يعرف ما هو

ـ سأكون هنا في الثامنة صباحاً، إلى اللقاء وشكراً على الشاي.

وقفت لورا تراقب آدم وهو يبتعد، وأخذت تتساءل في نفسها عن السبب الذي يجعل خالتها تتحدث عنها إليه، وماذا أخبرته؟

ثم عادت إلى منزلها وحضّرت طعام العشاء، وبعد أن جلسوا على المائدة سألت جاك عن سر اختفائه وإلى أين ذهب فأجابها بعد أن ألقى نظرة على أخته كارن والتي حذرته من قول الحقيقة بنظرة من عينها فقال كذباً:

ـ كنت في العليّة يا أمي

ـ لقد بحثنا في العليّة أكثر من مرة وناديتك بصوتٍ عالٍ فكيف لم تسمعني؟ لا تكذب يا جاك أخبرني أين كنت؟

التفت إلى أخته مرة أخرى، ثم قال لأمه:

ـ كنت نائماً ولم أسمعك، صدقيني يا أمي

شعرت لورا أنه يكذب ويخفي أمراً ما، لكنها لم تشأ أن تجادله أكثر وقالت:

ـ حسناً، لا تفعل ذلك بي مرة أخرى، لقد شعرت بالخوف كثيراً حتى كدت أن أفقد عقلي وأنا أتخيّل ما حدث لك.

تركهم جاك بعد أن اعتذر لوالدته وصعد إلى غرفته، فقالت سارة لابنتيها

ـ أشعر أنه يخفي شيئاً ما، ويجب أن أعرف ما هو

قالت لها كارن لتطمئنها:

ـ لا تقلقي يا أمي كثيراً، ما يهم أنه بخير

ثم استأذنت متعللة بالتعب هي الأخرى وذهبت إلى غرفتها، وظلت إيمي تنظف المائدة مع والدتها وتفكر بكل ما قاله جاك لهم عن القزم والباب الخشبي، لكن صوت والدتها جعلها تجفل وقالت لها والدتها:

ـ ما بالُ أخويكِ اليوم؟ لقد ذهبا إلى غرفتيهما مبكراً؟

انتهت إيمي من تنظيف الأطباق، وقالت لوالدتها

ـ لا أعلم يا أمي، أنا أيضاً سأذهب إلى المكتبة، أريد أن أتم قراءة روايتي ثم سأنام، تصبحين على خير

ـ لكن الوقت ما يزال مبكراً

لم تجبها إيمي بل تركتها وذهبت مما جعلها تشك أن أبناءها يخفون أمراً ما عنها

بينما كان جاك شارد الذهن في غرفته ويفكر بكل ما حدث له في قرية الأقزام تلك، وكيف أنه انتقل إليها عبر الصندوق الخشبي وأخذ يتذكر ما حدث هناك.....

***

كن حذراً ممّا تتمنى

بعد أن شاهدَ جاك ذلك القزم الغريب واقفاً قرب قدمه، انحنى لينظر إليه بشكل أوضح وهو يشعر بالخوف والفضول فسأله:

ـ من أنت؟ وكيف دخلت غرفتي؟

أجابه القزم والذي كان يبدو كالأقزام التي تتحدث عنها القصص الخيالية بمظهره اللطيف وبملابسه المميزة قائلاً:

ـ اسمي جايدن، وأنا أصغر إخوتي وقد أتيت من الباب

اقترب جاك منه أكثر وحاول لمسه

ـ هل أنت حقيقي، أم أنني أحلم؟!!

ضحك القزم بلطف وقال:

ـ أنا حقيقي تماماً وتستطيع أن تلمسني، ولكن كن حذراً.. حتى لا تؤذيني

قرّب جاك إصبعه بحذر نحو جسد القزم الذي كان طوله لا يتعدى طول الكف تقريباً، وحاولَ أن يلمسه بحذر. وعندما تأكّد من أنه حقيقي أبعد إصبعه بسرعة وهو يشعر بالدهشة

ـ أنت حقيقي!! أنا لا أصدق بوجود الأقزام، كنت أعتقد أنكم مجرد أسطورة

ـ بل نحن حقيقيون ونعيش في عالم معاكس لعالمكم وفي بعد آخر، كما أنه لدينا أجناس مختلفة من الأقزام ونعمل كالبشر. فمنا

الطيّار ومنا البنّاء والمتخفّي، وهناك أقزام ضخمة وأخرى بحجم حبات الرمل أيضاً

أشار القزم إلى الحذاء الذي ما يزال بين يدي جاك، وأكمل قائلاً:

ـ والآن أعطني حذائي، فأنا أحتاجه كي أعود إلى قريتي..

نظر جاك إلى الحذاء الصغير الذي بيده ثم وضعه على الأرض قرب القزم، فوضع قدمه داخل الحذاء وقال لجاك:

ـ تعالَ معي، سأريك من أين جئت

تردّد جاك قليلاً لكنه لحقَ بالقزم، فقد شعر بالفضول وكأن أحدهم قد قام بتنويمهِ مغناطيسياً، وبالرغم من أن الوقت كان ما يزال مبكراً على استيقاظ إخوته ووالدته إلا أنه سار بحذر وهو يلحق بالقزم وينزل الدرجات بسرعة حتى خرج من المنزل، فتوقف جاك في مكانه وسأل القزم:

ـ إلى أين سنذهب؟ ستقلق أمي إن تأخرت

إلا أن القزم لم يرد عليه، بل أكمل طريقه حتى وصل إلى الكوخ الصغير الملحق بالمنزل وطلب من جاك أن يفتح بابه ثم دخلا سوياً إلى الكوخ الذي كان صغيراً جداً ولا يحوي إلا صندوقاً خشبياً يبدو عليه القدم، وعليه الكثير من النقوش والرموز الغريبة. فاقترب جاك منه وأخذ يتفحصه وسأل القزم:

ـ ما هذا الصندوق الغريب؟

فأجابه القزم وهو يحاول أن يصعد فوق الصندوق قائلاً:

ـ هل تذكر الباب الخشبي الموجود في غرفه أختكَ؟ إنه المخرج، وهذا الصندوق هو المدخل إلى عالمي

لم يفهم جاك ما يعنيه القزم الذي وقفَ فوق الصندوق وابتسم بسعادة فسأله:

ـ ماذا تقصد؟ عن أي مخرج ومدخل تتحدث؟؟

وبحركة سحرية قام بها القزم بعد أن وضع يديه على فتحات صغيرة في غطاء الصندوق، فُتح على مصراعيه أمامهما وأشار القزم إلى جاك قائلاً:

ـ هيا تعال معي، سأريك قريتي

شعرَ جاك أن القزم يسيطر عليه فلحقَ به وقفز بداخل الصندوق الذي أُغلق خلفهما ولم يستطع أن يتذكر ما حدث له داخل الصندوق، لكنه كان يتذكر ذلك الشعاع الأزرق القوي الذي جعله يغلق عينيه بقوة ليتجنبه، وعندما فتحهما رأى نفسه على أرض عشبية وكأنه في حديقة واسعة ممتدة أمامه بلا نهاية، فنهض من مكانه وأخذ ينظر حوله بدهشة ويبحث عن القزم لكنه لم يرَ سوى العشب الأخضر والأزهار بمختلف أنواعها وقد تطايرت حوله مجموعة من الفراشات الجميلة والتي أخذت أجنحتها تلمع ببريق جميل. اقتربت منه إحدى الفراشات فشعرَ جاك بالذهول لأنها لم تكن مجرد فراشة عادية، بل كانت فتاة صغيرة ذات ملامح جميلة وكأنها دمية وتملك جناحيّ وحجم الفراشة!! وقد حطت على كتفه وهمست في أذنه بصوت ناعم وكأنه صوت طفلة وقالت له:

ـ اتبعني يا جاك، إنهم ينتظرونك هناك

لحقَ جاك بالفراشات الجميلة التي تطايرت حوله بين الأعشاب والزهور فتناهى إلى سمعه صوت غناء أطفال يأتي من بعيد، وكلما تبع الفراشات أكثر ازداد الصوت وضوحاً، حتى وصل إلى غابة، فأخذت الفراشات تدخل بين تلك الأشجار الكثيفة، فقرّر أن يستمر في اللحاق بها وكأنّ شيئاً ما يشده لفعل ذلك. رغم أنه أصيب بعدة جروح بسبب الأغصان الصغيرة إلا أنه لم يهتم خصوصاً بعد أن شاهدَ أمامه منظراً لم يكن يتخيل أنه سيرى مثله على أرض الواقع أبداً!! فقد كان يقف بالقرب من قرية صغيرة بمنازلها وحدائقها ونوافيرها وحيواناتها، فأخذ أفراد تلك القرية الصغيرة ينظرون إليه وهو ينظر إليهم بدهشة ألجمت لسانه، حتى تكلّم أحد أولئك الأقزام وكان يبدو شيخاً كبيراً بلحيته البيضاء وبملامحه وبالتجاعيد التي ملأت وجهه الصغير قائلاً:

ـ أهلا بك في قريتنا يا سيد جاك، اجلس من فضلك كي نراك بوضوح

أطاعهُ جاك وكان شديد الحذر وهو يحاول الجلوس بالقرب من القرية حتى لا يحطم شيئاً فيها، ثم اقتربت منه مجموعة من الأقزام وهم يحملون بين أيديهم أطباقاً صغيرة مليئة بالفواكه والخضار وطعاماً مختلفاً ووضعوها بالقرب منه. فأخذ جاك أحد تلك الأطباق وكان حجمه في يده صغيراً جداً كالألعاب التي يلعب بها الأطفال، فابتسم بلطف ثم وضع في فمه تفاحة صغيرة وأخذ يمضغها وهو يشعر بالحيرة والدهشة! فعندما أحسّ بطعمها أدركَ أن طعمها

مختلف عما اعتاد عليه فقال لهم:

ـ هل هذه تفاحة؟ إن طعمها مختلف عما عهدته!! لماذا؟

أجابته قزمة جميلة جلست بالقرب منه قائلة:

ـ هذا هو المذاق الحقيقي للطعام، لكن أنتم البشر العاديون لا تستطيعون تذوق ذلك وفقدتم الإحساس بالطعم الحقيقي، فسمعكم وذوقكم وجميع حواسكم كلها مزيفة، ولم تعودوا تستمتعون بطعامكم مثلنا. أخبرني: ألا تأكلون الطعام وأنتم مشغولون بإنجاز أشياء أخرى؟ لهذا السبب طعامكم تغيّر وهناك أشياء أخرى أيضاً تغيرت وليس الطعام فقط.

نزلت القزمة من فوق كتفه وأشارت إليه كي يتبعهم، فلحق جاك بمجموعة من الأقزام حتى تغلغلوا وسط الغابة التي أصبحت شديدة الظلمة فجأة، فشعرَ ببعض الخوف والتردد لكنه استمرّ يلحق بهم حتى توقفوا وسط الغابة، وشاهدَ قفصاً صغيراً يجلس بداخله قزم يبكي وينتحب، فسألهم جاك عن سبب سجنه وبكائه فقال جايدن بحزن:

ـ هذا أخي سايدن، لقد كان صبياً عاصياً ولم يهتم لتحذيراتنا، وقرّر أن يصبح خادماً عند سيدة شريرة من عالمكم، فسرقَ الكثير من ممتلكاتنا الثمينة وأعطاها لتلك المرأة ومن ضمنها تاج الملك. والآن هو معاقب بعد أن تركته وتخلت عنه تلك الشريرة ونحن نبذناه هنا.

شعر جاك بالأسى على سايدن، ولكن جايدن أكمل حديثه قائلاً:

ـ أنتَ وحدك تستطيع تخفيف العقوبة على أخي

ـ وكيف أفعل ذلك؟

اقتربَ القزم جايدن من جاك حتى صعد على كتفه، وقال له في أذنه:

ـ كل ما عليك فعله هو أن تُعيد ما أخذته العجوز الشريرة إلينا، وأعدك أنني لن أنسَى صنيعك، وسأساعدك إن احتجتني يوماً ما

أخذَ جاك يفكر بحيرة، فهو لا يعرف من يقصدون بالسيدة الشريرة ولا كيف يعيد الأشياء المسروقة التي أخذتها، فقال:

ـ لكن أنا لا أعلم أين أجد تلك المسروقات، ولا أعرف من هي تلك الشريرة التي تتحدثون عنها!؟

ابتسم جايدن بمكر وقال:

ـ ألا تعلم أن تلك الساحرة تعيش في منزلكم؟!! ستجد كل المسروقات في غرفة التحف المغلقة في العليّة، فهي تضع كل الأشياء الثمينة هناك، لكنني لا أستطيع الوصول إلى العليّة، كما أن الجميع رفضوا مساعدتي خوفاً منها

عندما عاد جاك إلى القرية قام نجّار قزم بصنع حذاء خشبي له كهدية تعبيراً عن حسن الضيافة، ولكن حجمه كان صغيراً جداً فأمسكه جاك بأصابعه وهو يبتسم وقال:

ـ شكراً لكم، ولكن هذا الحذاء لا يناسب حجم قدمي؛ إنه صغير جداً

فأجابه النجار قائلاً:

ـ لا تقلق يا بنيّ، فعندما تصل إلى منزلك سيكون بحجم قدميك تماماً، أنا نجّار ماهر وأعمل في النجارة منذ سبعين عاماً أو ربما أكثر

ـ لكن ما الذي سأفعله بهذا الحذاء؟ أخبروني كيف أعيدُ تاج الملك إليكم؟

فأجابهُ القزم العجوز ذو اللحية البيضاء - والذي عرفَ جاك لاحقاً أنه هو الملك – قائلاً:

ـ كل ما عليك فعله هو انتعال هذا الحذاء عندما تصل إلى العليّة، حتى يسهل عليك البحث عن تاجي الذي أخذتهُ تلك الشريرة، وحينها لن تستطيع الإمساك بك

بعد تردُّد سأله جاك:

ـ ما هو اسم تلك الشريرة؟ وكيف استطاعت سرقة تاجك يا سيدي؟

تنهّد العجوز بحزن ثم أخذ يبكي فبكى معه جميع الأقزام وكذلك الفراشات والجنيات وحتى الأزهار، ثم مسح دموعه وقال:

ـ لقد أرسلتْ إلينا رجلاً ضخماً جداً دمّر مملكتنا وحطّم منازلنا ثم سرقَ تاجي، وكذلك رداء الملكة التي ماتت من شدة الحزن. ولكن كل ما يهمني هو التاج الآن، لذا يجب أن نعيده وإلا سوف يتم إعدام سايدن على فعلته

ثم التفتَ جاك إلى جايدن وسأله:

ـ وما علاقة أخيك بهذه السرقة إذن؟

ـ أخي هو من دلّ ذلك الرجل على قريتنا بعد أن وعده أنه سيعطيه قوة تجعله ضخماً مثله ويصبح كالبشر، فصدّقه سايدن الغبي، ودلّه على مكان القرية

ثم طلبَ جايدن من جاك أن يتبعه حتى وصلا إلى شجرة ضخمة جداً، وقال له:

ـ الآن تستطيع العودة إلى منزلك، ولكن لا تنسَ وعدك لي أرجوك، يجب أن يخرج أخي من السجن قبل أن يقتلوه

وفجأة انبعثَ نور قوي من جذع الشجرة وقد شقّت إلى نصفين، فقال جايدن وهو يحاول أن يُشيح ببصره عن النور القوي:

ـ كلّ ما عليك فعله هو أن تدخل إلى الجذع وتُغمض عينيك ولا تفتحهما حتى يفتح الباب أمامك، وإلا ستُصاب بالعمى

ابتلعَ جاك ريقه بخوف ولكن إصراره على العودة إلى عائلته جعله يودّع جايدن ويضع الحذاء الخشبي الذي أهداه إياه النجار في جيبه، ثم يدخل مسرعاً إلى الجذع وهو مغمض العينين ويصرخ طلباً للنجدة من أمه وأختيه...

***

قاطعه صوتُ أختيه كارن وإيمي اللتين دخلتا إلى غرفته وقالتا له:

ـ ما بك يا جاك؟ لماذا أنتَ شارد الذهن؟

ـ لا شيء، لقد كنت أفكر فقط بما حدث لي، يا ترى هل كنت أحلم؟

ثم تذكّر الحذاء، فأخذ يبحث عنه في جيبه وعندما أحسّ بوجوده

فتح عينيه بدهشة وأخذ ينظر إلى أختيه، ثم ابتلع ريقه وقال:

ـ لم أكنْ أحلم

أخرجَ الحذاء من جيبه ورفعهُ بإصبعه أمام أختيه اللتين أخذتا تنظران بذهول إلى حذاء خشبي صغير لا يتجاوز حجم الكفّ، وقالت إيمي:

ـ ما هذا الحذاء؟ ومن أين حصلت عليه؟!

ـ لقد أعطاني إياه أحد الأقزام كهدية!!

لم تصدق كارن قصة جاك التي أخبرهما بها، فقالت له:

ـ كفّ عن المزاح وأخبرنا كيف فتحتَ الباب الخشبي، وكيف دخلت إلى غرفتي من دون أن أشعر بوجودك؟

ـ أنا لا أكذب صدقيني، القصة كما أخبرتكما تماماً، لقد نقلني ذلك القزم من عالمنا هذا إلى عالم غريب عبر صندوق خشبي...

ثم تذكّر الصندوق وقال ليقنعهما:

ـ هلمّا معي إلى الكوخ، سنرى إن كان ذلك الصندوق موجوداً أم لا

لكن كارن أوقفته وقالت:

ـ ليس الآن؛ فلا نريد أن نثير خوف أمي وتوترها، بعد أن تخلد إلى النوم سنبحث في الأمر، الآن علينا أن نعرف من هو آدم؟ وكيف كان يعرف خالتنا لورين؟

***

في غرفة كارن اجتمع الثلاثة سراً بعد أن ذهبت والدتهم إلى النوم، وأخذوا يفكرون بما قاله جاك لهم عن القزم وقريته والحذاء الصغير الذي وضعه أمامهم على الطاولة، فقالت كارن وهي تحدق في الباب:

ـ حسناً، إذا كان هذا هو المخرج كما قال القزم لك، فأين المدخل؟!

أجابها جاك:

ـ في الكوخ الصغير الملحق بالمنزل، هناك صندوق خشبي عليه نقوش ورسوم مشابهة تماماً لتلك المرسومة على الباب، وقد دخلت برفقة القزم إلى هناك..

كانت إيمي تتلفت يميناً وشمالاً، ثم تنظر إلى الباب بقلق

ـ وأين هو القزم الآن؟ هل هو نوع من الجن؟

ـ لقد بقيَ في قريته وعدتُ وحدي. فقد كان يريد مني أن أساعده لأنّ أخاه مسجون بسبب الخالة لورين كما أخبرتكما سابقاً، لذا يجب أن نبحث عن الغرفة التي تحتفظ فيها الخالة بالأشياء الثمينة

ـ لكن الغرف كثيرة في هذا المنزل، وبعضها لم نستطع الدخول إليه، أين سنجد مفاتيح تلك الغرف كي نبحث؟؟

ـ كلا يا كارن إنها في العليّة، هذا ما قاله القزم لي، الغرفة موجودة في العليّة

وقفت كارن أمام الباب الخشبي، وأخذت تتحسس الخشب الصلب وقالت بحماس:

ـ أريد أن أجرب وأرى ما رأيته يا جاك، أخبرني كيف أفعل ذلك؟

ـ هل أنتِ مجنونة؟! لم أذهب إلى هناك بنفسي، كنت منوماً مغناطيسياً وفاقداً للسيطرة على نفسي وتبعث ذلك القزم الغريب بدون أن أشعر بما أفعله...

وأكملت إيمي محذّرة أختها:

ـ لا تفكري بذلك فهذه ليست لعبة، هناك شيء غريب ومريب يحدث في هذا المنزل، ولا نريد أن نتعرض إلى المشاكل

لم تهتم كارن لما يقولانه، بل ابتسمت بصمت وهي تفكر بطريقة الدخول إلى ذلك العالم متمنية أن يأتي القزم مرة أخرى ويأخذها إليه.

بعدما عاد أخواها إلى غرفتيهما، انتظرت كارن حتى منتصف الليل لتتأكد من أن الجميع نائمون، وخرجت من غرفتها بحذر ثم من المنزل متوجهة إلى الكوخ الصغير وهي تتمنى أن تلتقي بالقزم. وعندما فتحت الباب وجدت الصندوق الذي أخبرهما جاك عنه وسط الغرفة، فاقتربت منه وأخذت تتحسس الخشب وتلمس الرموز وهي تبتسم بحماس ودهشة وقلبها يخفق بشدة. ثم حاولت رفع الغطاء ولكنها لم تستطع فأخذت تتلفت حولها لتبحث عن شيء ليساعدها على فتح الصندوق، ولكن لم تجد ما يساعدها وقد شعرت بالتعب والنعاس فجأة مما جعلها تستلقي على الأرض بالقرب من الصندوق وتغط في نوم عميق بدون أن تشعر. وفجأة سمعت صوتاً غريباً بالقرب منها يقول:

ـ هل تريدين الدخول إلى الصندوق يا كارن؟؟

فتحث عينيها بسرعة معتقدة أن من يتحدث إليها هو جاك، لكنها لم ترَ أحداً في الغرفة سواها!! فاعتقدت أنها كانت تحلم مجدداً، لذا لم تهتم واستلقت وأغمضت عينيها كي تنام. لكنها سمعت الصوت مرة أخرى بشكل أكثر وضوحاً:

ـ تعالي معنا يا كارن

هذه المرة أصيبت بالفزع فنهضت من مكانها وقد بدأت ترتجف، لذا قررت أن تعود إلى غرفتها وتنسى مسألة القزم. ولكن فجأة سطع نور قوي أخذ يقترب منها ورغم توترها إلا أنها لم تستطع أن تتحرك أو تحاول الهرب، بل ظلت متسمرة في مكانها وتنظر إلى الضوء بصمت وتسمع الصوت المنبعث من الصندوق وهو يقول لها:

ـ تعالي معي يا كارن

فجأةً شعرت وكأنّ شيئاً قد سيطر عليها وجعلها تتجه نحو الصندوق بكل هدوء وطاعة وتدخل إليه وتستلقي بداخله. ولكن قبل أن يُغلق تماماً شاهدت امرأة ترتدي ملابس سوداء وشعرها منكوش تنظر إليها وهي تبتسم بمكر وتقول لها:

ـ كوني حذرة يا عزيزتي، فلن تكون مهمتكِ سهلة...

***

ظالم أم مظلوم!

لم يستطع آدم أن ينام تلك الليلة بعد أن دخل إلى منزل لورين لأول مرة بعد عدة سنوات من تركه، فقد ذكّرته تلك الممرات والأسقف العملاقة وكل تلك التحف الغريبة بالماضي عندما تعرّف على لورين، وتذكّر قسوتها وإذلالها له حتى يخضع إلى أوامرها رغماً عنه، وتذكّر كيف أنه استطاع التخلص منها وتركها بعد معاناة. وعندما رأى لورا كان يعتقد أنها لورين في أول الأمر بسبب الشبه الكبير بينهما، ولكن عندما علم بحقيقة الأمر أصبح هدفه هو الانتقام وتدمير منزل لورين، لكنه الآن يشعر بالتردد لأن لورا لا علاقة لها بما فعلته خالتها به وبالآخرين. ثم أخذ يتذكر ما حدث له قبل أن تنقذه لورين من الإعدام وتأخذ عهداً منه على طاعتها، وتمنّى لو أنها لم تفعل وتركته يموت.

***

وضعوا طوقاً حديدياً حول عنقه وقيدوه بالأصفاد ثم اقتادوه حيث سيلقى حتفه، كان يرتجف ويبكي كطفل صغير وهو يصرخ ويقول:

ـ لم أقتلها صدقوني، لم أقتل زوجتي....

لكن لم يهتم أحد لصراخه وتوسلاته، فاقترب منه رجلان ضخمان وأجبراه على الجلوس على كرسي الإعدام الكهربائي، وقيدوه ثم قاموا بتوصيل جسده بتيارات كهربائية استعداداً لتنفيذ حكم الإعدام عليه، بينما هو يراقبهما ويصرخ بذعر، ثم اقترب منه الطبيب

وهو يحمل إبرة مهدئة وقال له:

ـ الآن سنحقنك بإبرة مهدئة حتى لا تصاب بالفزع، فهل لديك شيء لتقوله؟

ـ أرجوكم، أنا لم أقتل زوجتي صدقوني

وضع الطبيب الإبرة في ذراع آدم فأغمض عينيه وقد انحدرت دموعه على وجنتيه وهو يتذكر زوجته ولحظاته الأخيرة معها، بينما دوّى صوت جهاز التخطيط الذي أخبرهم أنه قد هدأ تماماً فقال الطبيب:

ـ كل شيء جاهز الآن، سنبدأ بوضع المصل في جسدك و.....

فجأة توقف الطبيب عن الكلام وعمّ صمت غريب وأصبح المكان مظلماً، ففتح آدم عينيه وأخذ ينظر إلى وجه الطبيب الشاحب والإبرة ما تزال في يده، بينما هو ينظر إلى سحابة سوداء قد تشكلت داخل الغرفة وكأنها إعصار خرجت منه امرأة ترتدي ملابس سوداء وتغطي وجهها بقماش حريري شفاف وهي تبتسم بخبث، وقد عجز الطبيب ومساعدوه عن إبداء أية ردة فعل فظلوا واقفين في مكانهم ينظرون إلى كل ما يحدث بصمت وذهول!!

اقتربت السيدة من آدم وفكت قيوده، ثم مدت يدها نحوه وهي ما تزال تبتسم وقالت:

ـ إن كنت تريد أن تعيش فتعال معي وكن مطيعاً لأوامري فقط، وإلا سأتركهم ليكملوا ما بدؤوه... ما رأيك؟

ابتلعَ آدم ريقه وهو ينظر إليها بذهول، فأشارت إليه كي يمسك

بيدها. وعندما فعل ذلك ألقت به بقوة داخل السحابة السوداء وتبعته ثم اختفى كل شيء!!

وجد آدم نفسه في منزل غريب وكأنه قصر من العصر الفيكتوري، فأخذ يتلفّت حوله بدهشة وهو يتذكر ما حدث له. ولكن المنزل كان خالياً ولم يجد تلك المرأة فاعتقد أنه مات وأن روحه ما تزال هائمة، أو أنه يتخيل كل ما حدث. فوقف على قدميه وأخذ يبحث في المنزل لعله يجد أحداً، فاقتربَ من باب المنزل الخارجي وأمسك بمقبضه كي يفتحه ولكنه قبل أن يديره سمع صوتاً من خلفه يقول:

ـ هل تنوي الهرب بعد أن أنقذتُ حياتك؟؟

التفتَ آدم إلى مصدر الصوت خلفه، وحيث كانت تقف تلك السيدة التي أخرجته من السجن بشعرها المنكوش وبملابسها السوداء، وأخذت تقترب منه ببطء وتنظر إليه باحتقار! وأكملت قائلة بينما هو ظل واقفاً في مكانه:

ـ أنتَ الآن تحت طوعي وإرادتي، وعليك أن تنفذ ما أطلبه بدون أي اعتراض

شعر آدم بالغضب، فهو لن يسمح لها بإهانته واستعباده فقال:

ـ أنا لن أخدمك أو أطيع أوامركِ أيتها العجوز، هيا افتحي هذا الباب وإلا كسرته

أحسّ آدم أنّ أحداً يضغط على رأسه بقوة حتى كاد أن ينفجر، فاستسلم وركع على الأرض وهو يصرخ طالباً منها أن تتركه، فضحكت بسخرية منه وقالت

ـ يا لك من مغرور! يبدو أنك نسيت بأنني أنقذتكَ قبل قليل، إن لم تفعل ما أريده وتمتثل لأوامري ستندم أشد الندم

لم يحتمل آدم الألم الذي يشعر به، فقال وهو يصرُّ على أسنانه من شدة الألم:

ـ حسناً، أنا أعتذر، وسأكون خادمك المطيع. اتركيني الآن

ـ اتركه يا فلادز

تركهُ أخيراً فسقط آدم على الأرض منهكاً وهو يتلوّى من شدة الألم، ثم التفت لينظر إلى الشخص الذي كان يمسك برأسه، فشعر بالذعر وأخذ يتراجع إلى الخلف بينما السيدة كانت تضحك بصوت عالٍ وقالت:

ـ لو تركتهُ قليلاً، لفصلَ رأسك عن جسدك بيده

التفتَ إليها فوجدها تجلس على كرسي ضخم ويقف بقربها أكثر شيء مرعب رآه في حياته!! فقد كان بالقرب منها رجل ضخم البنية ذو وجه مخيف وبشرة سوداء كظلام الليل، وله قرنان في رأسه كقرون الثور، فابتلعَ آدم ريقه وأخذ يرتعد وهو يحدق في ذلك الكائن الغريب! ثم سألها والخوف يسيطر على لسانه حتى خرج صوته متقطعاً ومهزوزا وهو يشير إلى المسخ المخيف قائلاً:

ـ هل هذا حقيقي؟؟

زمجرَ ذلك الكائن وأصدرَ صوتاً كزئير الأسد وكأنه يستعدُّ للهجوم على آدم الذي لم يستطع أن يتحرك من مكانه، فقالت السيدة:

ـ لا تقلق، إنه لا يتحرك إلا بأمر مني...

ثم التفتت إلى الوحش وقالت له:

ـ اذهب يا دراكو، فلا نريد أن نخيف هذا البشري الضعيف

امتثلَ لأوامرها بدون أي اعتراض، وتركها مع آدم الذي أخذ يحدق إليها وإلى الرجل الآخر الذي كان ما يزال يقف بالقرب منه، فسألته السيدة:

ـ هل تعلم في أي عام أنت؟

فكّر قليلاً ثم أجاب:

ـ نحن في عام 2099 لماذا تسألين؟

ضحكت السيدة مجدداً، ثم قالت بجدية:

ـ أنت مخطئ، فنحن الآن في عام 2011 فقط

ـ أنا لا أحب المزاح أيتها العجوز...

لم يستوعب آدم ما قالته، فابتسمَ ببلاهة معتقداً أنها تمزح، ولكن عندما رأى الجد على ملامح وجهها شعر بالخوف والتوتر وقال:

ـ كيف انتقلت إلى هنا ومن أنتِ؟؟

شعرت بمدى توتره فقالت:

ـ لا تخف لقد أنقذتك من الموت قبل قليل هل نسيت؟ والآن أخبرني لماذا قتلتَ زوجتك؟؟ أتمنى أن يكون هناك سبب قوي، كما إنني أحب التفاصيل

شعر أنها تسخر منه، فأراد أن يصرخ في وجهها لكنه تذكّر ذلك الوحش المخيف، فتراجع عمّا كان يفكر فيه وقال:

ـ لم أقتلها، فأنا أحب زوجتي ومستحيل أن أفعل ذلك

ـ لا داعي إلى الكذب، قل الحقيقة فلن يقتلك أحد هنا، ولن يتم إعدامك

ـ أخبرتكِ: أنا لم أقتلها، لقد اعتقدوا أنني الفاعل

أخذت تصرخ في وجهه بغضب:

ـ إذن أنت مجرد شخص تافه؟ كنتُ أعتقد أنك قاتل وسأستعين بك لمساعدتي، لقد أنقذتك وأنت لا تستحق الإنقاذ ولا حاجه لي بك بعد الآن، لذا سأتخلص منك

وعلى إثر صراخها عاد ذلك الوحش كي يطمئن عليها ويطيعها فيما تأمره، فقالت له بعد أن تركتْ عنق آدم الذي أذهلتهُ قوتها

ـ خذه من هنا وتخلّص منه، إنه لا يستحق الحياة..

توسّل آدم إليها قائلاً:

ـ أرجوكِ سأفعل كل ما تطلبينه مني وسأكون خادماً مطيعاً، ولكن لا تدعي هذا المسخ يقترب مني

أمسكهُ الوحش وأخذ يجره من قدميه غير مهتم لتوسلاته وصراخه، عندها طلبت منه لورين أن يتوقف ويتركه ثم قالت لآدم:

ـ حسناً، سأتركك حياً، فربما أحتاج إليك في شيء آخر، خذه يا دراكو واحبسهُ في الكوخ حتى أفكر بما سأفعله به.

ظلّ آدم في ذلك الكوخ لعدة سنوات يعمل لدى لورين كخادم ذليل خصوصاً بعد أن تأكدت من أنه بريء ولم يقتل زوجته أو يقتل حتى ذبابة، فقد دبّر له أحد أعدائه مكيدة وقتلوا زوجته كي يتهموه بتلك الجريمة ويتخلصوا منه. فطلبت منه أن يكون خادماً للمنزل مقابل الحفاظ على حياته، فقد كان ينظف المنزل ويعدّ الطعام ويحمل التحف الغريبة التي لا يعلم من أين تأتي بها، وأحياناً تطلب منه بيع بعض التحف في المتاجر. وفي إحدى المرات طلبت منه تنظيف غرفة التحف.. وبينما هو يفعل ذلك شاهدَ لوحة مشهورة وشعر بالدهشة لوجودها في منزل لورين فسألها قائلاً:

ـ كيف استطعتِ سرقتها؟ هل تعرفين أن هذه اللوحة لا تقدّر بثمن وأن عليها حراسة مشددة في المتحف؟

حدّقت إليه بنظرة نارية جعلته يشعر بالخوف، ثم قالت:

ـ هل تعتقد أني غبية؟؟ بالطبع أعلم ذلك، إنها لوحه الموناليزا لدافنشي وقد سرقتها عبر انتقالي إلى عام 1911 وهم يعتقدون أنني قد أعدتُ اللوحة إلى مكانها، لكن ما يراه الناس في المتحف الآن هي مجرد لوحة مقلدة لا تساوي عشرة دولارات..

ـ وكيف سيعرضون لوحه مقلدة؟ هل هم مجانين؟

جلست لورين على كرسيها المريح، وأخذ دراكو يدلّك قدميها بكل طاعة ثم قالت:

ـ هم يعلمون أنها مقلدة ويعرضونها في المتحف، لأنهم لو اعترفوا للعالم بأن اللوحة قد سرقت عندها سيعترفون بمدى هشاشة نظامهم

الأمني، والذي استطعت أنا اختراقه بكل سهولة. وسيظلون يبحثون عنها ولن يعرفوا أنها في منزلي.

في إحدى الليالي وبينما كان آدم نائماً سمعَ صوت لورين وهي تتحدث بغضب وتصرخ وكأن هناك من يتشاجر معها، لكنه تردّد كثيراً قبل أن يذهب إليها ليعرف ما سبب صراخها. ولكن عندما ازداد الصوت حدة أسرعَ في الذهاب إلى غرفتها ليرى ذلك المشهد الذي لن ينساه. فقد كانت لورين مقيدة إلى سريرها والتفّ حولها مجموعة من الأشخاص والوحوش وغيرهم من المسوخ الغريبة وهم غاضبون ويصرخون في وجهها!! فقال قزم صغير قد صعدَ على كتفها وأمسك بوجهها وهو يصرخ:

ـ أعيديني إلى عائلتي بأي طريقة، هذا يكفي لن أكون خادماً لكِ بعد الآن..

ضحكت ساخرة منه وهي تهتز بقوة، حتى سقط القزم على الأرض وقالت له:

ـ وماذا بشأن تاج الملك الذي قمتَ بسرقته؟ إذا أعدتكَ إلى قريتك سيقتلونك أو ينفونك أيها المغفل..

فاقتربَ منها مسخ نصفه بشري وعلى رأسه قرون ضخمة، وأمسك بعنقها وقد كان غاضباً جداً:

ـ أيتها الحقيرة، لقد وعدتّنا أنكِ ستعيدينا وتُنهين عذابنا

صرخت في وجهه أيضاً:

ـ أنتَ بالذات لن تعود ولن تذهب إلى أي مكان بعدما فعلته بتلك

السيدة وعائلتها المسكينة.

ضربتها شابة جميلة بسوط:

ـ إن لم تعيديني سأفتّت عظامك، وأحولك إلى مومياء

سخرت منها لورين ولم تهتم لتهديدها، بل قالت لها:

ـ افعلي ما شئتِ أيتها الفرعونية الغبية فأنا لا أخاف منكم، أنتم مجرد حثالة تمّ نفيكم والتخلي عنكم، وأنا من أنقذتكم وجئت بكم إلى هنا، ولولاي لكنتم أمواتاً بأبشع الطرق.

وقفَ آدم بالقرب من الباب وهو يرتجف ذعراً عاجزاً عن مساعدتها، رغم معرفته أن لورين لا تخاف من أحد إلا أنها كانت في ورطة، ثم التفتت لورين إلى آدم وقالت له بسخرية:

ـ وأنت، ألا تريد الانتقام والتشفي مني أيضاً أيها الحقير؟ هل هذه مكافأتي منكم لأنني أنقذتُ حياتكم التعيسة؟

أمسكها من عنقها رجلٌ يلبس قناعاً مخيفاً مصنوعاً من جلد بشري، حتى كاد أن يخنقها وقال مهدداً:

ـ سأمهلكِ ثلاثة أيام كي تعيديني إلى زمني، وتتأكدي أيضاً أنه لن يتم إعدامي. وإن لم تفعلي ذلك سأقتلع عينيك، ثم أرمي بكِ إلى الكلاب لتنهش جسدك

بصقت لورين في وجهه عندما تركها، وقالت بغضب:

ـ لا تهددني فأنا لا أهتم، أنتم مدينون لي بحياتكم، هل نسيتم ذلك؟

خرجوا من الغرفة جميعهم وتركوها وهم يتوعّدونها بالقتل، أما آدم فظلّ واقفاً ينظر إلى حالها وهي تحاول الاعتدال في جلستها وفك قيودها، ثم التفتت إليه وصرخت بغضب:

ـ أنت، ساعدني على فك وثاقي ألا ترى حالي!؟

فك وثاقها وساعدها على الجلوس، وهو ما يزال يشعر بالدهشة مما رآه، فقالت له:

ـ هل أعجبك ما رأيت؟ هل شفيتَ غليلك مني أيها المغفل البائس؟

فضّل آدم الصمت وقرّر أن يتركها وشأنها من دون أن يرد عليها، فيكفيها ما لديها من مشاكل مع كل تلك المسوخ وأولئك المجرمين الذين جمعتهم لخدمتها، ويبدو أنهم قد انقلبوا ضدها واتفقوا على أن يتخلصوا من سيطرتها عليهم. لكنها استوقفته قبل أن يخرج فالتفتَ إليها وقد لاحظَ ضعفها الذي حاولت أن تخفيه بتصنّع القوة واللامبالاة، فأحسّ ببعض الشفقة عليها؛ فقد كانت عاجزة عن المشي بسبب شدة الألم والجروح، وأخذت تعرج وهي تقترب منه ثم قالت:

ـ اسمعني جيداً، لا أعتقد أنني سأعيش لفترة طويلة، فكما رأيت بنفسك... هؤلاء المجانين ناكرو الجميل لن يتركوني وشأني، وأنا يجب أن أتصرف الآن قبل فوات الأوان

فتحت أحد الأدراج، وأخرجت ظرفاً وأعطته إلى آدم.

ـ خذ هذا الظرف إلى العنوان المدوّن عليه، هذه محاولتي الأخيرة لإنقاذ منزلي وحياتي.

قرأ آدم العنوان المدوّن على الظرف ثم قطّب حاجبيه، لأن الاسم

مألوف لديه. فقالت له:

ـ إنها ابنة أختي الوحيدة، لم يبقَ لي من عائلتي سواها بعد أن توفيت أختي.

ثم تنهدت بحزن، ولأول مرة يراها تتحدث بهذا الحزن والانكسار، وأخبرته عن أختها وابنتها وبعد أن انتهت من حديثها لاحظَ دمعة على وجنتها فمسحتها بسرعة، ورفعت رأسها بتعالٍ وقالت:

ـ يجب أن يصل هذا الظرف إلى لورا، وبعدها ستصبح حراً وتستطيع أن تعيش كما تشاء.

تردّد قبل أن يقول:

ـ وماذا عن عودتي؟ هل ستفعلين ذلك؟

ضحكت بصوت عالٍ:

ـ هل رأيتَ ما فعلهُ بي أولئك الحمقى؟ لو كنت أستطيع أن أعيدهم من حيث أتوا وفي زمن قبل ارتكابهم لجرائمهم وأفعالهم المشينة لفعلت ذلك. لكن تلك البوابة اللعينة استنفذت كل طاقتي ومن الصعب أن ألتزم بوعدي لهم، فكيف سأعيدكَ إلى زمنك؟ ثم إنكَ محكوم بالإعدام هناك، فماذا ستفعل؟ وكيف ستنقذ نفسك إذا عدتَّ؟

لم يستوعب آدم ما قالته، فأضافت:

ـ هم يستطيعون العودة إلى أزمنتهم وأنا لن أمنعهم، لكنهم يطلبون مني أن أعيدهم قبل ارتكاب جرائمهم حتى يتخلصوا منها ويفلتوا من العقاب، وستكون نتائج عودتهم وخيمة على المستقبل، لأنهم قد

يتسببون بجرائم أخرى وأنا لا أستطيع فعل ذلك

ـ إذن أنتِ أوهمتهم بوعد كاذب؟!

ضحكت مجدداً، ثم توقفت عندما لاحظت نظراته المذعورة وقالت:

ـ أجل لقد وعدتهم وعداً كاذباً. والآن تورطت بهذا الوعد وبهم، فهم لا يستطيعون البقاء هنا والعيش بحرية أيضاً، فتخيّل لو أنك كنتَ تسير في أحد الشوارع ورأيتَ أمامك الرجل كالثور يمشي بين الناس أو كانَ مستذئباً؟ المنظر سيكون مخيفاً!

شعرَ آدم بالغضب وبالاشمئزاز من تصرفها وخداعها، وتمنّى لو أنه يخنقها ويتخلص منها لكنها قالت له:

ـ تذكر جيداً أنني لم أطلب منك ولا مرة أن تعبر البوابة، ولم أستغلك لتساعدني في السرقة، لذا ربما تستطيع أن تعود إلى زمانك، لكني لن أساعدك بنفسي

ـ ما الذي تقصدينه؟ من سيُعيدني إذن؟ ثم إنني محكوم بالإعدام هل نسيتِ؟

أجابته وهي تتوجه إلى الباب الخشبي، وقالت بدون أن تلتفت إليه:

ـ ربما ستساعدك لورا، أعتقد أنها سترث ذلك مني، فهي الشخص الوحيد والمناسب وكل ما عليك فعله هو أن تخرج الآن من هنا وتبعث هذه الرسالة إليها، ولا تعود مرة أخرى، وإلا سيقتلونك بدلاً مني.

عاد آدم بذاكرته من الماضي، وبعد كل تلك الذكريات، سيضطر الآن إلى العودة إلى المنزل لينقذ لورا وعائلتها، لأنه لا يريد أن يشعر بالذنب إذا اضطرت أن تواجه كل تلك الوحوش التي ما تزال حبيسة في ذلك المنزل، وتنتظر اللحظة المناسبة للانتقام.

***

سيف الساموراي

فتحت كارن عينيها ببطء وهي تحاول أن تتذكر ما حدث لها داخل الصندوق، ولكن صوت الصراخ ووقع خطوات الخيول التي كانت تسمعها من كل مكان جعلها تنهض من مكانها. وأخذت تتلفت حولها لترى نفسها وسط معركة دامية تلاحمت فيها الأجساد والسيوف التي كانت تسمع صوت نصلها في أذنها بينما تشاهد رؤوساً تنفصل عن الأجساد وبكاءً لا يتوقف!! فظلت واقفة في مكانها لعدة ثوانٍ كي تستجمع أفكارها وتحاول استيعاب ما يدور حولها ومعرفة أين هي، ولماذا هنا بالذات؟ ثم أدركت أن عليها الهرب والابتعاد خصوصاً بعد أن أقبل عليها أحد الفرسان رافعاً سيفه وكأنه سيضربها به فأخذت تجري في كل الاتجاهات لتبحث عن طريقة لإنقاذ نفسها، ولكنها تعثرت بإحدى الجثث وعندما أدركت أنها سقطت بالقرب من جثة أخذت تصرخ بهستيريا، وحاولت أن تقف مجدداً. ولكن عندما رفعت رأسها اقتربَ منها ذلك الفارس وهوى بسيفه نحوها فحاولت أن تحمي نفسها وظنت أنها النهاية، وفجأة ظهر فارس آخر وضرب الرجل فسقط رأسه بالقرب من قدميّ كارن التي أخذت تصرخ بذعر وهي تقفز في مكانها كالمجنونة، فحملها الفارس بين ذراعيه وأخذ يجري بسرعة حتى أبعدها عن وسط المعركة.

ترك الفارس كارن تقف على قدميها فأخذت تمسح الدماء عن وجهها وتنظر إليه غير مصدقة ما تراه أمامها، خصوصاً بعد أن رفع اللثام عن وجهه فقد بدت ملامحه. إنه من شرق آسيا فخمّنت أنه من اليابان أو من كوريا الشمالية. وعندما أرادت أن تتحدث إليه

كي تشكره أدركت أنها لا تعرف اللغة اليابانية، فابتسم الفارس لها باحترام ثم انحنى يحييها وقال:

ـ كيف دخلتِ إلى وسط المعركة؟ فأنتِ لست من (ساغامي) ولستِ يابانية!

شعرت كارن بالدهشة، فكيف تفهم ما يقوله ذلك الرجل وهي لم تتعلم اليابانية ولا تعرف حرفاً واحداً منها!؟ وبحذر قالت:

ـ أنا.. لا أعرف.

ثم توقفت عن الكلام وهي تضع يدها على فمها بدهشة وتحرك شفتيها غير مصدقة أنها تتحدث اليابانية بطلاقة أيضاً، فكيف يحصل هذا؟! ثم أكملت حديثها ببطء:

ـ لا أعرف كيف حدثَ هذا!! في أي عام نحن؟

قطّب الرجل حاجبيه معتقداً أنها مجنونة:

ـ هل فقدتِ ذاكرتك؟! نحن في السنة السبعين من القرن الرابع عشر..

شهقت من شدة الدهشة، ثم أخذت تبكي وتضحك في نفس الوقت غير مستوعبة ما حصل لها، فجثت على الأرض وقد ازداد نحيبها

ـ كان من المفترض أن أذهب إلى قرية الأقزام وليس إلى هنا، فلماذا أنا هنا؟!!

شعر الرجل بالحيرة، فما الذي سيفعله بفتاة لا تعرف في أي عام

هي وتبدو وكأنها مجنونة؟ لكنه أشفق عليها فهي تبدو أجنبية، وربما تكون وحدها فقال لها بلطف:

ـ يبدو أن ذراعك مصابة، يجب أن آخذكِ إلى منزل والدتي فهي ستساعدك حتى تهدئي وتخبرينا من أنتِ، ومن أين أتيتِ.

أخذها الرجل على ظهر جواده إلى منزل عائلته، وأثناء سيرهما على الجواد قال الفارس:

ـ أنا اسمي هونجو، ما هو اسمكِ؟

مسحت دموعها ثم قالت:

ـ كارن

ابتسم هونجو، ثم زاد من سرعة حصانه فشعرت كارن بالخوف وتشبثت بهونجو أكثر فقال لها:

ـ أنا مضطر إلى فعل ذلك، فهذه المنطقة مسكونة بالأرواح الشريرة ويجب أن أسرع الخطى قبل أن تظهر أشباح (نوكيكوبي) وتمتص دمائنا، ثم تعلق جثثنا على الأشجار.

ابتلعت ريقها بخوف وأخذت تتلفّت حولها، ولم ترَ سوى الأشجار الكثيفة، ولكنها لاحظت أنّ هناك عيوناً تراقبهما تلمع في الظلمة، فأشاحت بوجهها عنها ووضعت رأسها على ظهر هونجو كي تتحاشى رؤية شيء ما قد يخيفها مما جعله يبتسم، وبعد عدة دقائق توقف هونجو أمام منزل صغير جداً وساعدها على النزول من فوق ظهر الفرس، فاستقبلتهما سيدة عجوز وعندما رأت كارن تقف بالقرب من ابنها شعرت بالحيرة وسألت هونجو:

ـ هل أنتَ متأكد أنك كنتَ في معركة؟ أي نوع من المعارك يا بني هذا الذي تعود به إلى المنزل ومعك فتاة جميلة؟!

ضحك هونجو بخجل وهو يقبل يد والدته، ثم قال:

ـ الآنسة كارن كانت وسط المعركة، ولم أستطع أن أتركها هناك يا أمي

التفتت العجوز إلى كارن التي كانت تبدو خجلة وخائفة، وقالت بلطف:

ـ يبدو أنكِ أجنبية يا بنتي، من أي بلد جئتِ؟ هيا تناولي بعض الطعام ثم نتحدّث، فأنت تبدين جائعة ومرهقة..

فكّرت كارن وهي تأكل الطعام بصمت: لماذا هي هنا؟ ثم أخذت تبكي وقد شعرت بالعجز والخوف لأنها لا تعرف كيف تعود إلى عائلتها، فسألتها العجوز:

ـ ما بكِ يا بنتي؟ ألم يعجبكِ طعامنا؟

هزت كارن رأسها بالنفي، ثم مسحت دموعها

ـ كلا، ولكنني لا أعرف كيف أعود إلى موطني..

ضحكت العجوز:

ـ لا تقلقي، ابني هونجو سيساعدك حتماً، ولكن بعد أن تنتهي هذه الحرب اللعينة

لاحظت كارن أن هونجو ليس في المنزل، فسألت والدته عنه

فأجابت العجوز:

ـ لقد عاد إلى المعركة، فعليه أن يناصر جماعته ويحميهم ما دام هو القائد، لكن لا تقلقي عندما يعود سيأخذك إلى عائلتك، هل أتيتِ من العاصمة؟

ـ كلا، بل من بلد آخر

شعرت كارن بالنعاس، فقد تأخر الوقت كثيراً وهونجو لم يعد. لذا استلقت على الأرض بينما كانت العجوز مشغولة بتنظيف المنزل وتخرج بين الحين والآخر لتنتظر ابنها، فأخذت كارن تحلم بكوابيس مخيفة وبرؤوس مقطوعة وبأشباح تطوف حولها وتطاردها لتمتص دماءها. وفجأةً سمعت صراخاً قوياً وصوتَ ضحكات مرعبة جعلتها تستيقظ من نومها مفزوعة لترى رجلاً مغطى بالدماء يقف أمامها فأخذت تصرخ بهستيريا، فاقترب منها هونجو وحاولَ تهدئتها قائلاً:

ـ توقفي عن الصراخ يا آنسة، هذا أنا

ـ لا تقتلني أرجوك، كنت أريد أن أزور قرية الأقزام فقط

ثم أخذت تبكي بينما هونجو يمسك بيدها ويتحدث إليها بلطف، إلا أنها لم تهدأ واستمرت تصرخ حتى اقتربت منها العجوز وصفعتها على وجهها بقوة، فتوقفت كارن عن البكاء وقد علت وجهها نظرة مذعورة وهي تلتفت إلى العجوز التي قالت بلطف:

ـ الصدمة تُعالج بصدمة أقوى منها، حاولي أن تهدئي وتسيطري على نفسك يا بنتي، فقد كنت تحلمين

التفتت كارن بعد أن سمعت صوت ضحكات هونجو المكتومة، ثم

انفجر ضاحكاً وهو يقول لكارن:

ـ هذه طريقة أمي في معالجة الأمور الصعبة، لذا لا تغضبي يا آنسة

هدأت كارن أخيراً وقدّمت لها العجوز بعض الحساء الدافئ، وأخذت تدعك يديها لتدفئها بينما كان هونجو في غرفته يستحم ليزيل آثار الدماء عن جسده، وعندما عاد سألته كارن:

ـ هل كانت تلك دماؤك؟

ابتسم هونجو ورفع سيفه أمام وجهه باعتزاز:

ـ أنا القائد هونجو الذي لا يهزم، كلا يا عزيزتي هذه دماء الأعداء، وكل من حاول مجابهتي قتلته بسيفي هذا

أخذت تنظر إلى ذلك اللمعان الفضي والبريق الساطع الذي يتوهج من ذلك السيف بإعجاب:

ـ هذا سيف الساموراي أليس كذلك؟ لقد قرأت عن هذه السيوف في إحدى المقالات على الأنترنت

ـ أنترنت!! ما هو الأنترنت؟

ابتسمت كارن، فقد نسيت أنها في القرن الرابع عشر وأجابته:

ـ الأنترنت هو بمثابة الصحف أو الأخبار في المستقبل، ويعرض كل شيء في صفحاته، لا أعرف كيف أشرح لك ذلك بطريقة بسيطة، ولكن هو وسيلة لمعرفة الأخبار وغيرها من الأمور المهمة وغير المهمة.

شعرت كم هي غبية لأنها لم تستطع أن تشرح له، فقد لاحظت عدم

اهتمامه بالأمر فسألته:

ـ هل تستطيع مساعدتي في العودة إلى المستقبل؟ في الحقيقة لا أعرف لماذا وصلت إلى هنا بالذات!!

جلسَ بالقرب منها وقال:

ـ ومن أينَ أتيتِ؟ تبدين أجنبية. هل أنتِ إنجليزية أم رومانية؟

ابتسمت كارن:

ـ هذا غير مهم، ما يهمني هو الزمن فقط، فيجب أن أعود إلى عام ألفين وسبعة عشر ميلادي. أعلم أنه زمن بعيد جداً، ولكن أنا أتيت من هناك ولا أعرف لماذا؟

استمرت حيرة هونجو، لكن قاطعَ حديثهما فجأةً دخول مجموعة من الرجال يرتدون زي الجنود إلى منزل هونجو، فأسرع هونجو إلى مقاتلتهم وأخذ يضربهم بسيفه بينما كارن تصرخ مفزوعة وتحاول أن تحمي نفسها، فاقتربت منها العجوز المسكينة التي كانت تشتمهم وهي تحاول أن تحمي ابنها وتساعده، فأمسكَ أحد الجنود بكارن من عنقها وأخذ يخنقها ولكن هونجو عاجلهُ بضربة على خصره فقسمته إلى نصفين وأنقذ كارن، ولكن قام آخر بضرب عنق والدته بسرعة فلم يستطع هونجو حمايتها. ثم هجم عليهم ثلاثة من الفرسان فصرخت كارن بذعر وأسرع بحملها وأخذها على صهوة جواده، ثم ابتعدا حتى وصلا إلى كهف مظلم فتوقف هونجو وطلب منها الدخول إلى الكهف لكنها رفضت.

ـ المكان مظلم، لا أريد الدخول

دفعها هونجو رغماً عنها نحو الكهف وقال بحزم:

ـ اختاري: إما الظلام أو الموت؟ ألا تريدين العودة إلى عائلتك كما تقولين؟

دخلت كارن مرغمة إلى ذلك الكهف وأخذت تسمع صوت هسيس الخفافيش التي احتلت سقف الكهف، فابتلعت ريقها من شدة التوتر وقالت همساً:

ـ كم من الوقت سنبقى هنا؟

ـ ربما حتى يطلع الفجر، لا تقلقي نحن بأمان هنا

ـ ماذا عن شبح مصاص الدماء الذي أخبرتني عنه سابقاً، ألن يأتي إلى هنا؟!

ـ لا تقلقي، لا توجد أشباح هنا

جلسا على الأرض فشعرت ببرودة الأرض الرطبة وارتعش جسدها، فأحاطت جسدها بذراعيها وهي ترتجف، فخلع هونجو سترته ووضعها على كتفها، ثم ابتسم بلطف فشكرته وظلت ترتعد وهي تنظر إلى الظلام المحيط بها. وبعد صمت قال:

ـ إذن أتيتِ من المستقبل كما تقولين؟! الأمر لا يصدق، ولكن ملابسك وطريقة حديثك يجعلاني أصدق ذلك رغم أنه مستحيل

كانت كارن تتنفس بصعوبة بسبب البرودة الشديدة

ـ نعم، والآن لا أعرف كيف أعود، يجب أن أكون هناك قبل أن تستيقظ عائلتي من النوم، لا أريد أن أسبب الذعر لهم

لاحظت حزنه المفاجئ فتذكرت أن والدته قد قتلت قبل قليل أمام عينيه ولم يستطع مساعدتها، فقالت لتواسيه :

ـ أنا آسفة لفقدك والدتك، كانت سيدة لطيفة

ابتسمَ بحزن وحاولَ أن يتمالك نفسه كي لا تسقط دموعه رغم حزنه

ـ شكراً لكِ، هذا هو حال الحرب، قبلها فقدتُ أختي وأبي، فذلك اللعين اكياما اختطفَ أختي وقتلها لكنني استطعت سرقة سيفه هذا، وهو يبحث عني لاسترداده

سألتهُ عن سر السيف ولمعانه الغريب، فقال وهو يرفعه أمامها بتباهٍ:

ـ هذا سيف أسطوري، صنعه أحد أمهر الحدادين في بداية الإمبراطورية اليابانية كهدية لكاهن الإمبراطور الخاص. ويقال إنّ الكاهن وضع تعويذة سحرية تجعل كل شخص يحمل هذا السيف مقاتلاً قوياً لا يهزم

ـ وهل تمت سرقته من الإمبراطورية لاحقاً؟

ـ كلا بل توارثته الأجيال حتى وصل إلى عائلة اكياما، ولكنه شخص لا يستحق مثل هذا السيف لأنه كسول وجبان ولا يمتلك صفات الرجل النبيل، فهو يفضل أن يفقد وعيه طوال الوقت بشرب الخمر واللهو بدل أن يدافع عن الحق ويساعد رعيّته، لذا استطعت انتزاعه منه بعد أن قتل أختي بسهولة

وبسبب البرودة وطول الانتظار شعرت كارن بالنعاس وتثاقلَ جفناها وأخذ رأسها يميل على كتف هونجو الذي رحّب بذلك وتركها

تنام بهدوء، بينما ظل يراقبها وعلى شفتيه ابتسامة. وفكّر في نفسه أن تلك الفتاة الغريبة قد أسرته بحديثها وبحسنها وأنه يتمنى أن تظل معه إلى الأبد لتكون زوجة له. وعندما حلّ الفجر وبدأ النور يدخل إلى الكهف أيقظها بهدوء قائلاً:

ـ يجب أن نخرج الآن، استيقظي يا كارن

خرجا من الكهف وقد لاحظت كارن أنه يقع وسط غابة متشعبة الأشجار، فسألته وهي تسير معه على صهوة الجواد

ـ ما سبب هذه الحرب؟

تنهّد هونجو بحزن:

ـ سبب سخيف جداً، لقد سرقَ أحدهم رداء الإمبراطور وتوجّه الاتهام إلى قريتنا لوجود أحد الكهنة الذين كانوا يكرهون الإمبراطور فيها، لذا هجموا على منزل الكاهن ومنذ ذلك اليوم ونحن في حرب لا تنتهي، وما يزال البحث مستمراً عن رداء غبي لا قيمة له راح ضحيته الكثير من الأبرياء

شعرت بالدهشة وهي تفكر بمدى سخافة الأمر الذي قد تسبّب في قتل الكثيرين من الناس

ـ رداء يتسبّب بكل هذا القتل والدمار؟! يا لها من سخافة!

ثم تذكرت خالتها لورين، وفكرت أنها ربما هي من سرقت الرداء وتسببت بكل هذا فقالت لهونجو:

ـ سأخبرك بأمر وقد تعتقد أنني مجنونة، ربما أنا أعرف مكان ذلك

الرداء، ولكن يجب أن أعود إلى منزلي كي أتأكد

ضحك هونجو بشدة وأخذ يسعل من شدة الضحك، وكارن تنظر إليه وترفع حاجبيها:

ـ أنتِ تعرفين مكان الرداء!! الآن أيقنت أنكِ حقاً مجنونة

غضبت منه، وقالت:

ـ أخبرتك أنني ربما أعرف، لم أقل بأني متأكدة من ذلك، إن كنت لا تريد أن تنهي الحرب فهذا شأنك. ولكن أنا أريد أن أعود إلى عائلتي، والآن إلى اللقاء وشكراً لمساعدتك

سارت أمامه بغضب فأخذ يتبع خطواتها ليسير قربها وهو يعتذر منها، رغم أنه استمر يضحك

ـ حسناً سأصدقكِ، ولكن أخبريني: كيف أوصلكِ إلى عائلتك؟

فكرت قليلاً ثم قالت:

ـ ربما لو عدتُ إلى المكان حيث وجدتني سأجد الحل

ـ لقد كنتِ تقفين وسط أرض المعركة عندما أنقذتكِ، حسناً لنذهب إلى هناك، فالآن نحن في فترة هدنة، والمكان آمن تقريباً

أخذها إلى أرض الحرب، ووقفت تنظر حولها حائرة، وعندما شعرت باليأس قالت :

ـ يبدو أنني لن أعود إلى عائلتي أبداً، وقد تكون أمي قلقة الآن وتبحث عني. كم أنا غبية!

وضعت رأسها بين يديها وأخذت تنتحب فاقترب منها هونجو وربّت على كتفها بعطف:

ـ لا تقلقي، أنا متأكد بأن هناك طريقة لعودتك، أخبريني كيف أتيتِ إلى هنا؟

تذكرت ما حدث وأخبرته بكل شيء عن الصندوق وانتقال أخيها عبره، فقال لها:

. صندوق خشبي رُسمت عليه رموز غريبة؟! أنا أعرف أين أجد مثله، هيا تعالي معي.

لحقت كارن به فأخذها إلى قصر مهجور في منطقة نائية، ووقف عند المدخل ثم قال قبل أن يدخلا إليه:

ـ إنه قصر الإمبراطور، لقد هجره بعد أن اختفت ابنته فجأة ولا أحد يعلم إلى أين ذهبت! البعض يقولون إنها هربت برفقة شاب أجنبي، وآخرون يقولون إنّ الكاهن حوّلها إلى بجعة بسبب غضبه من الإمبراطور

ـ بجعة!؟

ـ أجل بجعة، ولكن أعتقد أنها مجرد كذبة يحاولون بها إخفاء حقيقة هرب الأميرة مع شاب إلى بلد آخر لأنها كانت تحبه، لكنها لم تستطع إقناع والدها بالزواج منه.

دخلا سوياً إلى القصر وأخذها إلى غرفة صغيرة في قبو القصر المتهالك، وشاهدت كارن صندوقاً خشبياً قديماً وقد اهترأت بعض أجزائه فاقتربت منه وأخذت تتحسس النقوش:

ـ إنه هوا! نفس الصندوق الموجود في الكوخ ونفس النقوش، رغم أنه يبدو قديماً جداً

سمعَ هونجو صوتاً يأتي من خارج القصر وقال:

ـ سأذهب لأرى، ربما أحد رجال العدو قد لحق بنا من دون أن ننتبه، يجب ألا يعلم أي أحد بوجودنا هنا

بعد أن خرج هونجو التفتت كارن إلى الصندوق مجدداً فرأت نقوشه تتوهج ويفتح على مصراعيه. ثم سطع منه نور أزرق قوي فشعرت كارن بالسعادة، ولكنها قررت أن تنتظر هونجو كي تودعه قبل أن تدخل إلى الصندوق إلا أنه تأخر كثيراً، فخافت أن تخسر فرصتها في العودة إلى عائلتها فقفزت بسرعة إلى الصندوق. وقبل أن يطبق فوقها شاهدت هونجو يركض نحوها فمدّت يدها كي تودعه ألا أنه أمسك بيدها فسحبه الصندوق إلى الداخل وأغلقَ فوقهما.

***

عندما استيقظت إيمي طلبت منها والدتها كالعادة أن توقظ أخويها ليستعد الجميع للذهاب إلى المدرسة. فطرقت باب غرفة كارن إلا أنها لم تجبها فاعتقدت أنها ما تزال نائمة. ولكن عندما فتحت الباب لم تجدها في الغرفة فشعرت أن هناك شيئاً ما قد حدث لأختها فأسرعت لتخبر والدتها عن اختفاء كارن، فتركت لورا ما بيدها وذهبت مسرعة نحو غرفة كارن. وعندما فتحت الباب كان جاك يقف أمام الباب الخشبي وينظر إليه بذهول فاقتربت منه وسألته:

ـ أين أختك كارن؟

أشار إلى الباب الخشبي. وفجأةً سمعوا صوت طرق قوي يأتي من داخله فذعروا جميعهم وتراجعوا إلى الخلف، ولكن لورا اقتربت منه وقالت بصوت عالٍ وهي تحاول أن تُدير مقبض الباب:

ـ كارن، هل أنتِ في الداخل؟

مرت لحظات من الصمت، وفجأةً سمعوا صراخ كارن وبكاءها وهي تستنجد بهم من خلف الباب، فشعرت لورا بالخوف على ابنتها وأسرعت خارج المنزل متجهة إلى منزل آدم كي تطلب منه أن يحطم الباب.

ـ أرجوك ساعدني، ابنتي كارن في خطر، أحضر فأسك معك

ـ ما بك يا لورا؟ ما الذي يحدث؟

أمسكت بذراعه وجرّته نحو المنزل، فحمل آدم فأسه وأخذ يركض معها وصعدا إلى غرفة كارن. ثم اقتربَ آدم من الباب ووضع يده على المقبض رغم شعوره بالخوف لأنه يعرف أسراره وما يحدث في هذا المكان، ألا أن بكاء كارن وصراخها جعلاه ينسى خوفه وقال:

ـ الباب لن يتحطم أبداً يا لورا

التفتت إليه وأخذت ترجوه وهي تبكي كي يساعد ابنتها، فقال بعد تردد:

ـ يجب أن تكفّ كارن عن الصراخ وإلا لن يُفتح، يجب أن تفكر بأنّ الباب مفتوح وأنها تستطيع الخروج منه بكل سهولة وإلا ستظل

صرخت لورا بصوتٍ عالٍ كي تسمعها كارن، وأخذت تخبرها بما قاله آدم

ـ توقفي عن الصراخ والبكاء وحرّكي مقبض الباب وسيُفتح، لا تخافي يا كارن

وفجأة فُتح الباب أمامهم واستطاعت كارن أن تخرج منه، فأسرعت لورا واحتضنت ابنتها ثم التفتْ الجميع مجدداً ورأوا هونجو وهو يخرج من الباب خلف كارن، وأخذ يحدق إليهم والدهشة تعلو وجهه ثم سأل كارن:

ـ أين أنا؟

فتح هونجو عينيه بدهشة وبذعر وهو يضع يده على فمه غير مصدق

ـ كيف أتحدث لغتكم وأنا لا أعرفها!؟

سألت لورا كارن:

ـ من هذا الرجل الغريب؟ وكيف فتحتِ الباب!؟

حدقت إيمي إلى ملابس هونجو الغريبة ومظهره وقالت:

ـ أعتقد أنه ياباني، ولكنه من العصور القديمة..

اقتربَ جاك منه وأخذ ينظر إلى السيف الذي كان يشع في يد هونجو

ـ هل أنت محارب ساموراي؟؟

أجابه هونجو وهو ما يزال في حالة من الذعر وينظر إلى وجوههم:

ـ نعم أنا من الساموري، اسمي هونجو، وقد أتيت مع كارن كي أستعيد رداء الإمبراطور. لقد أخبرتني أنها تعرف مكانه

لم تفهم لورا ما الذي يتحدثون عنه، فأخذت تنظر إليهم بحيرة وقد اغرورقت عيناها بالدموع! فاقتربت منها كارن وقالت بعد أن التفتت إلى أخويها:

ـ ما سنخبرك به يا أمي أمر مخيف وغريب، ولكن يجب أن نفعل ذلك لأننا لا نريد أن نكذب أكثر ونجعلك تتوترين وتخافين.

أخبرت كارن والدتها بكل القصص التي حدثت لهما هي وأخوها جاك ومغامراتهما بداخل الصندوق، وتلك العوالم الغريبة التي انتقلوا إليها. ولم تصدق ما كانت تسمعه فشعرت بالقلق والخوف خصوصاً بعد أن أكّد لها جاك ما حدث، وجعلها ترى الحذاء الصغير فقالت وقد بدت في حالة من الذهول:

ـ يجب أن أخرجكم من هنا، هذا المنزل ملعون ويجب أن ننقذ أنفسنا قبل أن يحدث مالا تُحمد عقباه، يكفي أنني فقدت والدكم ولا أريد أن يصاب أحد منكم بمكروه

كان آدم يستمع إلى كل ذلك بصمت، ولكنه اضطرّ إلى أن يقول لها:

ـ أنتِ المختارة لهذا المنزل يا لورا ولن تستطيعي الخروج منه قبل أن تعيدي كل شيء إلى مكانه الصحيح، كما طلبت خالتك عدم بيع

البيت أو انتقال ملكيته سوى إلى أحد أفراد عائلتك وإلا ستحصل كارثة

ثم اقتربَ من الباب الخشبي، ووضع يده عليه وأخذ يتذكر كل شيء وأضاف قائلاً:

ـ هذا المنزل هو بوابة نحو عوالم أخرى، وتلك البوابة تفتح من هذا الباب اللعين. عندما قامت خالتك بشراء المنزل لم تعلم بأمر هذه البوابة وأصيبت بالخوف والذهول، ولكنها بعد أن علمت كيف تنتقل إلى تلك العوالم وتعود بكل سهولة قررت أن تفعل شيئاً تسبّب بلعنة. بكل اختصار خالتك أخرجت الشياطين من مخابئهم، والآن أنتِ مجبرة على إغلاق هذه البوابة وإلا...

لم يستطع أن يخبرها أكثر، فتوقف عن الحديث وهو ينظر إليها، فسألته بخوف:

ـ وإلا ماذا؟ أكمل يا آدم أرجوك

صمتَ آدم لبرهة وهو ينظر إلى وجوههم الخائفة، وشعر أن ما سيقوله قد يسبّب لهم صدمة. إلا أنه كان مضطراً إلى ذلك فقال:

ـ تلك الشياطين ستنتقم منكِ أنت وعائلتك بسبب أفعال خالتكِ المجنونة

شهقت لورا بذعر، ثم أخذت تبكي

ـ كم أنا حمقاء! لقد جئت بكم بنفسي إلى هذا المنزل وعرّضتكم للأذى..

اقترب جاك من والدته، واحتضنها كي تهدأ

ـ لا تقولي هذا يا أمي، فنحن بخير ولم نصب بأي أذى، وكل ما علينا فعله هو أن نعيدهم إلى البوابة ونغلقها

فقال آدم:

ـ الأمر ليس سهلاً يا بني، فعدد الوحوش والأشخاص....

قاطعته لورا وقد بدت أكثر ذعراً واهتز صوتها وهي تتلفت حولها:

ـ وحوش!! هل هم وحوش أيضاً؟

ـ كيانات مختلفة، بشر ومسوخ ومجرمون وغيرهم، فخالتك لم تهتم سوى بالمال وبالأشياء الثمينة فاستغلّتهم لتحقيق رغباتها. إنّ عددهم كبير لذا ستكون مسألة إعادتهم صعبة خصوصاً أنهم يريدون العودة إلى زمانهم ولكن قبل أن يكونوا مجرمين.

التفتت كارن إلى هونجو الذي ظل واقفاً يستمع إلى كل هذا الحديث بدهشة، وقالت:

ـ فلتكن أول مهمة هي إعادة هونجو إذن.

أخبر آدم لورا كل ما يعرفه عن المنزل وعن خالتها، وكيف انتقلت الكيانات عبر البوابة. وكانت تستمع إليه وهي في حالة من الذهول؛ فما يقوله صعب التصديق بل هو مستحيل بالنسبة إليها:

ـ ما تقوله مخيف ولا يصدق، لا أستطيع أن أصدق بأن خالتي فعلت كل ذلك!!

ـ أنا كنت أحد هؤلاء الأشخاص الذين أنقذتهم خالتك من الموت،

وليتها تركتني أموت..

نظرت إليه بحذر وخوف وحاولت أن تبتعد عنه، إلا أنه قال بسرعة وقد أدرك مخاوفها:

ـ كلا يا لورا، أنا لست مجرماً مثلهم، لقد تم الحكم عليّ بالإعدام بتهمة قتل زوجتي لكنني لم أقتلها. لقد لفّق أحد أعدائي هذه التهمة وألصقها بي حتى يتخلص مني كمنافس له، وعندما اكتشفت خالتك أنني لستُ بقاتل بل مجرد رجل مظلوم غضبت كثيراً وكادت أن تقتلني ولكنها تراجعت عن قرارها، أنا لم أقتل زوجتي صدقيني

ـ إذن من قتلها؟ ولماذا اتهمتك الشرطة ولم تحقق في ذلك؟

تنهّد آدم بحزن وهو ينظر إلى السقف، ثم أغلقَ عينيه وقال قبل أن تنحدر دموعه التي مسحها بسرعة:

ـ القصة طويلة، فأنا كنت شخصية مشهورة في المستقبل، مصارع قوي لم يستطع أحد أن يغلبني، خصوصاً أنّ هذه الرياضة انقرضت تقريباً في ذلك الزمان ولم يبقَ هنالك الكثير ممن يمارسونها، لذا قررت إحدى الشركات الكبرى إجراء مسابقة للمصارعين وسيحصل الفائز على مبلغٍ كبيرٍ من المال بالإضافة إلى رحلة فضائية إلى كوكب آخر مأهول

فتحت عينيها بدهشة:

ـ رحلة إلى كوكب!! عن أي عام تتحدث؟

ابتسمَ آدم وقد لاحظ دهشتها ومنظرها الذي بدا كمنظر طفلة تستمع إلى قصة مخيفة:

ـ أتيث من عام 2099 ميلادي، نعم هناك رحلات مكوكية للكواكب وتستطيعين شراء قطعة أرض أيضاً على أي كوكب تختارينه، لقد تطوّر العلم ولكن تدمّر الكثير من البشر بسببه أيضاً، فالطمع والفساد قد ازدادا بشكل مخيف ولم يعد هناك أي أهمية للقيم وللمبادئ خصوصاً بعد الزلزال الكبير الذي ألحقَ الضرر بالقشرة الأرضية ولوّث الهواء عام 2028

صمتَ لبرهةٍ وكأنه يسترجع الماضي الذي كان مستقبلاً بالنسبة إلى لورا ثم قال:

ـ سيمر العالم بأزمات عدة وأولها ربما يحدث قريباً جداً يا لورا، لقد درسنا ذلك في كتب التاريخ عن ماضٍ لم يحدث بعد بالنسبة إليكم... حيث ستنتشر الأوبئة والأمراض، وستتعرض الأرض إلى الكثير من الكوارث....

ـ أرجوك لا تخيفني أكثر يا آدم، فيكفي ما أنا فيه الآن

ابتسمَ بحزن، ثم أكمل قائلاً:

ـ إذن سأكمل قصتي لكِ، ولن أخبرك بما سيحدث في المستقبل حتى لا تخافي، أذكر حينها أنني كنت واثقاً من الفوز في تلك المسابقة، ولكني كنت خائفاً من ترك زوجتي الحامل وحدها والسفر إلى العاصمة بعيداً عنها، رغم أنني طلبت منها المجيء معي لكنها رفضت وقررت أن تبقى بسبب خوفها من الإرهاق وتعب الحمل، فتركتها وذهبت إلى حلبة المصارعة وهناك لم يستطع أحد أن يتغلب عليّ ويهزمني. لكن ما أتذكره أني عندما هزمت المصارع الأخير

وسقط أمامي قال لي: لن أجعلك تفرح بفوزك ستندم كثيراً. لكنني حينها لم أهتمّ لكلامه. وبعد الاحتفال بالفوز واستلام جائزتي قررت في اليوم التالي العودة إلى زوجتي بسرعة. وعندما وصلت إلى المنزل ودخلتُ، رأيتها ممددة على الأرض تسبح بدمائها، وكانت تلفظ أنفاسها الأخيرة

توقف آدم عن الحديث وأخذ يبكي بصمت، فوضعت لورا يدها على كتفه لتواسيه:

ـ أرجوك لا تكمل إن كنت لا تستطيع

مسحَ آدم دموعه، وأكمل قائلاً:

ـ يجب أن أخبركِ بكل شيء حتى تصدقيني. اقتربتُ منها وأخذت أتفحص نبضها وأنظر إلى تلك السكين المغروسة في بطنها، وكأنّ من طعنها تعمّد أن يقتل ابني معها. وفي تلك الأثناء دخل رجال الشرطة وهم يصوبون أسلحتهم نحوي رغم أنه لم تمر أكثر من عدة دقائق على رؤيتها بتلك الحالة!! حاولتُ أن أشرح الموقف لهم لكنهم لم يصدقوني. فقد وصلتهم رسالة من مجهول بأنني سأقوم بقتل زوجتي كي أتخلص منها من أجل عشيقتي. وما أثبتَ صحة روايتهم أكثر هي بصماتي التي صارت على السكين لأنني حاولت أن أنتزعها من جسدها. كما أنهم وجدوا رسالة مكتوبة بخط يد زوجتي تقول فيها إنني غاضب منها وأنوي أن أقتلها!!

ـ هذا فظيع جداً، لكن ما قصة هذه الندبة التي تشوّه عنقك ووجهك؟

ابتسم آدم وهو يضع يده على الندبة ويتحسسها بإصبعه:

ـ أنا مصارع وهذه إحدى مخاطر عملي، إنها تجعلني كالمجرمين ولكنها تميزني أيضاً وتجعل الكثيرين يخافون من مواجهتي

ابتسمت لورا بخجل:

ـ في الحقيقة أنا أيضاً خفت كثيراً عندما رأيتك أول مرة، وتوجهت أنظاري مباشرة إلى عنقك وأنت تحمل فأساً في يدك، لقد كنت في موقف لا أحسد عليه حينها

ـ يحقُّ لك ذلك، فأنا أيضاً اعتقدت في البداية أنكِ خالتكِ، فأسرعت نحوك كي أخنقكِ أو أضربك بالفأس لأنتقم منها وأجبرها أن تعيدني إلى المستقبل. ولكن عندما اقتربت منك عرفت من تكونين. فأنتِ تشبهينها كثيراً.

صمتا لبرهة، وأخذت لورا تفكر فيما أخبرها به، هل هو حقيقة أم كذب اخترعه ليبرر لنفسه سبب وجوده هنا؟ وعندما لاحظ شرودها قال:

ـ أعلم أنكِ ربما تشكين بما أقوله، ولكن أتمنى منك أن تساعديني لأثبت لك وللعالم بأنني لم أقتل زوجتي.

ـ وكيف أساعدك؟ أنا أشعر بالحيرة والخوف، فهناك رجل ياباني غريب في منزلي يجلس برفقة أولادي الذين يتحدثون عن وحوش وأشياء مخيفة!! وأنت تخبرني أنك أتيت من المستقبل وتتحدث عن منزل خالتي وما يحدث فيه. وأنا أقف عاجزة لا أدري كيف أتخلص من هذا المنزل ولعنتهِ قبل أن تحل علينا.

وضعَ آدم يده على يدها بلطف، وقال مبتسماً:

ـ سينتهي كل شيء، ولكن أولاً علينا أن نعيد ذلك الشاب الياباني وبعدها نحل المشاكل واحدة تلو الأخرى. وأنا أعدكِ أنني لن أتخلى عنكم

لا تدري لورا هل تصدقه؟ هل هو فعلاً بريء كما يقول؟ فمظهره القاسي وجسده الضخم وتلك الندبة يُظهران عكس لطفه ورقة قلبه. فهي لم ترَ أبداً رجلاً يبكي بهذه الطريقة حتى زوجها. أما هذا الرجل الضخم فقد أخذ يبكي كطفل تائه عند حديثه عن زوجته التي أحبّها.

ودّعها وعاد إلى منزله بينما ظلت هي تفكر بمنزل خالتها الذي تعيش فيه، وتفكر كيف استغلت خالتها تلك البوابة في الأعمال الشريرة والسرقة وابتزاز الآخرين، فحاولت أن تتذكر طفولتها عندما جاءت برفقة والدتها للعيش مع خالتها، لكنها لم تستطع أن تتذكر سوى الشجار الذي جرى بين أمها وخالتها، وغضب والدتها ومنعها من الاقتراب من خالتها بدون أن تعرف السبب!! وتذكرت أيضاً مشهداً غريباً حدثَ في طفولتها، كانت تعتقد أنه مجرد حلم.

طفلة تلعب مع الأطفال

تذكرت لورا أنه بعد أن استقرت والدتها في منزل أختها لورين لاحظت أنها تختفي طوال الليل كثيراً من دون أن تخبر أختها إلى أين ستذهب، وعندما تسألها عن سر اختفائها كانت لورين تضحك وتقول:

ـ لا تقلقي يا عزيزتي، فأنا لديّ أمور مهمة أقوم بها ولا أستطيع أن أخبركِ عنها الآن، ربما في المستقبل عندما تتأقلمين أكثر هنا ونصبح قريبتين

تذكرت أن والدتها حاولت الدخول إلى إحدى الغرف المغلقة ذات مرة، وعندما لم تستطع فتحها سألت أختها:

ـ لماذا تلك الغرفة مغلقة؟ بالرغم من أنها أكبر الغرف وأنتِ لا تستخدمينها؟

حينها شعرت لورين بالضيق من فضول أختها وكثرة أسئلتها ولم ترد عليها، بل ابتسمت ابتسامة سريعة وقالت:

ـ اهتمي بابنتكِ الصغيرة، انظري لقد أوقعتِ كوب الحليب على الأرضية..

حاولت إيزابيل تجاهل لورين، ولكن في إحدى المرات عادت لورين وهي تحمل بيدها تاجاً مرصعاً بالمجوهرات ويبدو مألوفاً جداً. وعندما رأتها لورين تنظر إلى التاج بتمعن ارتبكت كثيراً وأسرعت إلى غرفتها من دون أن تتحدث. فكرت إيزابيل بخوف وأخذت تسأل نفسها: هل أختي سارقة؟ ولماذا تلجأ إلى السرقة وهي تملك هذا

المنزل الكبير ولديها الكثير من الأموال!؟ ترى هل كلها مسروقة؟ ولم تشأ أن تثير مشاكل بينهما خصوصاً أنها كانت مضطرة إلى السكن في منزلها، لذا قررت أن تتجاهل كل ما تراه وأن تهتم بابنتها وبشؤونها فقط. ولكن ما حدثَ في إحدى الليالي غيّر كل شيء بين الأختين. ففي تلك الليلة كانت إيزابيل تنام بهدوء مع ابنتها الصغيرة لورا والتي كانت تبلغ من العمر حينها خمس سنوات فقط، فاستيقظت لورا إثر سماعها لصوت طفلة أخرى كانت تدغدغ قدميها وتضحك بصوت منخفض، فرفعت رأسها لتبحث عنها لترى فتاة في مثل عمرها تقريباً، تقف بالقرب من السرير وتبتسم بلطف. فبادلتها لورا الابتسام ثم قالت الطفلة الغريبة بهمس:

ـ تعالي كي تلعبي معي

التفتت لورا إلى والدتها التي كانت نائمة بعمق، ثم نهضت من الفراش بحذر وخرجت لتلحق بالطفلة وتسألها:

ـ أين سنلعب؟ انتظريني، لا تركضي بسرعة

وقفت لورا وسط الصالون حائرة وهي تبحث عن الطفلة التي ظهرت أمامها وبرفقتها طفلان آخران، وقالت:

ـ هذان أخواي، وهما أيضاً يريدان أن يلعبا معنا..

شعرت لورا بسعادة غامرة لرؤية أطفال واللعب معهم، فقد كانت تشعر بالملل والوحدة في منزل الخالة، ولا يوجد من يلعب معها أو يتحدث إليها

ـ ولكن ماذا سنلعب؟ وأين؟

قال لها صبي يبدو أكبر سناً منها قليلاً

ـ سنلعب في الكوخ الصغير...

وافقوا جميعهم وخرجوا من المنزل بحذر وتبعتهم لورا، وعندما وصلوا إلى الكوخ ودخلوا إليه شعرت بالفرح وهي ترى حصاناً صغيراً ذا أجنحة جميلة يقترب منها لينحني أمامها، فأخذت تمسح على شعره وتلمس جناحيه، فأصدر صهيلاً وكأنه يعبر لها عن حبه، ثم التفتت إلى الطفلة وسألتها:

ـ هل أستطيع الصعود فوقَ ظهره؟

جلسَ الحصان وكأنه قد فهمَ ما طلبته لورا، فأسرعت وصعدت على ظهره وهي تضحك بسعادة، فقالت لها الطفلة التي صعدت خلفها:

ـ تمسّكي جيداً، سنحلّق في السماء

ازداد حماسها وفرحها عندما ارتفعَ الحصان عن الأرض وأخذ يرفرف بجناحيه. وفجأةً سطع نور قوي صدر من صندوق ضخم كان موجوداً في الكوخ، فالتفتت لورا إليه وأخذت تنظر إلى ذلك النور بدهشة وبانبهار!!....

استيقظت إيزابيل بعد أن شعرت أنّ مكان ابنتها على السرير خالٍ، وأخذت تبحث عنها في الغرفة ولكنها لم تجدها، فشعرت بالذعر والقلق لأن لورا ما تزال طفلة صغيرة والمنزل كبير جداً وقد تتوهُ فيه، فكيف ستبحث عنها الآن ومن أين تبدأ؟ أخذت تبحث في المنزل وهي تصرخ باسم ابنتها وتخيّلت حدوث مكروه لها، فسمعت

لورين صوت صراخها فأسرعت في الخروج من غرفتها هي الأخرى لتسألها:

ـ ما بكِ؟ لماذا تصرخين؟

كانت إيزابيل منهارة وهي تبكي:

ـ لقد استيقظت من النوم ولم أجد لورا بالقرب مني، فبحثت في المنزل ولكن لا أعرف كيف أتصرف...

ـ لا تقلقي إنها بخير سنجدها، لورا ما تزال صغيرة ولن تبتعد عن المنزل ثقي بي..

ثم تركت أختها وعادت إلى غرفتها وكأنها غير مبالية، فشعرت إيزابيل بالغضب من ردة فعل أختها الغريبة والباردة، فطرقت باب غرفتها بغضب:

ـ ألن تساعديني في البحث عنها!! أنت أنانية حقاً ولا أعرف لماذا لجأتُ إليكِ..

فتحت لورين الباب، وقالت بغضب:

ـ لجأتِ إليّ لأنك لم تجدي أحداً سواي لينقذك من بؤسك، ليس حباً أو شوقاً، أنت الأنانية المتسلقة، والآن اغربي عن وجهي

ثم صفقت الباب في وجهها!! ازدادَ قلق إيزابيل وضيقها، فخرجت من المنزل تبحث عن لورا ولم تجدها في أي مكان، فعادت إلى المنزل وقد خارت قواها من كثرة البحث والبكاء وجلست على السلم تبكي وحدها وقد فكرت أن تذهب إلى مركز الشرطة لتبلغ

عن اختفاء لورا، ولكن فجأةً خرجت لورين من غرفتها مسرعة ودخلت إلى الغرفة المغلقة بدون أن تلتفت إلى أختها التي ذهشت من تصرفها، فلحقت بها كي تتحدث إليها، ولكن ما رأته جعل لسانها ينعقد وفتحت عينيها بذهول!! فقد كانت لورا تلعب مع ثلاثة أطفال أشكالهم غريبة وتركب على حصان مجنّح وهي تضحك بسعادة!! ومن شدة الصدمة سقطت إيزابيل على الأرض فاقدة وعيها.

وعندما فتحت عينيها أخذت تنظر حولها وتذكرت ما رأته، فنهضت بسرعة من الفراش وذهبت إلى غرفة أختها وفتحت الباب من دون أن تطرقه، فشاهدت لورا تلعب مع لورين ومجموعة من الأطفال الغرباء الذين اختفوا فجأةً، مما جعل إيزابيل تصاب بصدمة أخرى من الذعر. فأخذت لورا تبكي وتسأل خالتها:

ـ لماذا ذهبوا؟ أريد اللعب معهم..

حينها اقتربت إيزابيل من ابنتها وحملتها بين ذراعيها واحتضنتها وهي تبكي. أما لورين فظلت واقفة وهي تنتظر ردة فعل أختها بعد كل ما رأته، لكن إيزابيل لم تتحدث بل كل ما فعلته هو أنها حبست لورا في غرفتها ومنعتها من رؤية لورين أو البقاء معها وحدها. وقررت أن تخرج من المنزل فحاولت لورين التحدث معها، ولكن إيزابيل رفضت بشدة ولم تهتم، بل ألقت عليها نظرة حاقدة وقالت:

ـ لن تتغيري أبداً...

***

طوال فترة طفولتها ومراهقتها كانت لورا تحلم بذلك الحصان

المجنح، وكانت تعتقد أنه مجرد حلم وليس حقيقة. ولكن الآن تذكرت كل شيء وعرفت أن هذا المنزل لديه أسرار لا تعرفها سوى خالتها لورين. لذا قررت أن تبذل جهدها وتخرج منه كي تنقذ عائلتها ونفسها قبل أن يتعرض أحدهم إلى أي سوء يجعلها تندم طوال حياتها...

في اليوم التالي اجتمعت لورا مع أولادها، وكذلك مع آدم وهونجو الذي ما يزال يشعر بالدهشة وهو يتحدث لغتهم بطلاقة، فالتفت إلى كارن وقال:

ـ بعد أن سمعت قصة هذا المنزل، في الحقيقة أنا أتمنى أن أساعدكم أولاً، ثم أعود إلى الماضي.

قاطعته كارن معارضة:

ـ كلا، يجب أن نعيد رداء الإمبراطور حتى تنتهي الحرب

وافقتها والدتها وأضافت:

ـ ولكن يجب أولاً أن نعرف أين خبأت خالتي كل الكنوز التي أخذتها

سحبَ آدم نفساً عميقاً وقال:

ـ أنا أعرف أينَ هي، ولكن هل نستطيع إعادة كل تلك المسروقات بالإضافة إلى الوحوش وهونجو؟ سيلزمنا الكثير من الوقت والتخطيط

تنهدت لورا بحزن وقد شعرت بالعجز وقلة الحيلة، فقال جاك:

ـ لا تقلقي يا أمي سنجد حلاً، أولاً دعونا نهتم بموضوع الوحوش وإعادتهم

فجأة سمعوا صراخاً قوياً وأصواتاً مزعجة تأتي من خارج المنزل، فأسرعوا جميعهم لرؤية ما يحدث. فوجدوا أمام بوابة المنزل جموعاً من أهالي القرية يقفون ويهتفون بغضب:

ـ اخرجوا من قريتنا أيُها السّحرة، نحن لا نريدكم هنا

شعرت لورا بالذعر وهي تنظر إليهم وهم يحملون في أيديهم أسلحة ويهددون عائلتها

ـ يجب أن نرحل من هنا، لا يهمُني ما يحدث لهذا المنزل، هيا يا أولاد لن نبقى يوماً واحداً بعد.

حاولَ آدم تهدئتها وثنيها عن الخروج

ـ صدقيني سيستمرون في ملاحقتكِ، لن تشعري بالراحة أبداً

ابتعدت عنه وقالت وهي في حالة ذعر:

ـ ألم تسمعهم وهم يهددوننا بالقتل!؟ هؤلاء لن يرحمونا أيضاً. لن أعرّض أبنائي إلى كل ذلك.

وفجأة قاطعتهم كارن وهي تصرخ، فالتفت الجميع إليها، ثم إلى المسوخ التي خرجت من جميع غرف المنزل وأحاطت بهم!! فصمتوا جميعهم والخوف والدهشة يعلوان وجوههم، حتى قال أحد المسوخ وكان رجلاً يغطيه الشعر وكأنه ذئب:

ـ نحن نعلم أنكِ ابنة أخت لورين، وأنت الشخص الوحيد القادر

على إعادتنا إلى عوالمنا، لذا سنحميكِ أنتِ وعائلتك بشرط أن تفي بوعدك وتُنقذينا أيضاً

حدّقت لورا في ذلك الرجل الضخم ذي القرون الذي اقتربَ منها وأخذ يتحدث إليها قائلاً:

ـ لن يمسّوكم بسوء ما دمتِ عند وعدكِ لنا

تراجعت لورا إلى الخلف من شدة الذعر حتى كادت أن تسقط لولا أنّ آدم أمسكَ بها وقال للوحوش:

ـ لورا لم تكن تعرف بأمركم. فخالتها قد خدعتها أيضاً، أما مسالة إعادتكم فهي ليس بالأمر السهل، لذا سنحتاج إلى المزيد من الوقت حتى نفكر بطريقة مناسبة

قاطعتهم امرأة ترتدي زي محاربة:

ـ أنا لا أريد العودة إلى الماضي، لكن يجب أن آخذ التاج إلى الملكة، أو أن تتمّ إعادته بأي طريقة.

ومن خلفها قال شخص آخر يرتدي زياً قديماً وكأنه بدوي، ويحمل بيده عصا :

ـ أنا أيضاً لا أريد أن أعود، لأنه في جميع الأحوال سيتم إعدامي حتى لو عدتُ طفلاً، ولكن ذلك الكتاب يجب أن يعود إلى صاحبه؟

ـ إنه مجرد كتاب، فلنتخلص منه فقط

ابتسمَ الرجل البدوي بخبث:

ـ ليس كتاباً عادياً، بل يجب أن يتمّ إخفاؤه عن أعين الناس بأي

طريقة، وإن لم يحدث ذلك فسيتغير الكثير، وربما ينتشر فساد من نوع آخر

دار حوار طويل وغريب بين لورا وجميع المسوخ والأشخاص. وقد قرّر معظمهم عدم العودة بشرط إعادة كل ما هو مسروق، فقالت:

ـ لكن من الصعب أن يتأقلم الناس مع وجودكم هنا!! ستتسببون بالذعر كما يحدث الآن لي ولعائلتي. هل تعتقدون أنه من الطبيعي رؤية رجل يمشي أمام الناس وهو يملك قرنين في رأسه؟ أو فتاة جميلة تملك زعانف وأذنين طويلتين؟ أو معرفة أن ذلك الرجل هو قاتل متسلسل كان يسلخ جلود ولحوم ضحاياه!!؟ الأمر في غاية الخطورة

تحدثت الفتاة ذات الزعانف:

ـ خالتكِ هي من تسبّبت بالهلع لهؤلاء الناس عندما طلبت منا إخافتهم حتى لا يقتربوا من منزلها، نحن لم نشأ أن نظهر أمامهم لولا أوامرها وسيطرتها علينا

وقال رجل يرتدي قناع ذئب، ويحمل بيده عصا بيسبول:

ـ لقد جعلتني أخيف أحدهم حتى تسببت بموته، وهذا ما زادَ الأمر سوءاً

ابتلعت لورا ريقها بصعوبة وهي تدير عينيها صوب كل الوجوه الغريبة التي تحيط بها، وقالت رغم معرفتها بصعوبة ما ستعدُهم به:

ـ سنجد حلاً أعدكم بذلك، أما الآن فسنبدأ بالكتاب، أعتقد أنه أسهل مهمة

التفتَ الجميع إلى إيمي التي فتحت عينيها بذعر:

ـ لكن أنا...

قاطعتها كارن:

ـ أنتِ الشخص المناسب لمهمة إعادة كتاب، لا تنسي أنك قارئة وتعرفين كل شيء تقريباً عن الكتب والمكتبات

ـ لكن ماذا لو أنني فشلت في مهمتي؟

قالت لورا وهي تمسك بيد ابنتها لتطمئنها.

ـ لا أعتقد أنكِ ستفشلين، سنكون بانتظارك وقد وعدنا هؤلاء بالحماية

أخذهم آدم إلى غرفة في العليّة كانت مغلقة بشكل سري، حيث إنّ الباب كان يشبه الحائط ولا يستطيع الشخص العادي إدراك أنه يوجد باب خلف ذلك الحائط. ولكن آدم كان يعرفه جيداً فقام بفتح باب الغرفة لهم بسهولة. وعندها شهقت لورا وهي تتلفت حولها وتنظر إلى كل الكنوز الموجودة بداخل الغرفة: تحف أثرية ومنحوتات، لوحات مشهورة وكتب تاريخية تراثية، ومن بين تلك الكتب وجدت لورا ذلك الكتاب الأسود الذي وصفه الرجل البدوي، فأمسكت به بين يديها وأخذت تتفحصه بحيرة! فقد كان غلافه مغطى بجلد أسود غريب الملمس، وفي وسطه نصف دائرة مصنوعة من معدن براق يشبه الزئبق، ثم حاولت أن تفتح الكتاب ولكنها لم تستطع فقالت وهي تنظر إلى جوانبه:

ـ يبدو أنّ هناك قفلاً يُفتح بطريقة خاصة

التفتت إلى آدم الذي تغيرت ملامحه إلى القلق، فهو يعرف ما هذا الكتاب، وما هي لعنته، لكنه لن يخبرهم أبداً

ـ هل تعرف كيف يتم فتح الكتاب يا آدم؟

ـ كلا لا أعرف، فأنا كانت مهمتي هي نقل ما تسرقه لورين إلى هنا فقط، ولا أسالها عن ماهيته أو كيفية استخدامه

استعدّت إيمي للدخول إلى الصندوق وهي تحمل الكتاب الغريب بين يديها، وقبل أن تدخل قالت لها والدتها:

ـ كوني حذرة يا عزيزتي، نحن سننتظرك عند الباب الخشبي لذا لا تقلقي، أنا أثق بقوتكِ وبشجاعتكِ..

احتضنت ابنتها، ثم قال آدم لإيمي:

ـ تذكّري، لا تأخذي أي شيء من هناك حتى لو سمح لكِ بذلك..

استلقت إيمي بداخل الصندوق وأغلقت عينيها، وفجأةً سطع نور قوي جعلهم يُشيحون بأبصارهم من شدته. وعندما فتحوا أعينهم كانت إيمي قد اختفت!! فوقفت لورا أمام الصندوق وهي تشعر بالقلق متمنية أن تكون ابنتها بخير. ثم مسحت دموعها فاقترب منها آدم وربّت على كتفها بتعاطف وقال:

ـ ستكون بخير، لا تقلقي

ـ أتمنى أن لا يحدث ما أندم عليه يا آدم.....

***

كتاب الموتى

فتحت إيمي عينيها إثر سماعها لصوت قد صمّ أذنها، فوضعت يديها عليهما وقد بدأت تشعر بالألم من حدة الصوت المزعجة. ثم التفتت حولها لترى أين هي فأدركت أنها كانت تقف وسط صحراء قاحلة لا يحيطها سوى الكثبان الرملية من كل جانب، بينما كانت تعتقد أنها ستجد نفسها في مكتبة قديمة، فشعرت بالحيرة وأخذت تسأل نفسها عن سر وجودها في الصحراء!؟ توقف الصوت وعمّ الهدوء المكان، فصرخت لتستنجد لعلّ أحدهم يسمعها:

ـ هل من أحد هنا؟ ساعدوني؛ أنا تائهة

لم يجبها أحد في البداية، فظلت تتحدث وتصرخ بينما هي تسير بدون هدف حتى لاحظت وجود ضوء من بعيد وكأنها خيمة منصوبة وبالقرب منها نار مشتعلة، فأخذت تجري مسرعة نحوها ولكنها قبل أن تصل إليها توقفت قليلاً وأخذت تفكر: ماذا لو أنها وجدت قاتلاً أو مخلوقاً مخيفاً في تلك الخيمة؟ وفجأةً سمعت صوتاً غريباً يردد كلمات غير مفهومة وكأنه يلقي تعويذة ما، أو ينطق الكلمات بشكل مقلوب.. فلم تفهم شيئاً منه، ولكن حذرها جعلها تغير مسارها وتبتعد عن الخيمة مجدداً رغم حاجتها إلى المساعدة. وأكملت سيرها باتجاه آخر. وبعد أن سارت مسافة طويلة شعرت بالتعب والعطش، فجلست على الكثبان الرملية وهي تلهث ثم تذكرت الكتاب الذي تحمله وحاولت أن تفتحه لكنها لم تستطع، فأخذت تحرك الكرة المعدنية لكنها لم تتحرك أيضاً ولم يفتح الكتاب، فشعرت إيمي بالغضب ورمته بعيداً عنها وقالت:

ـ يبدو أنك كتاب للحمقى، لذا لا يستطيع الأذكياء أمثالي قراءته، سأتخلص منه هنا وأتركه فهذا ما يستحقُّه

ثم سمعت صوتاً خلفها جعلها تنهض من مكانها بفزع، وتلتفت إلى الصوت:

ـ هذا أفضل لكِ، فلو أنكِ قمت بفتحه فستفتحين باب الشرور على هذا العالم، وستقوم الشياطين بتعليقك على جذع تلك النخلة ثم تحرقكِ...

شعرت إيمي بالذعر وهي تنظر إلى المرأة الغريبة التي تقترب منها، فقد كانت تقف أمامها عجوز قصيرة القامة منحنية الظهر وتحمل بيدها عصا طويلة قد علقت عليها جمجمة وبعض العظام وريش الطيور غريب الشكل، ثم أخذت تلك العجوز تضحك بخبث وأضافت:

ـ من أعطاكِ هذا الكتاب يا صغيرة؟ هل قمت بسرقته من الحظرد نفسه؟! ستكونين مجنونة إن فعلتِ ذلك حقاً!!

قطّبت إيمي حاجبيها باستغراب لأنها لم تفهم ما قالته العجوز وما تقصده:

ـ حظرد؟ ما هو الحظرد

علا صوت ضحكات العجوز حتى تكرّر صداه في الصحراء بشكل مرعب

ـ الحظرد شخص وليس شيئاً، يبدو أنكِ قروية مسكينة، تعالي معي

ترددت إيمي ولكن بقاءها في هذه الصحراء وحدها سيكون أكثر خطراً من هذه العجوز لذا تبعتها، وبعد مدة قصيرة وصلتا إلى خيمة فدعتها العجوز إلى الدخول. لاحظت إيمي أن هناك رائحة مقززة تصدر من الخيمة، فشعرت بالقرف وقالت:

ـ سأبقى خارج الخيمة يا سيدتي..

ابتسمت العجوز بخبث:

ـ لا تقلقي ستعتادين على تلك الرائحة، ادخلي إلى الخيمة فالمكان خطير في الخارج

أطاعتها إيمي وجلست داخل الخيمة رغم شعورها بالغثيان، وقالت:

ـ ما هذه الرائحة النتنة؟

لم تهتم العجوز لحديث إيمي وأخذت تحرك شفتيها وكأنها تردد كلمات ما وتدوّر السبّحة الغريبة التي في يدها وتحركها إلى كل جانب وعيناها تتحركان من دون أن تحرك رأسها، فبدا أنها تتحدث إلى أشخاص لا تستطيع إيمي أن تراهم!! لذا لم تشأ أن تقاطعها. فظلت تراقبها مدة طويلة وتلك العجوز في صمتها وتمتمتها الغريبة، حتى شعرت إيمي بالتعب وبالنعاس.

استيقظت إيمي وهي تشعر بالتعب وكأنها كانت مخدّرة وأخذت تترنّح في مشيتها وهي تخرج من الخيمة لتبحث عن العجوز لكنها لم تجدها! فظلت واقفة تنتظر وتراقب ما حولها. وفجأةً ظهرت العجوز وهي تحمل بيدها مجموعة من النباتات الصحراوية،

وحيوان صحراوي صغير يشبه الفأر وقالت:

ـ لقد استيقظتِ أخيراً؟ تبدين متعبة، سأصنع لكِ بعض الطعام كي تأكليه فأنت هزيلة جداً

قطبت حاجبيها وهي تفكر بنوع الطعام الذي ستقدمه لها، بينما اقتربت العجوز من مكان النار الخامدة وأخذت تتمتم ببعض الكلمات ثم ألقت شيئاً ما يشبه الطحين فوق النار واشتعلت من تلقاء نفسها!! ففتحت إيمي عينيها بدهشة وهي تحدق إلى النار تارة وإلى العجوز تارة أخرى، ولكن العجوز لم تهتم بل وضعت قدراً على النار ثم أخذت الأعشاب ووضعتها داخل القدر، فسألتها بتردد:

ـ هل ستأكلين هذه الأعشاب؟!

ـ كلا، الأعشاب لكِ أنت، أنا سآكل هذا الجربوع، هل تريدين تجربته؟

ابتلعت إيمي ريقها بتقزز وهي تراقب تلك العجوز وهي تقوم بذبح الجربوع ثم تعصره في كأس حديدي وتشرب الدماء فقط، فلم تحتمل إيمي منظر وجه العجوز الملطخ بالدماء وهي تمتص رأس الحيوان بتلذذ، فأخذت تتقيأ وتتنفس بصعوبة فاقتربت منها العجوز وأمسكت بذراعها وفحصت حرارتها بيدها:

ـ ما بك يا صغيرتي، هل أنت مريضة؟

ابتعدت إيمي عنها وهي ترتجف وسألتها:

ـ لماذا تشربين الدماء؟ كان يمكنك أن تطبخيه أولاً على الأقل

ضحكت العجوز حتى بانَ ما بقي من أسنانها القذرة والملطخة بالدماء وقالت:

ـ يجب أن أفعل ذلك وإلا سأموت.. أنا هنا منذ خمسة أيام لم آكل أي شيء سوى دماء هذا الجربوع، وبقيت لي ليلتان فقط وبعدها يتحقق حلمي...

ـ وما هو حلمك الذي يعتمد على شرب دماء هذا الحيوان المسكين؟

ألقت العجوز الكأس على الأرض ومسحت الدم عن شفتيها وقالت:

ـ سأصبح مشعوذة، هل تعلمين ما هذا الكتاب الذي تحملينه معكِ؟

نظرت إيمي إلى الكتاب، فأكملت العجوز:

ـ إنه كتاب الشعنذة وليس كل ساحر مشعنذ، ولهذا أنا هنا أعتكف في الصحراء وأمنع نفسي عن ملذات الحياة، لأنني أريد أن أتعلم فنون هذا السحر الأسود

ـ ماهي الشعنذة؟ هل تختلف عن الشعوذة؟

سحبت العجوز نفساً عميقاً بنفاذ صبر:

ـ يبدو أنك غبية ولا تعلمين شيئاً، في الحقيقة لا أعرف من وضع هذا الكتاب القيّم بين يديك. ولكنني سأخبرك الفرق ما دمتُ هنا معك ولن أستطيع العودة إلى القرية الآن. الشعوذة هي كل عمل سحري مهما كان نوعه مثل عمل التمائم والتعاويذ وغيرها، أما الشعنذة فهي تختص بسحر الموتى، أي أن الساحر يستعين بالأموات لمعرفة أمور

غيبية وتجعله أكثر قوة ومهابة بين السحرة. كما أنه سيكون متصلاً بالعالم السفلي بشكل مباشر، ولا حاجة له بالاستعانة بأي وسيط..

لم تفهم إيمي كل ما قالته العجوز، ولكن ما عرفته أن كل ما قالته يصب في موضوع السحر، فقالت إيمي وهي تشير إلى الكتاب:

ـ أنا أتيت إلى هنا كي أعيد هذا الكتاب إلى مكانه، ولا أعرف كيف، أو من هو صاحبه..

رفعت العجوز حاجبيها بدهشة:

ـ ولماذا لم تسأليه لمعرفه مكان صاحبه؟ انظري إلى تلك القبة الحديدية في غلاف الكتاب.. حركيها يميناً وشمالاً وسيدلُّك على مكان صاحبه

أخذت إيمي الكتاب ووضعته بين يديها ثم أمسكت بالقبة الحديدية وحركتها كما قالت العجوز تماماً، ففُتحت الكرة الزجاجية لتجد بداخلها مجسماً يشبه العين البشرية تتحرك وكأنها تراقب ما حولها، فحدقت إيمي إلى العين وشعرت أنها تراقبها

ـ هذه العين تراقبني وكأنها تنظر إليّ، هل هي حقيقية؟!

اقتربت العجوز من الكتاب، وقالت وكأنها تخاطب العين:

ـ دلّنا على مكان صاحبك..

تحركت العين ورمشت عدة مرات مما أفزع إيمي، فألقت الكتاب من يدها مما جعل العجوز تنفجر ضاحكة من ردة فعلها وقالت:

ـ لم أضحك هكذا منذ زمن، الآن خذي الكتاب واتبعي حركة العين

وستدللكِ على مكان الساحر. يا لكِ من فتاة مضحكة! ليتك تعيشين معي وتصبحين تلميذتي، سأعلمك الكثير من الأمور التي لم تخطر يوماً على عقلك الصغير.... ما رأيك؟

أجابتها بسرعة:

ـ كلا شكراً لكِ أنا لا أصلح لمثل هذه الأمور، سأذهب الآن للبحث عن صاحب الكتاب كي أعيده إليه.

وقبل أن تودعها العجوز قالت لها:

ـ يؤسفني أنني لا أملك شيئاً كي أساعدكِ للوصول إلى ذلك الساحر. ولكن خذي هذا الخاتم سيحميك ولا تصدقي الساحر مهما قال لكِ..

حدقت إيمي بتردد في الخاتم، وقد تذكرت ما قاله آدم لها عندما حذّرها من عدم قبول أي شيء أو أخذه فقالت للعجوز:

ـ لا أستطيع قبول هذا الخاتم

ـ لكن مَن سيحميك من الساحر إن حاول مهاجمتك أو قتلك؟ هذا الخاتم سيساعدك. صدقيني خذيه، وعندما تنهين مهمتك تخلصي منه وألقي به في أي مكان وأنا سأجده.

قالت إيمي وهي تأخذ الخاتم من يد العجوز:

ـ ولكن أنتِ ساحرة، لذا يجب أن لا أصدقك

ابتسمت العجوز فبانت أسنانها القبيحة

ـ أنتِ ذكية حقاً، والآن اذهبي

أمسكت إيمي بالكتاب بين يديها ففتحت الكرة الزجاجية مجدداً لترى العين التي أخذت تتحرك باتجاه الشرق، فسحبت إيمي نفساً عميقاً وهي تنظر إلى الطريق أمامها ثم أخذت تسير إلى حيث تشير إليها العين وتتبع حركتها. حتى سارت مسافة طويلة وشعرت بالإعياء والتعب فجلست على الأرض وقد سقط الكتاب من يدها، وقالت بصوت مسموع وكأنها تتحدث إلى الكتاب:

ـ أرجوك أنا مرهقة، ويجب أن تدلني على صاحبك بسرعة، لا أحتمل شدة العطش والسير في هذه الصحراء أكثر..

فجأة شاهدت نوراً غريباً يسطع من الكتاب الذي فُتح غطاؤه، ثم تحوّل أمامها إلى بساط سحري أسود وطار حتى حطّ على الأرض بالقرب منها. فتذكرت قصة علاء الدين والبساط السحري وقررت أن تجلس فوق الرداء متمنية أن يطير بها، وعندما استقرت فوقه لاحظت أنّ البساط يتحرك وكأنه يرتفع حتى توازنت فوقه وحلّق بها مرتفعاً نحو السماء!! كانت تشعر بالخوف وبالرهبة في البداية، فتشبثت بالبساط بكل قوتها وتحاشت النظر إلى الأرض ولكنها شعرت بالحماس وبالسعادة عندما اعتادت على الأمر، بل إنه أعجبها وشعرت أنها تعيش في إحدى القصص الخيالية، حتى وصلت إلى قرية صغيرة وسط الصحراء ونزلَ بها البساط بالقرب من سور تلك القرية، فتحوّل البساط إلى كتاب مجدداً!!

أخذت إيمي تسير في طرقات القرية، وكان الجميع ينظرون إليها بحيرة فهي كانت غريبة بالنسبة إليهم، ولكنها تجنبت الحديث والنظرات وقررت أن تتبع العين حتى وصلت إلى منزل صغير

متهالك، ووقفت أمام الباب وهي تشعر بالقلق.. فلا تعلم من ستجد خلف هذا الباب أو ما قد تصادفه من مشاكل. فطرقت الباب عدة مرات ولكن لم يجبها أحد، فدخلت إلى المنزل وأخذت تتلفت حولها وقالت:

ـ هل من أحد هنا؟

فجأةً رأت رجلاً نحيل الجسد مصفر البشرة ذا شعر أشعث يجلس عند إحدى زوايا الغرفة وهو مغمض العينين، فاقتربت منه وقالت:

ـ لو سمحت يا سيدي، هل أنت هو الحظرد صاحب هذا الكتاب؟

فتح الرجل عينيه وألقى عليها نظرة حادة فشعرت إيمي بالخوف من تلك النظرات وتراجعت قليلاً إلى الخلف، حتى وصلت قرب الباب متمنية أن لا يحدث لها سوء. ولكنها أخرجت الكتاب من حقيبتها ورفعته أمامها كي يراه الرجل وقالت له:

ـ هل هذا الكتاب يخصُك؟

حينها صرخ الرجل بصوت عالٍ وأخذ يتكلم ويقوم بأفعال غريبة وهو ينظر إلى الكتاب ويشير إليه وكأنه غير مصدق! فظلت إيمي في مكانها تراقبه حتى هدأ تماماً وعاودَ الجلوس في نفس زاويته وقال:

ـ تلك الحقيرة التي سرقته مني تسببت لي بالتعاسة، حتى كدت أن أفقد عقلي..

ثم التفتَ إليها، وأشار إلى يدها قائلاً:

ـ لماذا تضعين ذلك الخاتم؟ هل أنتِ من الجن؟

نظرت إيمي إلى الخاتم وقالت:

ـ كلا أنا بشر مثلك، وهذا الخاتم أعطتني إياه عجوز وجدتها في الصحراء..

وضعت إيمي الكتاب بالقرب منه ثم تراجعت مجدداً، فأمسكَ هو بالكتاب وأخذ يقلّب صفحاته بينما إيمي استمرت في مراقبته. وعندما لاحظ أنها ما تزال واقفة قال لها:

ـ الأفضل أن تنزعي هذا الخاتم، وإلا سيضرُّك..

ترددت إيمي وأخذت تحدّق في الخاتم وتذكرت كلمات العجوز عندما قالت لها: لا تصدقي السحرة. وكان الحظرد يراقبها وينتظرها كي تخلع الخاتم لكنها لم تفعل

ـ يبدو أنكِ لا تصدقينني، هذا الخاتم ملك لأحد ملوك الجان، وإن رآه في إصبعكِ سيقطع يدك وربما رأسك..

شيء ما بداخلها يخبرها أنه كاذب فعلاً، فهي كانت تضعه منذ أن أخذته من العجوز ولم يحدث لها أي شيء، لذا قالت:

ـ لن أخلعه حتى يأتي ملك الجان بنفسه عندها سأعطيه خاتمه، والآن بعد أن أعدتُ كتابك، سأذهب..

التفتت إلى الباب كي تخرج ولكنها لاحظت أنه كان مقفلاً ولم تستطع فتحه! فالتفتت إلى الرجل الذي كان يبتسم بخبث وقالت:

ـ افتح هذا الباب ودعني أذهب، يجب أن أعود إلى عائلتي..

ضحك الرجل بتحدٍّ وقال:

ـ انزعي الخاتم أولاً

تهديده زادَ من إصرارها فقالت له:

ـ أنا لا أخاف منك، فأنت مجرد ساحر هزيل بالكاد تستطيع الوقوف على قدميك، ولن تستطيع هزيمتي

عندها ازداد غضبه، ونهض من مكانه حتى اقترب منها وراح يهددها:

ـ انزعي الخاتم وإلا فصلت رأسك عن جسدكِ، وجعلتُ منكِ قرباناً للأسياد

هزت رأسها بالرفض رغم أنها كانت خائفة من تهديده، ووضعت يدها خلف ظهرها

ـ لن أفعل، وأنت لن تقدر على إلحاق الضرر بي..

وقفَ الرجل عاجزاً وكأن أحدهم يمسك به بقوة ويمنعه من الاقتراب من إيمي. وفجأةً شيء ما أطاح به وقذفهُ بعيداً عنها حتى ارتطمَ جسده بالحائط، فأخذ يئنّ ويصرخ... فشعرت إيمي بالخوف وبالذهول وأخذت تطرق الباب وتحرّك المقبض كي تفتحه لكنها توقفت عن الحركة عندما ظهر أمامها كيانٌ ضخم جداً لرجل لونه أزرق ويرتدي الكثير من السلاسل والقلائد حول عنقه، أخذ يقترب منها ثم فُتح الباب من تلقاء نفسه فابتلعت ريقها وعجزت عن الحركة وهي تنظر إلى الباب وإليه. فقال لها ذلك الكيان:

ـ تستطيعين الذهاب الآن، والعودة إلى عائلتك، لقد أتممتِ المهمة

فأسرعت بالخروج من المنزل وأخذت تجري حتى وصلت خارج أسوار القرية. ثم توقفت وأخذت تلهث وتتنفس بصعوبة وهي تنظر حولها وتبحث عن طريقة للعودة إلى عائلتها. وفجأة شاهدت السيدة العجوز تقف أمامها وهي تضحك:

ـ لو قمتِ بانتزاع هذا الخاتم وأعطيتهِ إلى الحظرد لكنتِ الآن معلقة على أحد خطاطيفهِ كقربان للمارد الذي يسيطر عليه...

ـ ماذا عن ذلك الكيان الأزرق؟ هل هو صاحب الخاتم؟

ـ أجل، إنه هو... ولكن لا تخافي منه إنه لن يؤذيك ما دمتِ لست ساحرة

فجأةً ظهرت سحابة سوداء فأسرعت إيمي نحوها، ولكن قبل أن تقفز بداخلها قالت لها العجوز:

ـ أنتِ ستكونين ساحرة يا عزيزتي، خالتكِ قد جهزتك لذلك..

لم تهتم إيمي لكلامها وقفزت داخل السحابة. وقبل أن تختفي انتزعت الخاتم من إصبعها وألقت به أمام العجوز ثم قالت:

ـ لن أكون ساحرة، بل سأصبح كاتبة وأكتب قصة عنكِ أيضاً

ثم اختفت إيمي والسحابة السوداء.....

***

لا وقت لنضيّعه

وقفَ الجميع قرب الباب الخشبي ينتظرون عودة إيمي، فقالت لورا وقد انتابها القلق بسبب تأخرها:

ـ لقد تأخرت كثيراً، أتمنى أن تكون بخير

وبعد عدة دقائق سمعوا صراخها خلف الباب تستنجد بهم... لكن صراخها لم يدم مدة طويلة فقد فُتح الباب أمامهم وخرجت منه ثم ارتمت بين ذراعي والدتها. وبعد أن هدأت أخبرتهم بما حدث لها مع الساحرة والمشعوذ. وكاد قلب لورا أن يتوقف وهي تسمع ما تعرضت له ابنتها من أهوال ومخاوف

ـ هل تعرضتِ إلى أي أذى يا عزيزتي؟

ـ كلا يا أمي، لكن الساحرة عرضت عليّ أن تعلمني السحر وأن أبقى معها، وأخبرتني أنّ خالتكِ هي من رشحتني لذلك..

شعرت لورا بالغضب أكثر، وتمنت لو أن خالتها هنا كي تعاتبها

ـ كيف تفعل ذلك بي؟ كنت أعتقد أنها طيبة القلب..

ثم سألَ جاك إيمي:

ـ ما هذا الخاتم الذي تضعينه؟

حدقت إيمي في الخاتم الذي كان في إصبعها بدهشة:

ـ كيف حدث ذلك؟!! لقد خلعتُ الخاتم وأعطيته إلى العجوز قبل أن أنتقل. أنا متأكدة من ذلك

ثم خلعت الخاتم ووضعته في أحد الأدراج وقالت:

ـ لن أضعه، ولكن سأتركه هنا في المنزل

***

بعد أن ذهب الأولاد إلى غرفهم بقيت لورا برفقة آدم وحدهما، وقد وضعت رأسها بين يديها وكادت أن تبكي إلا أن آدم حاول طمأنتها قائلاً:

ـ لا تفكري كثيراً فيما حدث، خالتكِ ليست هنا الآن، لذا جميع وعودها باطلة ولن تتحقق

ـ لكنني خائفة، ولا أريد أن يتعرض أبنائي إلى سوء

تحركت مشاعر آدم تجاه لورا، ولا يعرف لماذا شعر أن من واجبه أن يخفف عنها ويحميها، فاقترب منها واحتضنها وأخذ يمسح دموعها:

ـ صدقيني كل شيء سيتغير، أنا واثق من ذلك

شعرت لورا بالخجل من اقتراب آدم منها بطريقة وديّة فابتعدت عنه قليلاً، مما جعله محرجاً هو الآخر.. وأخذ يبرر ما فعله قائلاً:

ـ أردتُ فقط أن أطمئنكِ، لأنك كنت...

قاطعته:

ـ انسَ الأمر أرجوك، علينا أن نفكر كيف نخرج من هذه المصيبة فقط

ـ لن تكون هناك أي مصيبة، سينتهي كل شيء قريباً وعندها نستطيع الخروج من هنا وعدم العودة إلى هذا المنزل مجدداً

***

وفي تلك الليلة قررت لورا أن تنام مع أولادها في غرفة واحدة خوفاً عليهم من حدوث أي مكروه، خصوصاً مع وجود كل تلك المسوخ والأشخاص المختبئين في المنزل، لذا تجمعوا في غرفتها. أما آدم فاقترح عليها أن ينام هو وهونجو في غرفة كارن كي يحرس البوابة، فوافقت على ذلك.

سألَ جاك والدته بينما هو مستلقٍ على فراش وضعته له على الأرض في غرفتها:

ـ لماذا فعلت خالتك كل ذلك بهؤلاء الأشخاص؟ هل هي شريرة؟؟

تنهدّت بحزن وهي تفكر وتتذكر خالتها:

ـ أنا لا أعرفها جيداً يا بنيّ ولم أتحدّث معها طوال حياتي، وعندما كنت أسأل والدتي عنها كانت تصمت وتقول لي: انسي أمرها ولا تفكري بها

قالت إيمي:

ـ أعتقد أنها شريرة، لذا جدتي كانت تبعدكِ عنها ولا تريدكِ أن تعرفيها، ولكن لماذا كتبت هذا المنزل باسمكِ؟!

أجابتها كارن بضيق:

ـ ربما كانت تريد أن تورّط أمي بكل تلك الأمور الغريبة، أو تعتقد

أنها ستكون شريرة مثلها وبدون مشاعر. لقد اختارت مجموعة من المجرمين لخدمتها، والآن نحن في ورطة كبيرة بسببها...

فقالت إيمي:

ـ لكن آدم لا يبدو مجرماً رغم ملامحه القاسية، هل هو كذلك يا أمي؟ هل تعتقدين أنه قام بقتل زوجته؟

ترددت لورا قبل أن تجيب ابنتها لأنها ليست متأكدة تماماً ولا تثق به، وقالت:

ـ لا أعتقد أنه مجرم، ولكن ربما خالتي كانت تظن أنه كذلك، وعندما اكتشفت حقيقته عذبته وأبقتهُ معها كخادم حتى توفيت واستطاع عندها الخروج من المنزل، كما أخبرني أنه كان ينام في غرفتكِ يا كارن ويتعذب كل ليلة وهو يرى أولئك المسوخ والمجرمين يخرجون معها من البوابة وتسيطر عليهم كالعبيد كما فعلت به.

صمتَ الجميع لبرهة، ثم قال جاك:

ـ ربما نساعده على العودة، ليثبت لعالمه أنه ليس مجرماً ولا يستحق الإعدام

ـ سنساعده حتماً، والآن يجب أن نرتاح وننام قليلاً، فاليوم كان حافلاً

***

في اليوم التالي استفاقَ الجميع على صوت وصراخ قوي يأتي

من خارج المنزل، فنظرت لورا من النافذة فشاهدت أهالي القرية متجمعين أمام منزلها ويبدو عليهم الغضب وهم يلوحون بأسلحة نحو منزلها وكأنهم يهددونها. ثم رفعت إحدى نساء القرية عينيها نحو النافذة وانتبهت إلى لورا وهي تراقبهم، فأخذت حجراً كبيراً وألقت به نحو النافذة وقالت وهي تصرخ بغضب:

ـ اخرجوا من قريتنا، لن نرحمكم بعد اليوم

شعرت لورا بالخوف، فتهديدهم أصبح جدياً، فظلت تفكر كيف تردعهم قبل أن يؤذوا عائلتها. استيقظ آدم هو الآخر عند سماعه لصراخهم، وقرر أن يتحدث إليهم لكن لورا منعته:

ـ أرجوك لا تعرّض نفسك للخطر، سيذهبون من تلقاء أنفسهم بعد أن يملّوا، ولكن إن تجادلنا معهم فسيتمادون وربما يؤذوننا

لكن آدم شعر بالغضب إثر القائهم الحجارة والأوساخ على المنزل وقال:

ـ لكن سكوتنا سيجعلهم يتمادون، يجب أن نوقفهم عند حدهم، فلربما يهجمون على المنزل في أي وقت... عندها سنتعرض جميعنا إلى الخطر

لكن أهالي القرية استمروا في الصراخ وتمادوا أكثر وأخذوا ينعتون لورا وعائلتها بأبشع الألفاظ فلم تحتمل أكثر، وأسرعت خارج المنزل متجهة نحو أهالي القرية المتجمعين وقالت لهم بغضب:

ـ هل تعتقدون أنني أريد البقاء في قريتكم اللعينة!!؟ أنا معلكم خدعتني خالتي ولم أكن أعلم أن هذا المنزل الملعون سيتسبب

بأذيتي أنا وأبنائي

فقالت لها سيدة غاضبة:

ـ إذن اخرجي ودعينا نحرق هذا المنزل بمَن فيه

أيّدها الجميع، ولكن قاطعهم آدم الذي قال:

ـ حتى لو قمتم بإحراق المنزل فلن يختفي كل شيء، بل على العكس ستتسببون بغضب أكبر لتلك الوحوش، فهذا المنزل هو بوابة إلى العوالم الموازية، ولن يتم إغلاقها إلا بعد أن نعيد كل شيء إلى مكانه الطبيعي، لورا لا ذنب لها بما حدث

صرخ أحد الرجال وهو يهدد آدم قائلاً:

ـ أنتَ كنت خادماً عند تلك المشعوذة، والآن تخبرنا أنك بريء وتريد مصلحتنا؟! هذا المنزل يجب أن يُحرق

استعدوا للهجوم على المنزل، ولكن ما شاهدوه يقف أمامهم جعلهم يفرون هاربين كالفئران.. فقد خرجت بعض تلك المسوخ من المنزل وأخذت تنظر إلى أهالي القرية والشرر يتطاير من عيونها. وكان الرجل الثور يُصدر أصواتاً مرعبة أخافتهم وجعلتهم يهربون بسرعة. طلبت لورا من آدم أن يسيطر على تلك الوحوش، فهي لا تريد أن تثير فزع الناس وشحنهم أكثر ضدها. ثم دخلت إلى المنزل وأخذت تبكي في غرفتها متمنية لو أن زوجها أو والدتها هنا كي يساعداها. فطرق آدم الباب وعندما فتحته قال:

ـ أعلم أنك حزينة جداً ولكن صدقيني: هؤلاء القرويون معذورون أيضاً... لقد قُتل منهم ثلاثة أشخاص بسبب خالتك...

ـ وما ذنبي أنا وأبنائي؟ هم يعلمون أنني لستُ خالتي، ليتني لم آتِ إلى هنا، ليت زوجي قد بقيَ على قيد الحياة ليساعدني، أشعر بالعجز بدونه

ثم أخذت تبكي وتنتحب فشعر آدم أنه عاجز عن حمايتها، وتمنى لو أنه يستطيع التخفيف عنها فقال بلطف:

ـ لا تبكي أرجوكِ يا لورا، سينتهي كل شيء وستنسين كل ما حدث، لذا كوني قوية من أجل أبنائكِ

ـ هل تعتقد أنه من السهل تحمُّل كل ذلك وحدي؟ لم يمضِ على رحيل زوجي إلا شهرٌ واحد فقط. وقد دخلتُ في دوامة من المشاكل والديون بالإضافة إلى هذا المنزل الملعون الذي اضطررتُ إلى الانتقال إليه!! الأمر ليس سهلاً كما تعتقد يا آدم

ـ أخبريني، كيف أساعدك وسأفعل ما تريدينه؟

نظرت إلى وجهه وشعرت أنه يريد مساعدتها حقاً، وأنه يجب أن تثق به فقالت له:

ـ أتمنى لو أستطيع إثبات براءة زوجي، لقد شعرتُ بالظلم والغضب عندما أخبرني المدير أن زوجي مختلس، مستحيل أن يفكر أليكس بالسرقة أو بالاختلاس، إنه شخص طيب وأنا أعرفه منذ أن كنا صغاراً.

فكّر آدم لبرهة، ثم قال لها مقترحاً:

ـ تستطيعين استخدام البوابة للعودة إلى الماضي لمعرفة ما حدث،

رغم أنني لا أنصحك بفعل ذلك. ولكن إن كان الأمر سيجعلك تشعرين بالراحة وتريدين تحقيق العدالة لزوجك فأنا سأساعدك إن شئتِ ذلك

***

أخذت لورا تفكر بما اقترحه آدم طوال الليل، ووجدت أنه قد يكون حلاً مناسباً إن أرادت أن تحل بعض أمورها وتثبت براءة زوجها أيضاً. وفي اليوم التالي أخبرت آدم عن رغبتها في دخول البوابة للعودة إلى الماضي فقال لها:

ـ ماذا لو اكتشفتِ أنه كان مختلساً ولم يكن بريئاً كما تعتقدين؟ لا تغضبي مني، ولكن هذا الأمر وارد أيضاً

ـ لن أغضب مما قلته، لكن أنا أعرف زوجي جيداً كما أخبرتك، لذا هل ستساعدني؟

ـ أمركِ غريب يا لورا، لقد كنتِ تحذرين أولادك من البوابة، والآن أنت تريدين استخدامها؟ صدقيني... سيدفعك الفضول لاحقاً لفعل المزيد كما حدث لخالتكِ

ـ أنا سأذهب إلى هدف مهم وليس للتسلية أو للسرقة، أريد أن أثبت براءة زوجي وأستردّ حقّه وأعاقب من تسببوا له بكل ما حدث.

وافقَ آدم على مساعدتها وأضاف:

ـ بشرط واحد: وهو أنكِ لن تغيري أي حدث في الماضي، ولا تحاولي أن تمنعي الحادث حتى لا تحدث مشاكل أخرى، تستطيعين فقط أن تتأكدي من براءته أو عدمها ثم تعودي.

ـ أنا موافقة، ولكن علينا أولاً أن نعيد هونجو إلى عالمه، فأنا لا أشعر بالراحة بسبب نظراته إلى كارن وتصرفاته معها. إنه يتودد إليها بشكل فاضح ويزعجني وجوده معها

ضحكَ آدم بشدة وقال:

ـ يجب أن تستسلمي للأمر الواقع، كارن أصبحت بالغة وأعتقد أنها معجبة بذلك الساموراي وهو يبادلها نفس الشعور وربما أكثر

في المساء قررث لورا أنه حان الوقت لإعادة هونجو ورداء الإمبراطور إلى الماضي، ورغم أن هونجو رفضَ بشدة إلا أنها أصرت على ذلك قائلة:

ـ يجب أن تعود إلى زمنك، لا أريد أن يتعرض أحدٌ إلى الخطر بسبب ما فعلتهُ خالتي..

قال بحزن وهو ينظر إلى كارن:

ـ لكنني أحب كارن، ولا أريد أن أتركها..

فتحت كارن عينيها بدهشة وقد أخجلها ما قاله هونجو، مما جعل لورا تشعر بالضيق لكنها قالت بهدوء:

ـ ابنتي ما تزال صغيرة على الحب، ثم إنكَ أتيت من عالم وزمن آخر ولا أعلم ما الذي قد يحصل عندما تغلق البوابة وأنتَ هنا..

لم يكن بيده أي حل آخر أمام إصرار لورا، فاقترب من كارن وأمسك بيدها وقبّلها ثم قال:

ـ لن أنساكِ أبداً يا كارن، لقد سعدتُ جداً بمعرفتك، وهذا السيف

أريدُ أن أقدمه لك كهدية مني حتى لا تنسيني.

أمسكت كارن بالسيف وهي تنظر إلى الجميع بخجل بسبب نظرات هونجو العاشقة، وقالت له:

ـ لكن هذا سيفك، ويجب أن تأخذه معك كي تقاتل به الأعداء

ـ الساموراي الحقيقي سيقاتل حتى لو بيديه العاريتين يا عزيزتي، ثم إنني أريد أن يكون هذا السيف معكِ كي يبقى بعيداً عن يد اكياما الظالم.

شعرت كارن بالحرج، خصوصاً بعد أن لاحظت نظرات والدتها المنزعجة وابتسامة آدم وقالت وهي تسحب يدها من يد هونجو بلطف:

ـ أنا أيضاً لن أنساكَ أبداً، وأتمنى أن تنتهي الحرب بسلام وتكون بخير

طبعَ قبلة على وجنتها مما جعل لورا تُشيح ببصرها بعيداً متمنية ألا يبدو غضبها واضحاً على وجهها. ثم التقطت إيمي صورة لكارن وهونجو سوياً، وقالت كارن وهي تعطيه الصورة الفوتوغرافية:

ـ احتفظ أنت أيضاً بهذه الصورة، وأتمنى أن ألتقي بك يوماً ما

فاحتضنها هونجو مجدداً وأخذ يبكي ويقبّلها. ظل الجميع صامتين أمام ذلك المشهد الغريب والمحرج. ولم تستطع لورا أن تعترض فهو سيعود إلى زمنه، ولا تريده أن يحزن أو أن يغير رأيه ويصر على البقاء.

وقف هونجو أمام الصندوق، وأخذ ينظر إلى وجوههم ثم ابتسم لكارن وقال:

ـ لن أنساكِ مهما حدث أيتها الأجنبية الجميلة... إلى اللقاء

ثم استلقى بداخل الصندوق وحملَ رداء الإمبراطور معه. وفجأةً سطع نور قوي وسط الصندوق، فلم يستطيعوا النظر إليه. وعندما خفتَ الضوء اختفى هونجو من داخل الصندوق فشعرت كارن بالحزن وأخذت تبكي، فاقتربت منها والدتها وهي تربّت على كتفها وقالت:

ـ لقد عاد إلى مكانه المناسب له يا عزيزتي، لذا لا تحزني.

***

بعد عدة أيام استطاعت لورا إعادة الكثير من الأشخاص والمسوخ إلى عوالمهم ما عدا الرافضين الذين أصروا على البقاء، ورغم رفضها لبقائهم إلا أنها لم تستطع أن تجبرهم كما فعلت مع هونجو، فقال لها آدم:

ـ ألم يحن الوقت لحل مشكلتكِ أنتِ أيضاً؟

ترددت لورا، ولكنها كانت تريد أن تعرف حقيقة ما حدث لزوجها

ـ حسناً، سأفعل ذلك الليلة، وأتمنى أن أجد ما يريحني وينهي هذا الكابوس. أنا متأكدة من براءة أليكس

ـ كوني جاهزة لأي ردة فعل وتوقعي الأسوأ حتى لا تشعري بالحزن عندما تكتشفين عكس ما تظنين

وفي المساء أخبرت أبناءها بما عزمت عليه، فسألت كارن آدم:

ـ أمي ستعود إلى نفس الزمن الذي نحن فيه الآن، ألن تكون هناك مشكلة؟

ـ بالطبع ستحدث مشاكل إذا حاولت والدتك تغيير الأحداث، مثلاً لو أنها تحدثت مع والدك وأخبرته بما سيحدث له وحاولت تغيير مجريات القدر، سيحدث اختلاط بين الزمنين عندها ستختفي نسخة من والدتك وستظل الأخرى، لذا يجب أن تكوني حذرة يا لورا.

وقفت أمام الصندوق الخشبي وقلبها يخفق بشدة، فقالت لها إيمي وهي تمسك بيدها:

ـ لا تخافي يا أمي لن تشعري بشيء أثناء الانتقال، فقط سترين ضوءاً متوهجاً وستغلقين عينيك، وبعدها ستنتقلين بكل سهولة. أكثر ما قد يزعجك هو وجودكِ داخل الصندوق فقط وشعوركِ بأنكِ محتجزة، لذا لا تفكري

ابتسمت لأبنائها وقالت:

ـ تمنّوا لي الحظ الجيد، أرجوك اهتمّ بهم يا آدم

ثم قفزت إلى الصندوق واختفت.....

فتحت لورا عينيها ببطء لترى نفسها في منزلها القديم وفي غرفة نومها مستلقية على فراشها، فشعرت بالذعر وأخذت تتلفّت حولها، ثم أسرعت بالنهوض من الفراش وبعد أن سمعت صوتها تتحدث إلى ابنها من الطابق السفلي:

ـ جاك، تعالَ وساعد والدك على حمل الأغراض

ثم سمعت صوت ابنها يجيبها وينزل إلى الطابق السفلي، فأسرعت لورا وخرجت من غرفة النوم بحذر وهي تراقب الممر حتى لا تصطدم بأحد من أفراد عائلتها وتتسبب بالذعر لهم، فمشت على أطراف أصابعها وأخذت تنزل الدرجات وهي تلتفت يميناً وشمالاً. وفجأةً سمعت صوت إيمي من خلفها:

ـ أمي... ما بك تمشين بهذه الطريقة؟ هل هناك شيء؟

ابتلعت لورا ريقها بتوتر وقالت:

ـ كلا، أنا فقط أشعر ببعض الألم في قدمي

ثم أسرعت الخطى وخرجت من المنزل بسرعة قبل أن تتحدث معها مرة أخرى. ثم سحبت نفساً عميقاً وشعرت بالراحة.. ولكن فجأةً شاهدت أليكس يقترب من المنزل وهو يحمل بعض الصناديق، فاختبأت خلف إحدى الشجيرات وأخذت تراقبه. وفكرت: كم اشتاقت إليه، وها هو أمامها الآن ولكنها لا تستطيع أن تقترب منه لترتمي في أحضانه أو تتحدث إليه. بعد أن دخل إلى المنزل قررت أن تذهب إلى الشركة حيث كان يعمل زوجها. وعندما وصلت سألت إحدى الموظفات عن زوجها فأخذت الموظفة تبحث في جهاز الحاسوب

ـ سيدتي، هذا الموظف مفصول من الشركة منذ أسبوع تقريباً...

شعرت بتوتر وسألتها عن غرفة المدير فأشارت الموظفة إليها، وظلت تنتظر خروجه حتى تتحدث إليه، وعندما رأته يخرج تبعته

بدون أن ينتبه إليها، فسمعته يتحدث إلى السكرتيرة قائلاً:

ـ هل تخلصتم من جميع الأدلة؟ يجب ألا يعلم أحد بما حدث

أجابته السكرتيرة بابتسامة ماكرة:

ـ نعم كل شيء موجود في الملف، وسيتم التخلص منه

ابتسم المدير لها وقال:

ـ حسناً فعلتِ يا عزيزتي، أراكِ هذا المساء، سنحتفل بانتصارنا سوياً

ثم تركها وابتعد، فشعرت لورا بالحيرة وهي تفكر بطريقة الوصول إلى الدليل المناسب لتبرئة زوجها وهي لا تعرف ما هي القصة؟! فظلت واقفة أمام الشركة تفكر بخطة أو بطريقة لتتحدث فيها مع المدير، وفجأةً سمعت صوت شخصٍ خلفها يقول:

ـ هل توصلتِ إلى معرفة ما حدث؟

ـ آدم؟!! لماذا أنتَ هنا؟

ـ لم أستطع أن أتركِ وحدك، ربما يتعرفون عليكِ فتفشل الخطة، لذا دعيني أتصرف أولاً

ـ لكن ما الذي ستفعله؟

ـ سأقابل المدير وأتحدث إليه، لا تقلقي فلديّ طريقتي في التعامل مع الخونة والمنافقين.

وافقت على ما اقترحه، فدخلَ آدم إلى الشركة وسأل عن مدير

القسم، فأشارت الموظفة إليه، فاقترب آدم منه وقال:

ـ أهلاً سيدي..

التفتَ المدير إليه وقال متعجباً:

ـ أهلاً، من تكون وماذا تريد؟

ـ لديّ ما أخبرك به وقد يغيّر مسار شركتك وحياتك بالكامل، فهل تريد أن تستمع إليّ؟

ـ ليس لديّ الوقت لسماع هذه الترهات، إلى اللقاء

قاطعهُ آدم وقال له قبل أن يخرج:

ـ شركتك ستخسر الكثير بعد ثلاثة أعوام وستغلق أبوابها، بسبب قضية احتيال كبيرة وسيتمُّ سجنك أنت ومن معك...

التفتَ إليه الرجل ثم قال:

ـ شركتي في أوج ازدهارها، من تكون؟ هل أنت جاسوس من إحدى الشركات المنافسة؟

ـ بل أنا هنا لخدمتك ولمصلحتك، فأنا أعلم أنكَ قمت بطرد موظف بريء اسمه أليكس قبل أسبوع تقريباً، وألصقتَ به تهمة الاختلاس.. وفي الحقيقة من قام بالاختلاس هو ابنك الذي أخذ الأموال وهرب وأنت تعلم بكل ذلك، لكنك اتهمت ذلك المسكين خوفاً على منصبك وسمعتك بين التجار ورجال الأعمال.

فتح الرجل عينيه بذعر ثم أمسكَ آدم من يده وأخذه إلى المكتب، وقال وهو يتلعثم في حديثه:

ـ من أخبرك بذلك؟ أجبني بسرعة؟

فاستغلّ آدم توتر الرجل وسأله:

ـ إذن هل تريد أن تسمع ما سأقوله الآن أم أخرج؟

صمت الرجل وهو ينظر إلى آدم بغضب ثم قال:

ـ أخبرني ما لديك

سحبَ آدم نفساً عميقاً ثم قال:

ـ قبل أن أخبرك عليك أولاً أن تعطيني الأوراق التي تثبت براءة السيد أليكس من تهمة الاختلاس. ثم سأعطيك الحل للخروج من هذه المعضلة التي وضعتَ نفسك فيها

تردد الرجل، ولكن بعدها أخرجَ ملفاً من أحد الأدراج وقال:

ـ هذا الملف يحوي كل ما تطلبه، ولكن أخبرني: كيف أخرج من هذه الكارثة قبل أن أسلمك الملف. فأنا أريد أن أضمن أن ابني لن يدخل إلى السجن، وأنني لن أخسر الشركة أو منصبي فيها

أخرجَ آدم من جيب قميصه قصاصة من إحدى الجرائد ووضعها أمام الرجل، وقد كان التاريخ المدون على الجريدة يشير إلى ثلاث سنوات من المستقبل والخبر المنشور هو:

(سقوط أكبر شبكة اتّجار بالمخدرات قام بها أحد أكبر رجال الأعمال مستغلاً شركته كغطاء لأعمال التهريب والتجارة الممنوعة....)، إلى جانب الخبر صورة الرجل وهو مكبل اليدين واسمه مدوّن في الأسفل!! فتصبّب الرجل عرقاً وشحبَ لونه، ثم

قال وهو يبعد الجريدة عنه:

ـ أنتَ تكذب، هذه الجريدة لم تصدر بعد، انظر إلى التاريخ المدون، هل أنا أحمق كي أصدقك!!

ـ ستصدر وستصبح حقيقية صدقني، فأنا أعرف الكثير. وإن كنت تريد المساعدة مني سأخبرك ما هو المقابل

ـ وكيف ستساعدني؟

ـ بكل بساطة، سأطلب من زوجة أليكس أن تتنازل عن القضية مقابل أن تعطيها تعويضاً مادياً كبيراً بالإضافة إلى حقوق زوجها من عمله، وتغلق قضية الاختلاس وتُسقط جميع التهم. عندها لن ينبش أي أحد خلف فضائحك وأسرارك القذرة، لأنه إن رفعت زوجته قضية ضدك وهذا ما ستفعله قريباً، سيتحطم كل ما بنيتهُ تدريجياً، وشركتك ستختفي وسمعتك المحترمة ستتلطخ..

سأله المدير بحيرة:

ـ ولماذا زوجته من سترفع القضية، وليس هو؟

ـ لأنّ السيد أليكس سيفقد حياته في حادث سير مؤسف بعد أسبوع من الآن تقريباً، وزوجته لا تعلم بأمر الاختلاس بعد

لم يستطع المدير أن يصدق آدم، لكن تلك الجريدة التي ينظر إليها ومعرفة آدم بصفقة المخدرات وقضية اختلاس ابنه من الشركة جعلته يعطيه الملف وهو يقول:

ـ أتمنى أن تفي بوعدك لي، فلا أريد أن ينفضح أمري أو أمر ابني،

وأنا مستعد أن أعطيها مليون دولار مقابل ذلك.

***

أثناء ذلك كانت لورا تنتظر خارج الشركة وتشعر بالقلق والخوف مما قد يحدث وما سيفعله آدم، وفجأةً شاهدت زوجها أليكس يقترب من باب الشركة وعلى وجهه الحزن والضيق، أرادت أن تلحق به ولكنها خافت من انكشاف أمرها فتوقفت في مكانها وظلت تنظر إليه، فالتقى آدم بأليكس أثناء خروجه من الشركة بعد أن اصطدم به بدون قصد، فاعتذر أليكس منه، فقال آدم وهو يبتسم:

ـ لا تقلق، كل شيء سيكون على ما يرام، أعدكَ أنني سأعتني بها

ثم تركه وابتعد بينما ظلّ أليكس ينظر إليه بحيرة، ولم يفهم ما الذي يقصده ذلك الرجل الغريب، لذا أكمل طريقه ودخل إلى الشركة كي يجمع حاجياته ويخرج منها إلى الأبد.

أخبرها آدم بكل ما حدث وما قاله المدير بينما هي تتصفح الملف

ـ يا إلهي، المبلغ كبير جداً!!

ـ لا تقلقي كل ما عليكِ الآن هو العودة إلى الزمن الواقعي، وأخذ هذا الملف إلى أحد المحامين ليتولى القضية

ـ وماذا عن وعدك له بعدم فضحه؟

ـ وهل يستحق ذلك السافل أي رحمة؟ إنه تاجر مخدرات ويجب أن يسجن وينال عقابه.

ثم سألته وهي تنظر إلى الجريدة التي بيده:

ـ لكن من أين أتيت بهذه الصحيفة؟

ـ ستعرفين عندما نعود، أعتقد أنني فهمت ما فكرت به خالتك، ولماذا كتبت هذا المنزل باسمكِ الآن.

لم تشعر لورا بمرور الوقت عندما عادا إلى المنزل، حتى قالت كارن لوالدتها مستفهمة:

ـ لقد تأخرتما كثيراً، هل حدث لكما شيء هناك؟

ـ نحن بخير لا تقلقي، كم من الوقت بقينا هناك؟

ـ ثلاثة أيام تقريباً، عندما ذهبنا نحن لم تمضِ سوى بضع ساعات على غيابنا، أما أنتما فتأخرتما كل هذا الوقت.

أجابها آدم موضحاً:

ـ لأن الزمن الذي ذهبتِ إليه أنتِ وأخواكِ كان بعيداً جداً، لذا يقصر الزمن الحقيقي ويمر الوقت بسرعة في الماضي، أما الزمن الذي ذهبث إليه والدتكم فكان قريباً جداً، لذا استغرقنا فيه وقتاً أطول، ولو ذهبتم إلى المستقبل أيضاً سيطول الوقت أكثر.. ربما اليوم الواحد في المستقبل يعادل شهراً في الحاضر، أتمنى أن تكوني قد فهمتِ ما أقصد؟

أجابته كارن:

ـ أجل فهمت ما تقصده، فكلما تباعدَ الزمن داخل البوابة يقصر الوقت الحقيقي، والعكس أيضاً

***

بعد أن نام الجميع أخذَ آدم ولورا يتحدثان حول ما حدث، وما الذي ستفعله بالملف. فقالت:

ـ يجب أولاً أن أنتهي من أمر هذا المنزل، وبعدها سأتوجه إلى محامٍ، فلا أريد أن أنشغل بأمر آخر غير هذا المنزل الآن، ماذا عنكَ يا آدم؟ ألا تنوي العودة إلى المستقبل؟

حدق آدم إليها بلطف، ثم قال:

ـ ليس الآن، دعينا نتخلص من جميع المشاكل أولاً، ثم نتحدث بهذا الأمر..

ثم تذكرت الصحيفة وسألته عنها، فطلب منها أن تلحق به ثم أخذها إلى غرفة التحف والأشياء الغريبة التي كانت تحتفظ بها خالتها وقال:

ـ بعد أن ذهبتِ، دخلتُ أنا والأولاد إلى هذه الغرفة لنفكر كيف نعيد كل هذه الأمور إلى مكانها الصحيح. وبينما كنتُ أبحث في رف الكتب سقطت تلك الصحيفة مع مجموعة من قصاصات الورق، ومن بينها أيضاً وجدتُ هذه الورقة. ويبدو أن خالتك قد كتبتها لكِ.

أخرجَ من جيبه ورقة صغيرة، فقرأت لورا ما كتب فيها:

ـ عزيزتي لورا، ستحتاجين إلى هذه الصحيفة من أجل تبرئة زوجك.....

أعادت قراءة الورقة عدة مرات والدهشة تعلو وجهها

ـ إذن خالتي كانت تعلم بما حدث لي...!!

ـ يبدو أنها كانت تراقبك منذ أن توفيت والدتكِ، فأنتِ تشبهينها كثيراً وربما شعور الحنين إلى أختها هو ما جعلها تفعل ذلك..

شعرت لورا بالأسى على خالتها، خصوصاً أنها لم تكن تعرفها جيداً

ـ إذن، لو لم تكتب خالتي المنزل باسمي ما كنت عرفت هذه الحقيقة، ولا استطعت أن أنتقم لزوجي وأثبت براءته!!

فقال ممازحاً:

ـ لنقل إنّ خالتك ضربت عصفورين بحجر واحد، ساعدتكِ كي تثبتي حق زوجك، وخلصت نفسها من لعنة المنزل

ـ حسناً لقد خرجت بحسنة واحدة على الأقل، أستطيع أن أشعر بالراحة الآن بعد أن تأكدت من براءة زوجي، أما بالنسبة إلى هذا المنزل فأتمنى أن أغلق هذه البوابة وينتهي الأمر، ولكن لا أعتقد أنني سأعيش فيه مع أبنائي

وقفت لورا حائرة أمام كل تلك الأشياء الثمينة التي سرقتها خالتها في غرفة التحف، وقالت لأبنائها:

ـ لا أعلم كيف سأعيد كل هذه الأشياء!! سيستغرق الأمر زمناً طويلاً، وما زال لدينا ثلاثة أشخاص يرفضون العودة وكذلك آدم

فكرت كارن بحل ما وقالت:

ـ ربما تكون فكرتي غبية، ولكن لماذا لا نضع كل الأشياء داخل الصندوق ونتركها تعود بمفردها؟

أجابها آدم:

ـ ستختفي من الصندوق حتماً، ولكنها قد تذهب إلى أزمنة مختلفة، أو قد يجدها أشخاص لا علاقة لهم بها. فمثلاً لو أعدنا لوحة الموناليزا هذه فلن تصل إلى المتحف مباشرة من حيث سرقتها خالتك، فلربما تسقط في أي مكان، منزل شخص ما أو ربما تسقط في البحر مثلاً..

فقالت كارن بلا مبالاة:

ـ هذا غير مهم، ليجدها من يجدها، المهم أن نتخلص منها فقط

فكّر الجميع بما قالته ووجدوا أنه حل مناسب خصوصاً مع العدد الهائل من المسروقات والتحف الموجودة، لذا قاموا بوضع مجموعة منها داخل الصندوق، وعندما أغلقوه وأعادوا فتحه كانت جميعها قد اختفت!! فشعرت لورا بالسعادة وقالت:

ـ بهذه الطريقة سننتهي منها بسرعة، وسنخرج من هذا المنزل..

لكن آدم كان يشعر بالحزن، فهو لا يريد أن يبتعد عن لورا وعائلتها بالرغم من أنه يتمنى الانتقام لزوجته، ولكن أصبحت لورا تشغل تفكيره كثيراً ويشعر أنه سعيد لوجوده قريباً منها. فأخذ ينظر إليها وهي تبتسم بسعادة وتحتضن أولادها، ولكنها قاطعت أفكاره وقالت له:

ـ بعدها ستعود أنت إلى المستقبل وتحقق العدالة من أجل زوجتك وطفلك

ابتسم آدم رغم حزنه الذي حاولَ ألا يظهره

ـ أجل، ولكن لننتهِ من كل هذا أولاً، فلدينا الكثير من العمل الآن.

***

وخلال أقل من أسبوع استطاعت لورا أن تعيد معظم التحف والمسروقات، فدخلت إلى تلك الغرفة وأخذت تنظر إلى الرفوف التي كانت شبه خالية بسعادة وقالت لأبنائها:

ـ بقيَ لدينا المستذئب، والذي لا أعرف كيف أتعامل معه ولا كيف أقنعه بالعودة إلى الماضي. وكذلك العالم الكيميائي الذي يظن أن هذا الزمان يناسبه أكثر...

قالت كارن وهي تنظف غرفة التحف:

ـ وآدم... هل نسيتهِ؟

لاحظت لورا أنّ آدم لا يحب الحديث حول رحيله، وفي كل مرة تتحدث إليه فيها عن وقت الرحيل يعمد إلى تغيير الموضوع بحديث آخر، فقالت كارن لوالدتها:

ـ أعتقد أنه يفكر بشيء ما، لقد لاحظت نظراته إليكِ يا أمي، واعذريني على ما سأقوله، أعتقد أنه يحبكِ، أو على الأقل معجب بك

ارتبكت لورا واحمرّ وجهها، ثم قالت بضيق:

ـ آدم لا يعني لي شيئاً، وإن كان هو ينظر إليّ بطريقة ما، فأنا أشعر بالامتنان له لأنه يساعدني ويقف معي، لذا سأتحدث إليه حول عودته وأطلب منه الرحيل.

أمسكت كارن يد والدتها قبل أن تخرج من الغرفة، وقالت:

ـ لا تفعلي ذلك يا أمي، إنه رجل محترم ولا يستحق أن تطرديه أو أن تتعاملي معه بجفاء بعد كل ما فعله لنا، لذا دعيه يفكر كما يشاء... وعندما ننتهي من كل شيء سنرى ما سنفعله، ربما أنا مخطئة فيما أعتقد

ثم اقتربت كارن من أحد الرفوف وأخذت تنظر إلى دمية قماشية غريبة الشكل ذات شعر أحمر وفم مبتسم، وقد كتبَ على ورقة صغيرة مثبتة بالقرب منها (كن حذراً، ولا تفكر بالاقتراب كثيراً من آنابيل)

ـ ما هذه الدمية الغريبة!؟

لكن لورا كانت مشغولة بالتفكير بآدم وما ستفعله معه، فقررت أن تتجاهله قدر استطاعتها وتعتمد على نفسها فيما تبقّى من الأمور. ولكنها احتاجت إليه في إقناع ذلك المستذئب الذي أصبحَ يزعجها بإصراره على البقاء.

فتحدث آدم إليه، وأخبره بضرورة رحيله، فقال المستذئب بضيق:

ـ إن عدتُ إلى زمني سيقتلني مصاص الدماء ويُنهي سلالتي، فأنا الشخص الوحيد الباقي على قيد الحياة..

سحبَ آدم نفساً عميقاً وهو ينظر إلى لورا التي كانت تتحاشى النظر إليه، وقال للمستذئب مجدداً:

ـ لكن وجودك هنا خطر عليك وعلى عائلة لورا، أعلمُ أنّ خالتها هي من جاءت بكَ إلى هنا وقامت باستعبادك وإهانتك، ولكن.. هذا لا يعني أن تتسبب بالعذاب للورا فهي لا ذنب لها، وإن كنت رجلاً نبيلاً

كما تدّعي فيجب أن تحترم رغبتها وتعود من حيث أتيت.

ظلّ المستذئب يفكر، ثم قال للورا:

ـ أعلم أنكِ لا تهتمين لأمري أبداً، وتعتقدين أنني أريد أذيّتكِ، ولكن صدقيني سأظل محبوساً هنا ولن أخرج، لا أريد أن ينهي مصاص الدماء سلالتي

فقالت له:

ـ لكنك قتلتَ أحد رجال القرية، وأنا لا أريد أن أحتفظ في منزلي بقاتل..

صرخ المستذئب بغضب:

ـ خالتك هي من أجبرتني على فعل ذلك، لأنهم كانوا سيحرقون المنزل بمَن فيه، ولم أكن أقصد أن أقتله..

شعرت لورا باليأس من حديثها مع المستذئب، فنهضت من مكانها وقالت:

ـ افعل ما يحلو لك، ولكن صدقني عندما يكتشف أحدهم وجودك هنا سيعاملونك مثل الحيوانات تماماً وربما يقتلونك ويقوموا بتشريح جثتك، أنت هنا مجرد مسخ غريب ومخيف. وفي عالمك رجل نبيل ومقاتل، فاختر بأي طريقة تريد أن تموت بها.

ثم تركتهما وخرجت من المنزل وهي تشعر بالضيق، وقد تعالت خفقات قلبها. ولكن ليس بسبب المستذئب إنما بسبب مشاعرها نحو آدم الذي كان ينظر إليها وفي عينيه غرام وحب جعلها تشعر

بالاختناق، حتى إنها لم تستطع أن تتحكم بنبضات قلبها

فظلت طوال الليل مشغولة البال تفكر كيف تتخلص من آدم وتعيده إلى المستقبل بدون أن يعترض. فلمعت في عقلها فكرة وقررت أن تنفذها بأسرع وقت حتى لا تتراجع عن قرارها. وفي اليوم التالي دعته إلى تناول العشاء والحديث حول مصير المستذئب العنيد، وعندما جاء لتناول العشاء كان يرتدي ملابس أنيقة وقد رتّب مظهره وشعره وبدا أكثر وسامة، فشعرت لورا بالتوتر وهو يبتسم لها بلطف، وأخذوا يتناولون العشاء جميعهم ويتحدثون حول المنزل حتى قال آدم:

ـ كان العشاء لذيذاً، أنتِ طباخة ماهرة يا لورا...

ابتسمت بتوتر وهي تفكر بما خططت له، ثم قالت:

ـ حسناً سأعدُّ بعض الشاي لنتحدث، ثم ذهبت إلى المطبخ وأخرجت من جيبها حبوب منومة ووضعتها في كوب الشاي الخاص بآدم وقلبها يخفق بشدة خوفاً من فشل محاولتها، ثم بعدها عادت إلى الصالون ووضعت الكوب أمامه وظلا يتحدثان حتى قال آدم:

ـ لقد اتخذت قراري، لن أعود إلى المستقبل، سأبقى هنا

أحست لورا بالضيق، ولكنها قررت أن لا تجادله وقالت:

ـ أنت حر فيما تفعله، لكن أنا سأخرج من هذا المنزل بعد أن ينتهي كل شيء ولن أعود إليه.

شرب آدم كوب الشاي بينما لورا تراقبه بتوتر. وبعد لحظات شعر بثقل جفنيه وانتابه نعاس قوي، وأخذ رأسه يترنح وقد أدركَ ما

فعلته به، فقال قبل أن يغمض عينيه:

ـ أعلم ما فعلتهِ بي يا لورا....

ثم راح في نوم عميق قبل أن يكمل جملته. لم تهتم لورا بما قاله فهي تريد أن تعيده إلى زمنه كي ينتقم لزوجته وينسى أمرها، ولا تريد أي علاقة بهذا المنزل وبمن فيه نهائياً. لذا طلبت من المستذئب أن يساعدها على حمل آدم ووضعه داخل الصندوق فقال لها:

ـ أنتِ خائنة وجبانة!! كيف تفعلين ذلك به وهو من ساعدك في كل شيء؟!

ردّت عليه بضيق:

ـ آدم ليس جباناً مثلك، لكنه يعتقد أنه يحبني وأنا لا أريد أن أتورط بمثل هذا الأمر، فلا أعرف ما الذي قد يحدث عندما تغلق البوابة نهائياً وكيف سيكون مصيره هنا؟ صدقني عندما يعود إلى المستقبل سيشكرني وسيعرف أنني أردتُ مصلحته فقط، هيا ساعدني.

حملَ المستذئب آدم على كتفه ووضعه داخل الصندوق، وقبل أن تغلقه وضعت في جيبه رسالة كتبتها له، ثم أغلقت الصندوق وقالت:

ـ أنا آسفة، ولكن يجب أن تعود من حيث أتيت، هذا لمصلحة الجميع

اختفى آدم من الصندوق، فأخذت لورا تبكي بحزن وقلق لأنها ستشتاق إليه حتماً وإلى مساعدته لها ووقوفه معها، فسألها المستذئب:

ـ هل ستفعلين ذلك بي أيضاً؟ يجب أن أكون حذراً وأن لا آكل أو أشرب أي شيء تقدمينه لي أيتها الخائنة

ثم تركها وعاد إلى غرفته حيث يختبئ وحده

علمَ الأولاد بما فعلته والدتهم بآدم، فغضب جاك كثيراً:

ـ لماذا فعلتِ ذلك؟ آدم كان طيب القلب وقد ساعدنا كثيراً، وما فعلتهِ أناني جداً. حتى إنكِ لم تسأليِنا رأينا..

لم تفهم سبب غضب أبنائها، لكنها قالت:

ـ يجب أن يعود كل شيء كما كان، أريد أن أتخلص من هذا البيت ومشاكله كي نعود إلى مدينتنا بعد أن ينتهي المحامي من قضية والدكم..

فقال جاك بغضب، وهو يكاد أن يبكي:

ـ نعود إلى من؟؟ أبي توفي وأنا أشعر بالوحدة بدونه، كان يأخذني معه إلى الصيد وإلى النادي ونلعب كرة القدم سوياً، وكنت أشعر بالأمان بوجوده. لا أريد أن أعود إلى هناك وأظل أتذكر تلك الذكريات.. لقد شعرت أنّ آدم قريبٌ مني، وكان يتحدث إليّ كثيراً ويهتم بنا، والآن سأبقى وحدي مجدداً

تركهم وخرجَ من المنزل غاضباً وكذلك كارن وإيمي. وظلت لورا وحدها وهي تشعر بالذنب وتفكر بما قاله جاك.. واعتقدت أنّ أبناءها يفتقدون والدهم لذا تعلقوا بآدم. ولكن هذا ليس عدلاً فهي ما تزال تتذكر وتشعر بالحزن لفقدها أليكس، ولا تستطيع أن توهم آدم أنها قد تبادله المشاعر يوماً ما أو يحل مكان زوجها.

بعد عدة أيام وبسبب خلو المنزل، اقتنعَ المستذئب أخيراً بالعودة إلى الماضي، فلم يبقَ أحدٌ سواه، فودعهم وقال للورا:

ـ أتمنى أن تكوني سعيدة... اعتني بأولادكِ

ابتسمتْ له بلطف:

ـ أنتَ أيضاً، اعتنِ بنفسك وكن حذراً ولا تترك مجالاً لمصاصي الدماء ليحكموا العالم.

ثم أغلقت غطاء الصندوق واختفى المستذئب، وأصبح المنزل خالياً تماماً وقد عمّ صمت غريب أرجاء المكان، فجلست على سرير كارن وهي تحدق في ذلك الباب الخشبي أمامها، وتفكر: هل انتهى كل شيء؟ هل عليها أن تخرج الآن من هذا المنزل؟ تنهدت بحزن وتذكرت أنها قد بقيت مهمة وحيدة، وهي إثبات براءة زوجها من قضية الاختلاس. وفي اليوم التالي استعدت وحزمت حقائبها للخروج من المنزل نهائياً متمنية عدم العودة إليه، وكذلك فعل الأولاد رغم حزنهم. أمسكت كارن بسيف الساموراي وأخذت تنظر إليه وهي تتذكر هونجو، وقررت أن تأخذه معها إلى المنزل الجديد، ولكن والدتها قالت:

ـ لمَ لا تتركيه هنا؟ الأفضل أن تبقى هذه الأمور بعيدة عنا، حتى لا تحدث أي مشاكل

لم تشأ كارن أن تتجادل أكثر مع والدتها، لذا وضعت السيف في أحد الأدراج وخرجت وهي تشعر بالضيق والحزن، وكذلك طلبت من جاك أن يترك حذاء القزم.

ـ لا أريد أي ذكرى متعلقة بهذا المنزل يا جاك، وسنبدأ حياتنا في مكان جديد، وسننسى كل ما مررنا به هنا

لم يقتنع الأولاد بحديث والدتهم ولكنهم فضلوا الصمت وخرجوا بعد أن أغلقوا جميع الأبواب. فوقفت لورا خارج المنزل ثم ألقت نظرة أخيرة عليه وتنهدت بارتياح، ثم صعدت سيارتها وقالت:

ـ أعدكم أننا سننسى كل شيء حدث هنا

فقال جاك في سرّه (ومن قال إنني أريد أن أنسى). أما كارن فقالت في نفسها (لا أظن أنني سأنسى هونجو). أما إيمي فقد كانت تنظر إلى المنزل بينما السيارة تبتعد، فقد اعتقدت أنها رأت سيدة ذات شعر أسود وترتدي ملابس سوداء تنظر إليهم عبر إحدى نوافذ المنزل وهي تبتسم

***

اللعب بالنار من جديد

(عزيزي آدم... أعتذر عما فعلتهُ بك، ولكن يجب أن يعود كل شيء إلى وضعه الطبيعي، أنت تستحق أن تثبت براءتك أمام الجميع وتنتقم لزوجتك أيضاً. أتمنى أن لا تكرهني بسبب ما فعلته بك، وثق أنني أحمل لك حباً خاصاً، ولكن نحن لا ننتمي إلى بعضنا بعضاً..... لورا)

مزّق آدم الورقة وألقى بها على الأرض بغضب متمنياً لو أن لورا تقف أمامه كي ترى بنفسها الموقف الصعب الذي وضعتهُ فيه مجدداً، ففجأةً دخل اثنين من موظفي السجن وأمسكا به واقتاداه بعد أن قيداه ووضعا الأصفاد في يديه، ثم أجلساه على كرسي الإعدام الكهربائي وهو مستسلم تماماً من دون أن يبكي أو يعترض أو يبدي أي مقاومة. ثم قال له مأمور السجن:

ـ هل لديك أي شيء تقوله أو رغبة تريد تحقيقها قبل موتك؟

لم يردّ، بل ظل صامتاً يحدق في المرآة العاكسة أمامه، ويتخيل الأشخاص الذين يجلسون خلفه وينتظرون الانتهاء من إعدامه. ثم التفتَ إلى الطبيب المقنع الذي أخذ يجهز الإبرة كي يحقنه بها، فسقطت دمعة على خدّه وأخذ يتذكر كل ما مرّ به، وكيف غدرت به لورا وأعادته إلى البداية مجدداً من دون أن تهتم بمصيره. وعندما شاهد الطبيب يرفع الإبرة أمامه ويقترب منه صرخَ بصوت عالٍ، وأخذ يتلوى بشكل هستيري وهو يقول:

ـ لورين أنقذيني، أعدكِ سأكون خادماً تحتَ قدميك، أنقذيني

أرجوكِ لأجل كل ما فعلته لكِ، ولأجل ما فعلته لابنة أختك ناكرة الجميل ساعديني

حاولوا تهدئته، ولكن بدون فائدة، ثم سكت عن الصراخ وعن الحركة وسقط رأسه على كتفه وكأنه قد فارق الحياة، ففحصَ الطبيب نبضه وأعلن قائلاً:

ـ لقد توفي السجين بسكتة قلبية

ثم أخذوه إلى ثلاجة الموتى

***

استفاقت لورا مفزوعة بعد كابوس مرعب، وأخذت تتنفس بصعوبة وتمسح العرق عن جبينها بيد مرتعشة وهي تتذكر الكابوس الذي تسبّب لها بكل هذا الذعر، حيث شاهدت آدم معلقاً في حبل المشنقة وهي تقترب منه وتحاول إنقاذه، وعندما أصبحت أمامه رفع وجهه الشاحب وقال وهو يصرخ بصوت غاضب

ـ أنتِ السبب، أنت السبب في كل ما حدث لي، لن أتركك تعيشين بسلام

نهضت من فراشها وتذكرت كل ما حدث ذلك اليوم بعد أن خرجت من منزل خالتها. تذكرت آدم وما فعلته به، ثم تنهدت بضيق وأخذت تبرر لنفسها أن ما فعلته كان لمصلحة الجميع. دخلت كارن غرفة والدتها بعد أن استأذنت وسألتها:

ـ ما بكِ يا أمي، لقد سمعتك تصرخين؟

ابتسمت لورا وهي تفرد ذراعيها لابنتها التي سارعت وارتمت بين ذراعيها:

ـ لا شيء، مجرد كابوس كالعادة

سقطت دمعتها على خدها ومسحتها بسرعة قبل أن تلاحظها ابنتها، فقالت لها كارن:

ـ آدم مجدداً؟؟

ـ أجل، فمنذ أن خرجنا من ذلك المنزل والكوابيس تلاحقني، ربما آدم لم يسامحني، ولا أعرف كيف أنهي هذا العذاب والشعور بالذنب؟

ابتسمت كارن لوالدتها:

ـ لا تفكري فيه كثيراً، فأنت فعلتِ ما يجب عليك فعله، وآدم لن يفهم نواياك

لم تشأ لورا أن تسبب القلق لابنتها أكثر فكوابيسها لا تدور حول آدم فقط، بل كل شخص أعادته عبر ذلك الصندوق كان يعاتبها ويخنقها أو يعذبها في تلك الكوابيس. وحتى بعد مرور خمس سنوات من تلك الحادثة ما تزال تعاني كل ليلة من كابوس يتسبب بالأرق والخوف لها. استأذنت كارن من والدتها وعادت إلى غرفتها كي تستعد للذهاب إلى عملها، فبعد أن تخرجت من الجامعة عيّنت كممرضة في أحد المستشفيات وكانت سعيدة جداً بهذه الوظيفة رغم الدوام المتعب واختلاف المناوبات كل فترة، إلا أنها كانت فرصة كي تنسى الماضي وتنسى هونجو الذي كانت تشعر باتصال غريب بينها وبينه، وأحياناً تشعر أن ما حدث كان مجرد حلم جميل

تمنت أن يستمر، فهو كان يزورها في أحلامها أيضاً، كما كانت تتخيل لو أنه بقيَ معها في عالمها ولم يعد. طرقت إيمي باب غرفة كارن، ثم دخلت وقالت:

ـ صباح الخير، هل ستأخذينني إلى الجامعة في طريقكِ، أم أطلب ذلك من جاك؟

ـ حسناً، لكن أنتِ مَن ستدفع ثمن الوقود هذه المرة؟

ضحكت إيمي وهي تُخرج محفظتها من حقيبتها.

ـ موافقة.. لكن لا تطلبي أكثر من ذلك، فأنا مفلسة تقريباً.

ذهبتا إلى المطبخ لتناول الإفطار، وكانت لورا تجلس وحدها شاردة الذهن.

ـ صباح الخير يا أمي، أين جاك؟

أجابتهما وهي تضع الإفطار على المائدة:

ـ لقد خرج مبكراً، أخبرني أنّ لديه أمراً هاماً قبل أن يذهب إلى عمله.

بعد تناول الإفطار خرجتا من المنزل، وقادت كارن سيارتها متجهة إلى جامعة إيمي، التي كانت تتحدث عبر الهاتف مع أحد زملائها، فسألتها كارن بعد أن أنهَت الاتصال:

ـ مع مَن كنتِ تتحدثين؟

ـ إنه جوناس صديقي... لدينا اختبار هذا اليوم، وهو لم يكن مستعداً له.. لقد نسيه تماماً، والآن يريد مني أن أطلب من الدكتور

تأجيل الاختبار.

نظرت إليها بطرف عينها، ثم قالت محذّرة:

ـ إيمي لا شأن لكِ بهذه الأمور، لقد وعدتِني ألّا تفعلي ذلك مجدداً.

شعرت إيمي بالخجل وهي تكذب على أختها:

ـ أعلم، ولكن الأمر يخرج من يدي أحياناً، ولا أعرف كيف أتصرف. وفي كل مرة يحدث شيء، فأخبر نفسي بأنها المرة الأخيرة. ولكن...

تنهدت إيمي بحزن وهي تفكر بذلك الخاتم، الذي ظلّ يلاحقها طيلة هذه السنوات منذ أن تركوا منزل خالتهم. وتذكّرت شعورها بالخوف وبالدهشة عندما وجدته في منزلهم الجديد الذي انتقلوا إليه، وفي غرفة نومها بالذات!، وكيف أنها حاولت التخلص منه بكل الطرق ولكن بلا فائدة. فمرة التقطته في القمامة ومرة في البحر، ومرة باعته إلى أحد محلات المجوهرات، ومرة دفنته في الصحراء، وكان يعود إليها في كل مرة، وتجده في منزلهم أمام عينيها!!، فشعرت حينها باليأس واستسلمت وقررت أن تحتفظ به، لكنها لاحظت وجود قوة غريبة تتعلق بذلك الخاتم، فكلما وضعته في إصبعها، تصبح قادرة على التحكم في مشاعر الآخرين والسيطرة عليهم وعلى أفكارهم قبل أن ينطقوا بها! ففي إحدى المرات عندما قررث كارن أن تشتري سيارة جديدة، ذهبت إيمي برفقتها إلى المعرض، ولكن كانت الأسعار مرتفعة جداً، ولم تشأ كارن أن تطلب من والدتها مبلغاً إضافياً من المال، فلاحظت إيمي أن أختها تشعر بالإحباط خاصة وأنها أُعجبت كثيراً بإحدى السيارات، وكانت تنظر إليها بحسرة، فاقتربت إيمي من البائع وقالت له بلطف:

ـ هل تستطيع أن تخفض سعرها قليلاً؟

تغيّرت ملامح البائع، وكأنّه تحوّل إلى رجل آليّ، ليجيبها وهو ينظر إليها بدون أن يرفّ جفنه:

ـ اختاري السيارة التي تناسبكِ، وضعي السعر الذي تريدينه.

لم تصدق إيمي ما سمعته من البائع في البداية، ولكن إصراره وتصرفاته الغريبة وهو يرجوها أن تأخذ ما تشاء، جعلها تعتقد أنه ربما كان يغازلها فقط ويريد أن يتودد إليها. وتكرر هذا النوع من الحوادث المشابهة بشكل غريب، حتى جاء ذلك اليوم الذي تأخّرت فيه إيمي عن أحد الاختبارات في الجامعة وكان الدكتور غاضباً جداً، ولكن عندما دخلت إيمي وتحدثت إليه وأخذت ترجوه بأن يسمح لها بالدخول إلى الاختبار، تغيّرت ملامح وجهه من الغضب إلى اللطف والهدوء، وسمح لها بالدخول من دون أي نقاش! ذهش جميع الطلبة في ذلك اليوم، فهم يعرفون جيداً أن الدكتور صارم، وأنه متزمّت في قرارته، لذا أصبحت إيمي مشهورة في الجامعة ومحبوبة من الجميع، وأخذ أقرانها يتقرّبون منها معتقدين أنّ لها تأثيراً على الأساتذة بطريقة ما، ومنذ ذلك اليوم عرفت أن لذلك الخاتم قوى غريبة تؤثّر على من حولها عندما تضعه في إصبعها. وصلت إيمي إلى الجامعة، وقبل أن تنزل حذّرتها كارن:

ـ لا تلعبي بالنار حتى لا ينكشف أمركِ، حينها لن ينقذكِ هذا الخاتم أو أي شيء غيره.

فردّت إيمي مطمئنة أختها وهي تبتسم:

ـ لا تقلقي، أعدكِ بأنها ستكون المرة الأخيرة.

ودخلت إلى الجامعة، فقادت كارن سيارتها متجهة إلى المستشفى حيث تعمل، وهي تفكّر في كل ما يحدث مع والدتها وأخويها، الكوابيس التي تعاني منها والدتها كل ليلة وشرود ذهنها وتصرفات إيمي الغريبة أحياناً، وذكريات هونجو الذي لم تستطع نسيانه، وتجاهل جاك ومحاولته إنكار كل ما حدث في ذلك المنزل وإيجاد مبررات منطقية لذلك، وكم تمنّت أن تعود إلى منزل لورين لرؤية الصندوق والعودة بالزمن لرؤية هونجو! ... لكنّ هذا أمر مستحيل، فوالدتها سترفض حتماً وستمنعها.

في المساء اجتمعت لورا بأولادها حول مائدة العشاء، وكان جاك يأكل بنهم، ويمضغ الطعام بسرعة، فحدّقت إليه كارن وقالت:

ـ ستختنق حتماً إذا استمررتَ في الأكل بهذه الطريقة...

حاول أن يتحدث بينما هو يمضغ طعامه:

ـ لم آكل شيئاً منذ الصباح، لقد كنتُ منشغلاً جداً.

أخذ يسعل وكاد أن يختنق بطعامه، فربتت إيمي على ظهره بقوة، ثم أخذ يتنفس بعمق محاولاً إدخال الهواء إلى رئتيه، وبعد أن استطاع التنفس قال:

ـ لقد كلّفني المدير اليوم بمهمات كثيرة، وغداً سأكون منشغلاً أيضاً.

سألته لورا بحزن:

ـ إذن لن تكون موجوداً في حفلة عيد ميلادكما أنتَ وإيمي، أليس

كذلك؟

أجاب جاك وهو ما يزال يأكل:

ـ لا أستطيع البقاء في المنزل يا أمي، سأكون في المطار لألتقي بالوفد الآسيوي المدعو من قبل الشركة، لقد كلّفني المدير بذلك ولا أستطيع الرفض، فالموظف المسؤول عن نقل الضيوف مريض.

تنهّدت لورا بحزن:

ـ كنتُ أريد أن أحتفل بكما، لكنْ لا مشكلة يا حبيبي.. في الأيام القادمة -إن شاء الله- سنحتفل سوياً.

التفتت إيمي إلى أخيها وسألته:

ـ هل تستطيع أن تأخذني إلى المكتبة بعد العشاء؟ أحتاج إلى بعض الكتب والمراجع الجامعية.

أجابها وهو يمسح فمه، ويسحب نفساً عميقاً بعد أن امتلأت معدته:

ـ حسناً، ولكنكِ تنفقين الكثير من الأموال على الكتب، لِمَ لا تشترين كتباً مستعملة من طلاب آخرين، أو تستعيرينها من المكتبة العامة؟

ـ أنتَ تعلم أنني لا أحبّ استعارة الكتب من أحد، ثم إن تخصصي متشعب، وقد أحتاج إلى الكثير من هذه المراجع للسنوات القادمة، لذا لن أخسرها.

فبعد الثانوية قررت إيمي أن تدرس تاريخ الحضارات القديمة وعلم الإنسان، وربما ما حدث لهم في الماضي هو ما جعلها تهتم

بمثل هذه العلوم. والذي ساعدها على معرفة الكثير من المعلومات حول تاريخ الإنسان على الأرض ومنشأ الحضارات. كما حاولت البحث عن أسرار التنقل عبر الزمن وكل ما وجدته كان مجرد ادعاءات ونظريات لم تستطع أن تتبين إن كانت صحيحة أم لا. كما شدّها عالم الماورائيات، فاتبعت دورات وحضرت دروساً كثيرة تختص بهذا الشأن لعلها تعرف سرّ ذلك المنزل، لكنها لم تجد مرجعاً علمياً يتحدث عن البوابات الزمنية ويثبتها. فكل ما ذُكِر هو مجرد تجارب لأشخاص معظمها على الأرجح غير حقيقية. كما أنها قرأت الكثير عن البوابات النجمية والثقوب الدودية، وحاولت أن تربط ما قرأته بمنزل خالتها.

بينما كان جاك يقود سيارته برفقة إيمي نحو المكتبة رنّ هاتفها المحمول، وكان المتصل زميلها جوناس قائلاً:

ـ أشكركِ يا عزيزتي على مساعدتي اليوم، لن أنسى ذلك أبداً.

أجابته إيمي:

ـ لا شكر على واجب، لكن لا تطلب مني ذلك مرة أخرى، لأن الأمر ليس بهذه السهولة.

ضحك جوناس:

ـ نعم، أعلم ذلك فليس من السهل التملّق للدكتور ومحاولة استمالته لتنفيذ رغباتك..

قاطعته إيمي بغضب:

ـ ما الذي تقوله أيها الأحمق؟! هل تعتقد أنني سأفعل ذلك من

أجلكَ؟ أنا فقط طلبتُ منه تأجيل الاختبار، وقد حدث ذلك أمام الجميع ولم...

توقفت عن الكلام، لأنها لم تشأ أن يسمع أخوها ما يدور بينهما، خاصةً بعد أن لاحظت أنه يراقبها، فأكملت قائلة لجوناس:

ـ غداً نتحدث، ولكن لا تُثِر الشائعات وإلّا ستندم أيها الأحمق!

بعد أن أغلقت الخط، سألها جاك:

ـ ما بكِ؟ هل قال لكِ ما أغضبكِ إلى هذا الحد؟

ـ لا شيء هام، إنها مجرد مزحة سخيفة، لكنني فهمتُها بطريقة خاطئة.. انسَ الأمر.

راحت إيمي تتجول في المكتبة وتبحث بين رفوفها عن الكتب التي تحتاجها، وقد شعرت بالحيرة في اختيار كتاب واحد من بين مجموعة كبيرة من الكتب التي أعجبتها، فقالت وهي تتحدث إلى أخيها بضيق:

ـ أسعار هذه الكتب مرتفعة جداً، ليتني أستطيع الحصول على بعض المال الإضافي، كي أشتريها كلها.

ـ أستطيع أن أعطيكِ ثمن كتاب إضافي لو أردتِ ذلك؟

لكنّ إيمي رفضت، فهي تعلم أن جاك يدّخر المال كي يُكمل دراسته الجامعية، وهي لا تريد أن تحرجه، لذا قررت شراء أحد الكتب وأعادت الباقي إلى الرف. وبينما هي تضع كتبها أمام المحاسبة، قالت لها الموظفة:

ـ لدينا حسم بمقدار سبعين في المائة على جميع الكتب هذا اليوم.

ابتسمت إيمي بسعادة، والتفتت إلى جاك الذي كان يبحث حوله بدهشة، فليست هناك أي لافتة أوإعلان توضح وجود عروض على الكتب، ولكنه لم يتحدث، فقامت إيمي بجمع أكبر عدد من الكتب استطاعت شراءها، وكم كانت سعيدة بذلك، وهي تحمل الأكياس!

ـ كم أنا محظوظة!، هذه الكتب ستساعدني كثيراً في دراستي، كما أنها من صميم اهتمامي أيضاً، سأخبر زملائي عن العرض حتى لا يفوتهم.

في اليوم التالي عندما ذهبت إيمي إلى الجامعة، أخبرت صديقاتها عن عرض الكتب، وكم شعرت بالدهشة عندما قالت لها إحداهن مستنكرة:

ـ هل أنت متأكدة؟! لقد كنتُ هناك البارحة، ولم تخبرني الموظفة عن أي عرض.

قالت إيمي وقد خفق قلبها ببعض الخوف:

ـ ربما أعلنوا عن العرض في وقت متأخر، عموماً إن احتجتِ إلى استعارة أي كتاب، فسأساعدك يا عزيزتي.

فقالت زميلة أخرى:

ـ هل تقصدين تلك المكتبة القريبة من هنا؟ أنا أيضاً ذهبتُ إليها البارحة ولم أجد أي عروض، ولم تخبرني الموظفة بذلك!!

فبحثت عن رقم المكتبة وقامت بالاتصال لتستفسر عن العروض:

ـ مرحباً، أحببتُ أن أستفسر إن كان لديكم أي عرض على الكتب؟

أجابتها الموظفة:

ـ حالياً ليس لدينا أي عروض، ربما بعد شهر تقريباً.

ـ ماذا عن البارحة؟ ألم يكن لديكم أي عروض؟

ـ كلا، لم نقم بوضع أي إعلانات أو عروض على الكتب!!

حدّقت إيمي في الخاتم الذي في يدها وأخذت تحاول أن تخلعه، لكنها لم تستطع بينما كانت الموظفة تتحدث إليها عبر الهاتف:

ـ إن كنتِ تريدين أن نخبركِ بأي عروض قادمة...

أغلقت إيمي الخط وهي ما تزال تنظر إلى الخاتم بخوف، ثم قالت بهمس وكأنها تسأل الخاتم:

ـ لماذا؟!

لكنّ صوت جوناس الذي اقترب منها جعلها تجفل، فالتفتت إليه بسرعة وهي مرتبكة، إلّا أن ملامح جوناس ووجهه الشاحب جعلها تنسى أمر الخاتم عندما أخذ يقول لها، وهو يكاد أن يبكي والهلع بادٍ على ملامحه:

ـ لم أقصد ما قلتُه لكِ يا إيمي، أقسم لكِ بأنني كنتُ أمزح فقط، أنا أعرف أنكِ فتاة محترمة ولكن..

لاحظتْ كم هو متوتر وعيناه حمراوان، وكأنه لم ينَم طوال الليل.

ـ ما بكَ؟ لِمَ تبدو بهذه الحالة؟ هل أنتَ مريض؟!

تردّد قبل أن يقول:

ـ لا أعرف لم أستطع النوم طوال الليل، كنت أرى كوابيس مخيفة أفزعتني.

ـ وما هي تلك الكوابيس التي جعلتك على هذا الحال؟!

لاحظت أن توتره قد ازداد، فطلب منها أن يجلسا سوياً بعيداً عن الآخرين وقال:

ـ شاهدت عجوزاً غريبة ومخيفة تقترب مني وهي تضحك بطريقة هستيرية كالمجنونة، ثم أمسكتني من عنقي وأخذت تمصّ دمي وتخنقني وكأنني جرذ، وكلما عدت إلى النوم مجدداً أراها وأراكِ أيضاً تضحكين خلفها وكأنك سعيدة بما تفعله بي، ثم أطير في السماء وكأن أحدهم يقذف بي إلى الأعلى بقوة لأسقط على الأرض، وشعرت بأن سقوطي كان حقيقياً إلى درجة أنني كنت أتألم عندما استيقظت من ذلك الكابوس، الذي تكرر طوال الليل. وعندما استيقظت صباحاً شعرت باختناق، وكأن أحدهم يمسك بعنقي بقوة ولكنني لا أراه، فقد كنت بين النوم واليقظة. ورأيت ظلاً أسود يجثم فوق صدري... أعتقد أنه جاثوم.

شعرت إيمي بالذعر وسألته:

ـ هل تستطيع أن تصف لي تلك العجوز؟

وضع يديه على رأسه وأخذ يتذكر، ثم قال:

ـ كانت قبيحة جداً، قامتها قصيرة وسمينة، وتمسك بيدها عصا طويلة جداً وقد علّقت عليها جمجمة بشرية. كانت تضحك بصوت

عالٍ يصم الأذن، إلى درجة أنني شعرتُ بالصمم حتى بعد استيقاظي وكأنّه حادث حقيقي!!

تذكرت إيمي تلك العجوز التي التقت بها في الصحراء، وتساءلت في نفسها: لماذا يحلم بها جوناس فجأة؟! وفكّرت إيمي: هل لذلك علاقة بما قاله لها بالأمس وبسخريته منها؟!، هل تراقبها تلك العجوز عن طريق الخاتم؟ ولكن لماذا تفعل ذلك؟! لم تشَأ أن تُثير خوفه أكثر فقالت:

ـ ربما هو مجرد كابوس، لأنك شعرتَ بتأنيب الضمير بسبب وقاحتكَ معي.

ـ أعتذر منكِ مجدداً، وأتمنى ألّا أرى ذلك الكابوس ثانية.

ربتت على كتفه وهي تبتسم:

ـ لن تراه مجدداً، أعدكَ بذلك.

***

عائد من الماضي

في المطار وقف جاك وهو يحمل لافتة كُتب عليها اسم الشركة التي يعمل فيها منتظراً نزول الوفد الآسيوي، الذي قدِم لزيارتهم من أجل الاجتماع حول افتتاح فرع جديد للشركة في إحدى الدول الآسيوية، وقد تمّ تكليف جاك باستقبال الضيوف وبحجز الفندق وبتهيئتهم للاجتماع. وبينما هوينتظر، شعر بالملل فاتصل به أحد زملائه:

ـ أهلاً جاك... أما تزال في المطار؟

ـ نعم، ولقد شعرت بالملل خاصةً بعد أن أخبرني موظف المطار أنّ الطائرة قد تتأخر بسبب سوء الأحوال الجوية، ولا أعرف ما الذي سأفعله طوال الوقت!

ضحك زميله:

ـ أنا اعتدتُ على القيام بهذه المهمة، ولكنّك تقوم بها لأول مرة، لذا فإنك تشعر بالملل.

ـ ليس أمامي حل آخر، فربما يصلون في أي وقت الآن.

وبينما زميله يتحدث حدّق جاك بمِلء عينيه في شاب كان يمشي أمامه متجهاً نحوه وبرفقته سيدة ورجل آخر، وقال:

ـ هونجو!!

ابتسم الشاب الآسيوي، وقال:

ـ مَن هو هونجو؟، أنا اسمي جينتشي.

شعر جاك بالإحراج وأخذ يعتذر، بينما عيناه مُسمّرتان على الرجل:

ـ أعتذر يا سيدي، لقد أخطأتُ في الاسم سيد جينتشي، أهلاً بكم وحمداً لله على سلامتكم.

ساعدهم على الصعود إلى السيارة، وحمل حقائبهم بينما هو يحدّق خلسة بجينتشي بين الحين والآخر طوال الوقت، حتى وصلوا إلى الفندق حيث سيقيمون، وأخذ يتذكر هونجو ويقارن مدى الشبه بينهما، ولاحظ أنه لا اختلاف بينهما سوى في شعر هونجو الذي كان أكثر طولاً، فهو يملك نفس ملامح الوجه ونفس الطول والهيئة، وحتى الصوت!! حذّرته السيدة التي كانت برفقتهم وقالت:

ـ أنتَ تقود بشكل سيئ يا سيدي، هل أنتَ متعب؟

ارتبك جاك وقال بخجل:

ـ أعتذر يا سيدتي.

أخذهم بنفسه إلى جناحهم الخاص، وقبل أن يتركهم قام بتصوير جينتشي خلسة، وقال لهم قبل أن يغادر وهو يبتسم بلطف:

ـ غداً سنأخذكم إلى مقر الاجتماع، وبعدها سأتولى مهمة ترفيهكم وتعريفكم على بعض المعالم الهامة في بلادي، والآن أتمنى لكم ليلة سعيدة وأعتذر مجدداً عن أي تقصير.

***

عندما عاد جاك إلى المنزل، ذهب مباشرة إلى غرفة كارن وأيقظها قائلاً وهو يضع الصورة أمام عينيها:

ـ يجب أن ترَي ما رأيته... استيقظي.

أدهشها تصرفه في مثل هذا الوقت المتأخر، لكنها قالت وهي تتثاءب:

ـ ما الذي رأيتَه؟ ما بكَ؟ تبدو متوتراً!

وضع صورة جينتشي التي قام بالتقاطها أمامها، فشعرت كارن بالذهول وهي تنظر إليها:

ـ كيف وصل هونجو إلى هنا؟؟ ما الذي يحدث؟!

ـ هذا ليس هونجو، إنه الرجل الياباني الذي استقبلته في المطار واسمه جينتشي، وعندما رأيته انتابني الذهول مثلكِ تماماً وأكثر، فله نفس الشكل والصوت والجسد.. وكل شيء، حتى إنني كِدتُ أن أصرخ كالأبله من شدة الدهشة.

ظلت كارن تحدّق إلى الصورة وتتذكر هونجو، ثم قالت بحزم:

ـ أريد أن أقابله يا جاك... أرجوك!

رفع حاجبيه بدهشة:

ـ هل أنتِ مجنونة؟! كيف سأجعلكِ تقابلينه! إنه مدير لإحدى أكبر الشركات اليابانية.

أخذت ترجوه كي يساعدها على اللقاء بجنيتشي، وهي لا تعلم ما سبب إصرارها على رؤيته:

ـ أرجوك.. جِد حلاً وطريقة كي أراه.

فكّر جاك، ثم قال مستسلماً:

ـ حسناً، بعد الاجتماع غداً سآخذهم إلى إحدى المناطق السياحية، وعندها ستأتين لمقابلته بينما نحن هناك، وسأعرّفه بكِ.

وافقت كارن على ذلك، ثم اتصلت بمديرتها في المستشفى حيث تعمل، واستأذنت كي تتأخر عن عملها في الغد.

في تلك الأثناء كانت إيمي تجلس وحدها في غرفتها، وقد أمسكت بالخاتم وأخذت تنظر إليه بتوتر وتفكّر بما قاله جوناس وما حدث معها في المكتبة، وتساءلت هل تلك العجوز تلاحقها وتراقبها عن طريق هذا الخاتم؟ ولكن لماذا؟ ما الذي تريده منها؟ قطع تفكيرها دخول كارن المفاجئ وهي تبتسم بحماس وتقول:

ـ ما سأريكِ إيّاه سيصيبكِ بالصدمة، انظري إلى هذه الصورة.

ألقَت إيمي نظرة إلى هاتف جاك الذي كان يقف عند الباب منتظراً ردة فعلها، فشهقت بقوة وهي تضع يدها على فمها، وفتحت عينيها على اتساعهما وهي تنظر إلى الصورة:

ـ هونجو... كيف؟ هل هذا هونجو أم شخص يشبهه؟!!

ضحك جاك من ردة فعلها وقال:

ـ هذا رجل أعمال ياباني قد جاء لعقد صفقة مع شركتنا، وأختكِ تريد أن تقابله غداً.

قالت إيمي لكارن متسائلة:

ـ وما الذي ستفعلينه عندما تقابلينه؟؟ هل ستخبرينه عن هونجو؟

قاطعها جاك محذّراً:

ـ كلا.. لا تفعلي ذلك، وإلّا ستتسببين في طردي من وظيفتي. أنتِ فقط ستقابلينه لترَي مدى شبهه بهونجو وإن فعلتِ...

قبل أن يكمل حديثه، قالت كارن وهي تخرج من غرفة إيمي:

ـ لا تقلق، لن أفعل شيئاً يُسيء إليكَ... أنا لستُ مجنونة إلى هذه الدرجة، والآن تصبحان على خير.

حدّق جاك بإيمي بندم وقال:

ـ أعتقد أنني أخطأتُ عندما وافقتُ على طلبها، أتمنى ألّا تتهور وتتسبّب لي بالمشاكل مع الشركة.

ظلت كارن طوال الليل تفكر بهونجو وما حدث بينهما، متمنية أن يكون هذا الشاب هو هونجو نفسه رغم معرفتها باستحالة الأمر، إلّا أنها كانت تأمل ذلك، وتشعر بالحماس لأنها ستقابله.

***

في الظلمة وهدوء المشرحة الباردة، فتح أحدهم ثلاجة الموتى وأخذ ينظر إلى جثة آدم الباردة، ثم وضع يده على صدره وضغط بقوة حتى كاد أن يحطم ضلوعه، وفجأة فتح آدم عينيه وأخذ يسعل بشدة حتى تقيّأ، ثم أخذ يلهث ويتنفس بصعوبة باحثاً عن الهواء وجسده العاري يرتجف من شدة الألم والبرد. وبينما هو يتلفت حوله، سمع فجأة صوت سيدة تقول له:

ـ أخيراً استيقظت!، هيا بنا.. فلدينا الكثير من العمل لننجزه.

حدّق آدم في ظلام الغرفة، وقد عرف صاحبة الصوت جيداً وتلك الضحكة المميزة التي اعتاد على سماعها.

ـ لورين؟ كيف...

لم يستطع أن يكمل حديثه فقد شعر بالدوار أثناء محاولته النهوض، وسقط على الأرض مغشياً عليه، وعندما استفاق مجدداً وجد نفسه في مكان لم يتخيل أن يعود إليه مرة أخرى، لقد كان في منزله الذي عاش فيه مع زوجته التي أحبها عندما كان في أوج شهرته كمصارع. اعتقدَ في البداية بأنه يحلم وأخذ يضرب رأسه ويفرك عينيه، لكنّ صوت لورين التي ظهرت أمامه جعله يدرك أنه لا يحلم.

ـ لقد أعدتُكَ إلى ما قبل مقتل زوجتكَ إن كنتَ تريد الانتقام كما تقول، ولكن تذكر أن الحقيقة لا تكون دائماً كما نعتقد، بل تحتاج إلى البحث قبل أن تحكم على ما ستراه بعينكَ. وكُنْ حذراً، فأنا ما زلتُ أحتاج إلى خادمي المطيع، وهذه ستكون فرصتك الأخيرة لتثبتَ ولاءك لي، وليس لأحد غيري.

لم يفهم ما قصدته، ولكنه نهض من الفراش وارتدى ملابسه، وهو ما يزال يترنح ويشعر بصداع قوي، ثم سألها:

ـ كيف أعدتِني إلى الحياة؟ لقد أصبتُ بسكتة قلبية هناك في السجن!

ضحكت لورين مجدداً، وقالت وهي تقترب منه:

ـ أنت تستهين بقدراتي يا ولد. أولاً أنتَ لم تمت هناك، بل كل ما

فعلته أنني جعلتك تبدو كالميت أمامهم، فقد انتحلت شخصية الدكتور المقنع. وعندما وضعوك في المشرحة أسرعت إليك وأخرجتك منها، حتى لا تتجمّد من البرد.

وضع يده على قلبه كي يتأكد من أنه ينبض وأنه حي، فقالت له لورين قبل أن تتركه:

ـ سأمهلك بعض الوقت كي تحلّ مشاكلك، وبعدها سأعود لنثفِق على العمل.

دخل آدم إلى المطبخ ليبحث عن زوجته، ولكنه لم يجدها في أي مكان في المنزل. وأخذ يتذكر أين كان هو في هذا اليوم!! وأدرك أنه كان في العاصمة يستعد للدخول إلى حلبة المصارعة، بينما كانت زوجته تنتظره في المنزل. فأخذ يفكر ويتساءل: أين زوجته؟ ولماذا ليست في المنزل؟ فقد أخبرتَه بأنها كانت تتابع المباراة على البث المباشر عندما تحدّث إليها قبل أن يدخل إلى الحلبة؟! فبحث في جيوبه عن هاتفه وقام بالاتصال بزوجته، التي قالت:

ـ آدم !!...

أجابها بتردد:

ـ نعم، هل تشاهدين المباراة؟

ـ أجل يا حبيبي أنا أتابع المباراة الآن، وأنتظر دخولك إلى الحلبة.

شعر بالحيرة فسألها:

ـ هل أنتِ في المنزل؟

ـ طبعاً يا حبيبي، وأين سأكون في هذا الوقت؟ أنا أشاهد المباراة وأحتضن قميصك المفضّل بين يدي.

ذهب آدم إلى غرفة المعيشة، ولكنّ زوجته لم تكن موجودة أمام التلفاز، فشعر بالدهشة، لكنه قال لها:

ـ حسناً سأذهب الآن... أراكِ عند عودتي.

ظل واقفاً في غرفة المعيشة ينظر إلى الهاتف بذهول ويفكر فيما قالته، ولكن لم تدم حيرته طويلاً، فقد سمع صوت الباب الخارجي يُفتح، فاختبأ بسرعة خلف إحدى الكراسي في غرفة المعيشة، وأخذ يستمع إلى الحوار الغاضب بين زوجته وبين شخص آخر كان يقول لها:

ـ أخبرتُكِ أنّ ما بيننا مجرد علاقة عابرة، لذا يجب أن تُجهضي هذا الطفل.

فقالت زوجة آدم وهي تصرخ باكية:

ـ لن أفعل ذلك، لقد أخبرتُ آدم أنه طفله هو، فما شأنكَ أنتَ؟؟

صرخ الرجل بصوتٍ عالٍ ليقول:

ـ لن يربي زوجكِ المخبول هذا الطفل! ماذا لو علمَ بذلك مستقبلاً؟ ماذا لو كان الطفل لا يشبهه، بل يشبهني أنا.. فهناك فرق كبير بيننا؟ تخلّصي منه وإلّا قتلتُكِ.

أخذت تبكي وهي ترجو الرجل:

ـ أرجوك يا ماسيمو أنا أحبكَ، لقد فعلتُ كل شيء من أجلكَ، حتى

إنني تزوّجتُ شخصاً لا أحبه من أجلكَ أنتَ. طلبتَ مساعدتي في تدمير نجاحه وفعلتُ ما تريده، ووعدتُكَ أن أنتقم لكَ منه على ما فعله بكَ في تلك المباراة، فلماذا تريد أن تُدمّرني الآن؟

ـ لا يهمني ما فعلتِه، فأنا لم أجبركِ على ذلك. وهذا الطفل ستجهضينه وإلّا ستندمين، وسأفضحك أمام الجميع وأخبرهم مَن تكونين.

سمع آدم صوت زوجته وهي تقوم بتحطيم الأثاث وهي تصرخ، فصرخ بها ماسيمو:

ـ أنتِ مجنونة!! حسناً، سأتخلص منكِ ومن هذا الطفل بنفسي، فلن أعيش وأنا خائف من تهديدكِ لي.

وبعد صراخ وشِجار دار بينهما، دخل الرجل إلى غرفة النوم وتبعته زوجة آدم، وعمّ الهدوء مجدداً. تردّد آدم، ولكنّه قرر أن يرى ما يحدث بينهما، فاختلس النظر من الباب وفي قلبه نار تشتعل، فقد كانت زوجته تبكي وهي تجلس على السرير وتمسك بورقة وقلم، بينما كان ذلك الرجل الذي عرف آدم من يكون يقف أمامها مُهدّداً، وهويحمل سكيناً في يده.

ـ اكتبي ما سأمليه عليكِ: (آدم هدّدني بالقتل.. ساعدوني!).

أخذت زوجته تبكي وترجو الرجل أن يتركها، ولكنه وضع السكين على عنقها وقال:

ـ إن لم تكتبي ذلك، سأقتلك بنفسي.

أطاعته مضطرة، وبعد أن انتهت ووضعت القلم جانباً، سدد إليها

الرجل عدة طعنات حتى سقطت على الأرض وسط بركة من الدماء، ثم طعنها في بطنها وترك السكين مغروسة في جسدها بعد أن تأكّد من أنها فارقت الحياة. فمسح جميع بصماته، ثم خرج من المنزل وترك زوجة آدم تسبح في دمائها. لم يستطع آدم تصديق ما يراه أمامه، فدخل إلى الغرفة حيث كانت جثة زوجته ملقاة على الأرض وقد لفظت أنفاسها الأخيرة، فوضع يده على مقبض السكين لينقذها، ولكن فجأة سمع صوت الباب يُفتح، ثم سمع نفسه ينادي زوجته، فأسرع إلى الاختباء قبل أن يواجه نفسه...

***

منزل الخالة من جديد

صعد الوفد الياباني إلى سيارة جاك، الذي ظل ينظر إلى جينتشي عبر المرآة العاكسة طوال الطريق. وقد لاحظ جينتشي ذلك، لكنه لم يُعلّق بل ظلّ صامتاً. وبعد انتهاء الاجتماع أخذهم إلى أحد المتاحف المشهورة، وعرفهم على بعض معالم المنطقة. فقال له جينتشي:

ـ شكراً لكَ، لقد كانت رحلة جميلة، يبدو أنكَ تعرف أماكن رائعة لم أزرها من قبل!

ـ لا شكر على واجب يا سيدي، وغداً أيضاً سآخذكم إلى منطقة أخرى ستعجبكم أكثر.

أراد جينتشي أن يتحدّث إلى جاك، ولكنّ وصول كارن جعله ينسى ما كان يريد قوله، وأخذ يحدّق إليها وقد علَت وجهه ابتسامة إعجاب. أما كارن فعندما رأته فتحت عينيها على اتساعهما غير مصدقة لما تراه!، وأرادت أن تقترب منه، ولكنّ جاك أمسك بذراعها وقال لجينتشي:

ـ هذه أختي كارن، إنها تعمل هنا في المتحف.

التفتت إلى أخيها الذي كان يكذب، ولكنها لم تُعلّق، بل ابتسمت لهم بلطف وقالت:

ـ أهلاً بكم، أتمنى أن تكون الرحلة قد أعجبتكم. ما رأيكَ يا جاك أن ندعو ضيوفكَ إلى تناول العشاء في أفخم المطاعم اليابانية هنا؟

قاطعتها السيدة التي كانت برفقة الوفد:

ـ أوه.. أنا أعتذر يا عزيزتي، يجب أن أعود إلى الفندق، فما زلت متعبة من رحلة الطيران وتغيير التوقيت الزمني. تستطيع الذهاب برفقتهم سيد جينتشي إن كنتَ تريد ذلك.

كان ينظر إلى وجه كارن من دون أن ترفّ عيناه، وكأنّه منوم مغناطيسياً، فلمست السيدة كتفه وقالت وهي تنظر إلى وجهه وإلى ابتسامته:

ـ جينتشي، ما بكَ؟ لماذا تبدو شاردَ الذهن؟!

شعر بالخجل، وقال بارتباك:

ـ أنا أعتذر، كنتُ شارد الذهن قليلاً، حسناً سأذهب مع الآنسة كارن وأخيها إلى المطعم، وتستطيعون أنتم العودة إلى الفندق.

ذهب برفقة كارن وجاك متجهين إلى أحد المطاعم. وبينما كان جاك يتحدّث إليه، كانت كارن تفكّر كيف ستخبره عن سيف الساموراي وعن هونجو، فقاطعت حديثهما وقالت:

ـ أعرف أن الشعب الياباني محبٌ للفنون القتالية كالساموراي، أليس كذلك؟

التفتَ إليها جاك وقد لاحظت نظراته المُحذّرة، لكنّها لم تهتم، وأكملت حديثها مع جينتشي:

ـ هل أنتَ مُلمّ بهذه الفنون سيد جينتشي؟

ـ بالطبع فأنا أنحدر من سلالة كانت من مقاتلي الساموراي، ولدينا الكثير من القصص والآثار عن هذا الفن.

ازداد خفقان قلب كارن، وهي تقول:

ـ هل تملك سيف ساموراي؟

ضحك بلطف:

ـ بصراحة لديّ واحد، ولكنني لا أميل إلى استخدامه أبداً. فهو معلّق كتحفة فنية في مكتبي. لقد حاول جدي إلحاقي بمدارس الساموراي والفنون القتالية، ولكنّ والدتي رفضت ذلك وفضّلت أن أهتم بالتجارة وبإدارة الأعمال كوالدي.

صمتت لبرهة، ثم قالت:

ـ أنا أيضاً لديّ واحد.

التفت إليها جاك مجدداً، وبسبب دهشته وخوفه من حديث كارن التي تمادت كثيراً، انحرفت السيارة قليلاً حتى كاد أن يخرج عن المسار، فصرخ جينتشي وكارن في نفس الوقت:

ـ انتبه!!

أوقف جاك السيارة وهو يتصبّب عرقاً ويلهث بذعر، ثم التفتَ إليهما، وبعد لحظة صمت أطلقا سوياً ضحكة بصوت عالٍ، بينما بدا جاك مذعوراً، ثم التفتَ جينتشي إلى كارن وقال:

ـ لا أدري لماذا أشعر بأنني أعرفكِ من قبل يا آنسة؟ عندما رأيتُكِ خفق قلبي بشدة، ولا أعلم ما السبب!!

ابتسمت كارن بخجل وقالت:

ـ أنا أيضاً شعرتُ بهذا، ربما التقت روحانا من قبل، هل تعتقد بمثل

هذه الأمور؟

ابتسم بلطف وهو ينظر إلى عينيها وقال:

ـ ربما حدث ذلك، وأتمنى أن أتعرّف عليكِ أكثر.

وأخذا يُحدّقان في بعضهما بعضاً، حتى قاطعهما صوت جاك الذي تنحنح وقال:

ـ أعتقد أننا يجب أن نكمل طريقنا الآن.

اعتدلت كارن في جلستها وقالت:

ـ حسناً، لابد أن السيد جينتشي يشعر بالجوع الآن.

ـ ناديني جينتشي فقط وسأناديكِ بكارن، هل أنتِ موافقة؟

ابتسمث بلطف وهزّت رأسها بالموافقة. وعندما وصلوا إلى المطعم، أُعجِب جينتشي بالطعام وبالسهرة، فأخذوا يتحدثون عن أمور كثيرة ومختلفة، وكم تمنّت كارن أن تخبره عن هونجو، ولكنها خافت من أن يعتقد بأنها مجنونة، فسألته:

ـ كم يوماً ستبقى هنا؟

ـ سأبقى أسبوعاً تقريباً، ولكن ربما أُمدّد إقامتي أكثر، فأنا أحببتُ مدينتكم كثيراً.

ثم ابتسم لها، فقالت كارن بحماس:

ـ إذن، ما رأيكَ في أن آخذكَ إلى مكان خاص؟

نظر إليها جاك بغضب، لكنها قالت:

ـ أريد أن أريكَ شيئاً قد تكون له علاقة بنا نحن الاثنان، ولكن بصفة غير مباشرة.

لم يفهم جينتشي ما تقصده، فأكملت:

ـ لا تقلق هو مجرد شيء أحتفظ به كذكرى من شخص عزيز، وعندما رأيتُكَ تذكرته.

أجابها بدون تفكير:

ـ حسناً أنا موافق، متى نذهب؟

أخذ جاك جينتشي إلى الفندق، وبعد أن ودّعته كارن، قال لها بغضب:

ـ هل أنتِ غبية؟! انسَي الأمر، لن تذهبي إلى أي مكان معه.

سحبت نفساً عميقاً، وقالت بنفاذ صبر:

ـ أعلم أنك متشوّق للعودة إلى ذلك المنزل، وكذلك إيمي وإن كانت أمي تعارض هذه الفكرة، فليس من الضروري أن تعلم شيئاً عن رحلتنا هذه.

أوقف السيارة عند المنزل، وقال قبل أن يدخلا:

ـ أنتِ تلعبين بالنار، أمي ما تزال تعاني من الكوابيس بسبب ما حدث هناك.

ـ لذلك يجب أن نعود إليه، لقد تصرّفت أمي بغباء عندما تخلّصت من كل شيء بطريقة خاطئة، وربما هي بسبب هذا تعاني من تلك الكوابيس التي تلاحقها كل ليلة. هل نسيت ماذا فعلث بآدم

المسكين؟؟ ربما تمّ إعدامه أو عانى الكثير بسبب تصرفها، وهي الآن تشعر بالذنب ربما...

صرخ في وجهها:

ـ ستتسبّبين بكارثة إن أخذتِ ذلك الياباني إلى هناك، حسناً لنذهب نحن، ولكن هو لا.

رفعت حاجبيها بتحدٍ:

ـ بلى سيذهب معي، ربما يكون هو حفيد هونجو، فلقد أخبرني قبل رحيله إلى الماضي أنني سألتقي به يوماً ما.

***

في اليوم التالي، أخبرث كارن أختها إيمي بما تنوي أن تفعله، فقالت إيمي:

ـ مستحيل يا كارن، أنتِ مجنونة! كيف ستأخذين رجلاً غريباً إلى ذلك المنزل؟!!

اعترضث كارن:

ـ جينتشي ليس بغريب، إنه حفيد هونجو.

قاطعها جاك وهو يسخر من حديثها:

ـ لا تتحدثي بغباء! كيف عرفتِ أنه حفيده؟ ربما هو يشبهه فقط. هناك الكثير من الأشخاص الذين يتشابهون في هذا العالم، من دون أن تربطهم أي صلة قرابة مثل: أنزوا فراري وأوزيل لاعب أرسنال مثلاً، فهل هما قريبان؟!

ـ لا أعتقد أن هذه المصادفة التي حصلت معنا كانت بدون سبب، أنتَ تعلم بأنكَ غير مسؤول عن نقل الضيوف إلى الشركة، فلماذا فجأة يُسنِد مديرك هذه المهمة إليكِ أنتَ بالذات؟!، هل تعتقد أنها مجرد صدفة؟، صدّقني.. إنّ لجينتشي علاقة بهونجو، أنا على يقين من ذلك، ولقد شعرتُ بهذا عندما رأيتُه، وأنتَ كذلك شعرتَ بنفس الأمر.

سحبَ جاك نفساً عميقاً وقال باستسلام:

ـ افعلي ما يحلو لكِ، لكن أنا لن أذهب معكِ وكذلك إيمي. وستغضب أمي كثيراً عندما تعلم بما تنوين فعله.

ثم التفتَ إلى إيمي التي قالت بتردد:

ـ لكنني أحتاج إلى الذهاب إلى هناك.

حدّق إليها بدهشة وكارن تبتسم بانتصار، فأكملتْ إيمي وهي تنظر إلى الخاتم:

ـ هذا الخاتم أصبح يضايقني، ويجب أن أتخلّص منه بأي طريقة. إنّ زميلي جوناس وكذلك العديد من الطلبة الذين كانوا يضايقونني أصبحوا يخشون إغضابي فجأة، بل صاروا يحترمون كل ما أقول حتى ولو كان أمراً سخيفاً. البارحة أخبرني جوناس أنه تعرّض إلى كوابيس مرعبة بعد أن سخر مني وتمادى معي، إلى درجة أنه لم يستطع النوم بسبب الخوف، لأن عجوزاً مخيفة كانت تلاحقه وتهدّده بالقتل إن أزعجني مجدداً!

لم يستطع جاك أن يتحمّل حديثهما أكثر، فخرج من غرفة كارن

بدون أن يُعلّق على ما تقولانه، فنظرت كارن إلى إيمي بحماس وقالت:

ـ هل أنتِ مستعدة إلى العودة إلى ذلك المنزل؟

ـ أنا خائفة من حدوث مشكلة يا كارن!

ـ لا تقلقي لن يحدث أي شيء ستكون مجرد زيارة سريعة، ولا حاجة إلى أن نخبر أمي بها.

في اليوم التالي، قررت الأختان الذهاب إلى المنزل رغم معارضة جاك، ولكنه وعدهما بألّا يخبر والدته بأي شيء على ألّا تتأخرا ولا تتصرفا بتهور، فقال محذراً:

ـ لا تذهبا إلى تلك الغرفة أبداً، ولا تقتربا من الكوخ أو من غرفة التحف.

نظرت إيمي إلى كارن، وهمست لها:

ـ أعتقد أنه سيغير رأيه ويأتي معنا، سترين.

هزت كارن كفها غير مبالية.

ـ لا يهمني إن كان سيأتي أم لا، لكنني يجب أن أذهب ولن أتركه يمنعني.

في المساء جلسوا لتناول العشاء مع والدتهم، وأثناء ذلك قالت كارن ببعض التردد:

ـ أمي سنذهب غداً أنا وإيمي في رحلة مع بعض الأصدقاء.

التفتت لورا إلى ابنتيها:

ـ إلى أين؟ ومَن هم هؤلاء الأصحاب؟

ضحكت إيمي:

ـ ما بكِ يا أمي؟ نحن لسنا طفلتين، سنغيب عن المنزل ليلة واحدة فقط.

رفعت لورا حاجبيها بدهشة:

ـ هل ستنامان خارج المنزل؟!، لماذا لا يأتي أصحابكما إلى هنا؟

أجابتها كارن:

ـ لن ننام في منزل أحدهم، بل سنذهب إلى مخيم في رحلة برية. إننا نحتاج إلى أن نرفّه عن أنفسنا قليلاً، هل ستأتي معنا يا جاك؟

التفتت لورا إلى جاك الذي بدا على وجهه الضيق، ولكن عندما نظر إلى والدته ابتسم وقال:

ـ لا أعلم، سأفكر في الأمر.

فقالت له والدته:

ـ اذهب برفقتهما يا عزيزي، قد تحتاجان إلى وجودك معهما.

رفعت إيمي حاجبها، وقالت بسخرية:

ـ نحتاجه!! أنتِ تتعاملين معنا وكأننا ما نزال طفلتين!! ثم إن جاك هو من يحتاج إلى الحماية، لا نحن.

ضحكت كارن وكذلك إيمي، أما جاك فقد أنهى عشاءه ونهض

غاضباً، فقالت لورا محذرة:

ـ لا تقولي ذلك مجدداً عن أخيكِ، صحيح أنه أكثر حذراً ولكنه ليس جباناً.

عارضتها كارن:

ـ بل هو جبان ومتردّد، لقد رأيتِ كيف يتصرف مع صديقته ويبعدها عنه، خوفاً من الدخول في أي علاقة قد تؤذيه. هذا ما يفعله في كل مرة ومع الجميع.. إنه أناني.

فقالت لورا بضيق:

ـ إنه أخوك يا كارن، يجب أن تحترميه وتقدّري مشاعره، فأنتِ لا تعلمين ما بداخله.

ـ أعلم يا أمي ما به، وأعلم أنه لم يستطع نسيان والدي ولم يتخطّ ما حدث لنا. وأعلم أنه يخشى أن يتعرض إلى صدمة جديدة، لهذا يتصرف بحذر مبالغ فيه، معتقداً أن ما يفعله سيحميه. أنا أخته وأحبه، ولا أريد له أن يبقى في الماضي، بل أريد منه أن يتحدى مخاوفه وينظر أمامه.

فعلّقت إيمي قائلة:

ـ لقد سمعته عدة مرات يبكي وحده، ويتحدث إلى أبي متمنياً لو أنه كان موجوداً. أعلم أن الأمر كان صعباً علينا جميعنا، ولكن يجب أن يتخطّى ذلك ويتقرّب من الآخرين.

تركتهما لورا قبل أن تفقد أعصابها وذهبت إلى غرفتها، وأخذت

تفكر بالماضي وبزوجها وما عانته في منزل خالتها، وشعرت بالذنب لأنها عرّضت أولادها إلى كل تلك المواقف خاصةً جاك الذي كان أكثرهم حساسية. أمسكت بصورة أبنائها، وأخذت تحدّق إليهم واحداً تلو الآخر وتخبر نفسها قائلة: (لقد كبروا وأصبحوا يعتمدون على أنفسهم في كل شيء، وأنا أشعر بالخوف عندما أفكر أنني قد أستيقظ يوماً ما وحدي في هذا المنزل، وأجدهم جميعهم قد انشغلوا بحياتهم ونسَوني). لا تعلم لماذا لمحت آدم في خيالها، وربما شعرت بالندم لأنها صدّته ورفضت أن يقترب منها حينها، ولكنها فكرت بما قد يحدث لو أنها لم تُعِده إلى المستقبل وظلا معاً؟

***

في اليوم التالي وافق جاك على الذهاب معهما وقال مستسلماً:

ـ حسناً، سأذهب برفقتكما كي أحميكما.

ضحكت إيمي بتهكم:

ـ أنتَ مَن سيحمينا إذن، حسناً أيها البطل المغوار احمل حقائبنا، ولا تنسَ أن تتصل بذلك الياباني... ما اسمه سوشي؟؟

ردت كارن وهي تحمل حقيبتها:

ـ اسمه جينتشي.

قاطعتهم لورا التي دخلت فجأة، فشعر جاك بالتوتر متمنياً ألّا تكون قد سمعت حوارهم.

ـ أرجوكم، كونوا حذرين، وليتصل أحدكم بي عندما تصلون إلى

المخيم.

ودعتهم وعندما ابتعدوا وضعت يدها على قلبها متمنية أن يكونوا بخير، فهي لم تعتد غيابهم عن المنزل ليلة كاملة.

عندما التقت إيمي بجينتشي لم تستطع أن تتمالك نفسها، فشهقت بقوة وقالت:

ـ يا إلهي.. إنه هونجو!

ابتسم جينتشي بخجل، فشعرت إيمي بالحماقة من تصرفها.

ـ أعتذر، ولكنكَ تشبه شخصاً آخر.

التفتت كارن وقالت لجينتشي:

ـ المكان الذي سنذهب إليه، ستتعرف فيه على قصة هونجو الذي يشبهك كثيراً.

ـ وما هي قصته؟ أتلى هذه الدرجة يشبهني؟

أجابته إيمي وهي تتفحص ملامحه:

ـ بل إنه أنتَ، فلكما نفس الصفات وحتى الصوت، ماعدا طول الشعر. فهونجو شعره طويل يصل إلى كتفه ويجمعه في عقدة، كما أنه يرتدي ملابس مقاتلي الساموراي.

قطب جينتشي حاجبيه، والتفت إلى كارن التي كانت تسمع حديث إيمي، فقالت له:

ـ ما ستراه اليوم سيدهشكَ، هذا إن كنت تعرف الكثير عن تاريخ

الإمبراطورية اليابانية.

ـ بالطبع أعرف الكثير، لقد أخبرتكِ من قبل أنني أنحدر من سلالة الساموراي، وجدي كان دائماً يحدّثني عنهم.

ـ إذن سيسعدكَ وسيبهرك جداً ما ستراه.

سأله جاك:

ـ هل يعلم أي من مرافقيكَ أنكَ في رفقتي يا سيد جينتشي؟

ـ لنترك الرسميات جانباً يا جاك، أما بالنسبة لسؤالك، فلقد أخبرتُ مَن معي في الوفد أنني سأذهب في جولة سريعة وأعود.

فقال جاك وقد شعر بالاطمئنان:

ـ هذا أفضل، فعلى أي حال نحن لن نتأخر كثيراً.

عندما وصلوا إلى مشارف القرية، لاحظوا أن الشوارع خالية تماماً، وبدَت المنازل وكأنها مهجورة، فقالت إيمي وهي تنظر من النافذة:

ـ هل هجر الجميع القرية؟

فقال جاك:

ـ هل نسيتِ كم هم غريبو الأطوار؟ ربما هم مختبئون الآن ويراقبون كل شيء من بعيد.

لم يفهم جينتشي عمّا يتحدثون، لذا فضّل الصمت وأخذ يراقب تلك الشوارع الرملية الضيقة والمنازل المتباعدة، حتى اقتربوا من منزل ضخم أشبه بالقصور ولا يتناسب مع منازل القرية الأخرى،

فأخبرته كارن أنه المكان الذي سيذهبون إليه. فأسرعوا بالنزول من السيارة ووقفوا أمامه بصمت، فشعرت إيمي بانقباض في قلبها والتفتت إلى أختها كارن، والتي بدا على ملامحها التوتر أيضاً.

ـ هل سندخل يا كارن؟

ـ لقد وصلنا، ولا مجال للتراجع الآن.

فتحت كارن الباب، فشعر جينتشي بقشعريرة غريبة تسري في جسده وقال:

ـ المكان خانق، هل كنتم تعيشون هنا؟

لم يجبه أي أحد منهم، فجميعهم كانوا في حالة توتر وذهول، وأخذوا يتلفتون حولهم فأكمل حديثه وهو يهمس:

ـ أعتقد أنه يجب أن نخرج، هل هذا منزل مسكون؟!

أجابته كارن وهي ما تزال تتلفت حولها بدهشة وتتذكر الماضي:

ـ كلا، إنه منزل خالتنا، وكنا نعيش هنا لفترة من الزمن، ولكننا هجرناه منذ أكثر من ثلاث سنوات تقريباً، ولا نعلم ما الذي حدث خلال هذه المدة.

قال جينتشي وهو ينظر إلى الزخارف الغريبة التي علّت الجدران، وإلى الهندسة المعمارية الرائعة للمنزل رغم أنه قديم:

ـ إنه منزل غريب!، فمن الخارج يبدو متهالكاً، ومن الداخل يبدو كتحفة معمارية وأثرية رائعة. أعتقد أنّ لهذا المنزل تاريخاً حافلاً وهاماً.

أجابته إيمي:

ـ بل إنه كذلك فعلاً، وسترى بنفسك.

تقدمتهم كارن إلى الطابق العلوي من دون أن تلتفت إليهم، فتبعتها إيمي وجينتشي، أما جاك فقد ظل واقفاً أمام المدخل متردداً في الدخول أو البقاء في مكانه، وقد أمسك بمقبض الباب وهو يفكر في الماضي وفي مغامرته الصغيرة مع ذلك القزم.

عندما وصلوا إلى الغرفة التي تحوي الباب الخشبي، وقفت كارن أمام الباب وأمسكت بالمقبض ثم التفتت إلى أختها وقالت:

ـ أنا سأدخل، ولن أجبركِ على الدخول إلى الغرفة معي.

أجابتها إيمي:

ـ يجب أن أرى ذلك الباب مجدداً، سأدخل معكم.

شعرت كارن بإحساس غريب عندما أدارت المقبض وفتحته، ثم أخذت تنظر إلى الباب الخشبي الذي ما يزال في مكانه لم يتغير، وتذكرت كل ما حدث لهم في السابق. أما جينتشي فقال منبهراً بالغرفة وبالباب الخشبي:

ـ يا لها من تحفة رائعة! لقد رأيت هذا الباب في مكان ما، ولكنني لا أذكر أين. قالت له كارن وهي تبحث في الأدراج:

ـ في قصر الإمبراطور المهجور؟

ـ أي قصر تقصدين؟

ثم رفعت أمام وجهه سيف الساموراي الذي أعطاها إياه هونجو،

فحدق جينتشي إليه بدهشة:

ـ من أين حصلتِ على سيف اكياما المفقود؟!! هل هو حقيقي أم مزيف؟

ـ إنه سيف هونجو المقاتل الذي يشبهكَ تماماً.

ثم أخرجت من نفس الدرج الصورة التي التقطتها هي وهونجو، ووضعتها في يده، فأخذ ينظر إليها بعينين ذاهلتين وفم مفتوح من شدة الدهشة:

ـ هل هذا أنا؟! ولكن كيف التقطتِ صورة معي وأنا لم أرَكِ من قبل، ولا أعرفكِ؟ ولماذا أرتدي هذه الملابس الغريبة؟! أنا لا أتذكر أنني...!!

أشارت إليه كارن قائلة:

ـ إنه هونجو مقاتل ساموراي، كان يعيش في القرن الرابع عشر. لقد التقطنا هذه الصورة سوياً عندما ذهبتُ إلى الماضي.

ضحك بسخرية وهو ينظر إلى الصورة:

ـ هل أنتِ مجنونة؟! ما الذي تحاولين إخباري به؟

أخذت كارن الصورة من يده ونظرت إليها، ثم إلى وجه جينتشي وقالت:

ـ ألم تخبرني أنكَ تشعر بأننا التقينا من قبل؟! السبب هو هونجو، ربما يكون هو أحد أجدادكَ. فلقد أعطيته نفس هذه الصورة، ولا أعلم ما الذي حدث له عندما انتقل إلى الماضي!

ـ انتقل! كيف ينتقل إلى القرن الرابع عشر، ثم يأتي ليلتقط صورة

معكِ؟!

حدّقت كارن إلى الباب الخشبي وهي تبتسم، فالتفت إليه، لكنه لم يتكلم، فقالت له:

ـ أنتَ تعتقد أنني مجنونة، أليس كذلك؟ حسناً إن كنتُ أنا كذلك، فأخبرني كيف وصل هذا السيف إلى يدي؟ ومَن هو هذا الرجل الذي يشبهكَ تماماً؟

مطّ شفتيه بلا مبالاة:

ـ ربما هو سيف مقلّد، فالأسواق مليئة بالأشياء المقلدة.

لم تهتم كارن لما قاله، ولكنها أخذته إلى الكوخ حيث الصندوق، ووقف أمامه مندهشاً فقالت:

ـ مِن هنا ندخل إلى العوالم الأخرى، ومن الباب الخشبي في تلك الغرفة نعود مجدداً. نحن لا نعرف لماذا يحدث ذلك، ولكنّ هذا ما حدث لنا عندما كنا نقيم في هذا المنزل.

ـ أنتِ حتماً تهذين يا عزيزتي، وما تقولينه أشبه بما يحدث في الأفلام الخيالية.

وبينما هما يتحدثان فجأة، سمعا جاك يصرخ بصوت عالٍ، فأسرعا نحو باب الكوخ للخروج ولمعرفة ما حدث له، ولكنّ الباب كان مقفلاً من الخارج فُحبِسا في الكوخ. أمّا إيمي والتي كانت ما تزال في الغرفة، فعندما سمعت صراخ جاك أسرعت نحو الطابق السفلي لتعرف لماذا يصرخ، لكنها لم ترَ أحداً!، فأخذت تناديه وتبحث عنه، ولكنه لم يجبها، فازداد توترها وخرجت من المنزل بحثاً عنه، ولكن

الباب الخارجي كان مقفلاً فبقيت محبوسة في المنزل.

ظلت كارن تنظر إلى الصندوق وفي عقلها تدور فكرة خطيرة، بينما جينتشي يسألها بتوتر وهو يحاول أن يفتح الباب بلا فائدة:

ـ كيف سنخرج من هنا؟

التفتت إليه وقالت، وهي تشير إلى الصندوق:

ـ سنخرج إذا دخلنا إلى الصندوق، ما رأيك؟

ـ ما الذي تقولينه؟! لو كنت أعلم أنكم مجانين لما أتيت برفقتكم، هل أنتم عصابة أو مجرمون من نوع ما؟

أعطته السيف، وقالت وهي تسحبه من يده وتبتسم:

ـ أعِدُكَ بأننا سنعود، ولن يحدث لنا أي مكروه. ستكون تجربة غريبة وسترى أحد أسلافكَ القدماء، وبعدها أخبرني إن كنت مجنونة أم لا.

وضعت يدها على الصندوق الذي فُتح على مصراعيه، وأخذ النور الأزرق يسطع أمامهما، مما أربكَ جينتشي فتراجع إلى الخلف:

ـ ما الذي يحدث؟

ولكن كارن أمسكت به وسحبته معها إلى داخل الصندوق، الذي أغلقت دفتاه خلفهما بينما أخذ جينتشي يصرخ كالمجنون.

***

كانت لورا تشعر بالقلق وبالتوتر بسبب عدم اتصال أبنائها بها، خاصة بعد أن مرّت أكثر من ست ساعات منذ أن خرجوا من المنزل، كما أنها حاولت الاتصال بهم ولكن هواتفهم كانت خارج التغطية.

ولم تكن تعرف كيف ينبغي عليها أن تتصرف، وقد أنبأها حدسها أن هناك شيئاً ما قد حدث لهم، مما جعلها تتوتر أكثر. فذهبت إلى غرفة كارن وأخذت تبحث عن أرقام هواتف أصحابها، ولكنها لم تجد شيئاً. فجلست بيأس على السرير وهي تفكر كيف بإمكانها أن تصل إليهم لتطمئن عليهم، فقررت أن تذهب إلى منزل صديق إيمي جوناس خاصة وأن منزله كان قريباً من منزلهم، لعله يعلم إلى أين ذهبوا، وعندما قابلت جوناس وسألته أجابها بدهشة:

ـ في الحقيقة يا سيدتي، لم تخبرني إيمي أنها ستذهب في رحلة!!

شعرت لورا بالحيرة أكثر، فجوناس صديق إيمي المقرب، وإن لم يكن برفقتها أو يعلم بأمر رحلتها، فإلى أين ذهبت؟ ومَن معهم يا ترى في تلك الرحلة؟! حاول جوناس الاتصال بإيمي ولكن بلا فائدة، فهاتفها كان خارج التغطية، فقال لأمها:

ـ ربما ذهبت برفقة أصحاب آخرين، رغم أنني أعرف جميع أصدقائها المقربين منها، لكن لا تقلقي يا سيدتي.. ربما غلبهم التعب فنسوا الاتصال بكِ، لذا انتظري إلى الغد، وإن لم يتصلوا بكِ سأتواصل مع باقي الأصدقاء، لعل أحدهم لديه خبر ما عن رحلتهم.

قررت لورا العودة إلى المنزل والانتظار لعلهم يتصلون، وقالت لجوناس:

ـ أرجوكَ إذا علمت شيئاً عنها، أو قامت بالاتصال بكَ فأخبرني.

***

كان جاك يشعر بالخوف وهو يبحث عن أختيه في أنحاء المنزل

حتى وصل إلى الغرفة التي تحوي الباب الخشبي، فوقف أمامه وابتلع ريقه بتوتر، ثم وضع يده على مقبض الباب وأداره ببطء وقلبه يكاد يقفز من شدة الخوف. وأمام الباب الخشبي وقف جاك ينظر إليه والرعب يدب في قلبه وفجأة شاهد البوابة تتوهج وتُفتح على مصراعيها، ومن بين النور الأزرق المتوهج خرجت امرأة ذات شعر أسود تلبس ملابس سوداء تغطي كامل جسدها، وأخذت تنظر بتعالٍ إلى وجه جاك المرتعب وهي تبتسم بمكر، فاقتربت منه وقالت:

ـ لماذا عُدتَ؟ هل والدتكَ معكَ؟

ثم التفتَ جاك إلى الرجل الذي كان يمشي مطأطئ الرأس، مقيّد اليدين خلف المرأة، وهتف صارخاً:

ـ آدم!!

ضحكت السيدة بصوت عالٍ وقالت:

ـ يبدو أنكَ لا تعلم مَن أنا يا فتى.

هزّ جاك رأسه بالنفي، فوقفت أمامه مباشرة، ورغم أن جاك كان طويلَ القامة، إلّا أنه شعر بأنه طفل صغير أمام هيبتها وطول قامتها.

ـ أنا خالتك.. لورين.

لم تكن لورين كما تخيّلها أبداً، فقد كان يعتقد بأنها عجوز قبيحة المنظر مُجعّدة البشرة ومنحنية الظهر، ولكنّ ما رآه كان مختلفاً تماماً، فهي تبدو شابة مقارنة بعمرها، وبرغم حدة ملامحها وتلك التجاعيد الصغيرة حول فمها وعينيها، إلّا أنها كانت جميلة وتشبه والدته تقريباً، ففتح جاك عينيه بدهشة ثم قال:

ـ لكنّ أمي أخبرتنا أنكِ متوفية، وأنها ورثت هذا المنزل منكِ.

توقفت عن الضحك، ونظرت إليه نظرة مرعبة:

ـ والدتكَ وجدّتكَ ناكرتان للجميل، أعطيتُها منزلي كي تسكن فيه وهي دمرّته، وكان آدم المسكين أحد المتضررين، والذي بسبب أنانيتها كاد أن يُعدَم لولا مساعدتي له.

التفتَ جاك إلى آدم الذي كان مسلوب الإرادة والحزن يكسو وجهه، فشعر جاك بالشفقة عليه وهو يراه بهذا الحال رغم قوته وجسده الضخم، لكنه لم يستطع أن يتكلم. فقالت لورين:

ـ أجبني.. لماذا عُدت إلى المنزل؟ هل والدتكَ هنا أيضاً؟

ـ أمي لا تعلم بوجودنا هنا.

قاطعته، وقد اقتربت منه أكثر:

ـ ما سبب وجودكَ هنا؟ هل أختاك هنا أيضاً؟ وأين هما؟

أسرعت لورين إلى الطابق السفلي، فلحق جاك وآدم بها، فوجدوا إيمي تبكي وحدها، وعندما رأتهم أسرعت نحو أخيها، ثم التفتت إلى لورين وسألت جاك همساً:

ـ مَن هذه السيدة الغريبة؟

أخبرها جاك من تكون، فشعرت إيمي بالدهشة خاصة عندما شاهدت آدم يمشي خلفها بصمت، ولكنها سرعان ما قالت:

ـ أختي محبوسة في الكوخ، حاولتُ أن أفتح الباب ولكنني لم

أستطع الخروج من المنزل.

تنهّدت لورين بضيق:

ـ أنتم مجانين حقاً، فبعد خروجكم من منزلي قمث بتحصينه بأشرس وبأقوى الحراس، فلا أحد يستطيع الدخول إليه إلّا أنا. ولا أعلم كيف استطعتم الدخول، واجتياز الخدام الحارسين!

ثم التفتت إلى آدم، وقالت له بحزم:

ـ اذهب إلى الكوخ، وانظر ماذا حدث لكارن.

أسرع آدم إلى تنفيذ أوامرها من دون أي اعتراض وكأنه رجل آلي، مما جعل إيمي تشعر بالحزن من أجله، فقد تغيّر ونُحل جسده، ولا يبدو كما عرفته من قبل. وبعد برهة عاد ليقول:

ـ سيدتي، كارن دخلت إلى الصندوق برفقة شاب غريب، لا أعرف مَن يكون.

سحبت لورين نفساً عميقاً، وقد بدَت غاضبة جداً، وقالت:

ـ كم هي غبية! جاءت بشاب غريب إلى منزلي بكل وقاحة، وأخذته لتتباهى وتريه أسراري.

قاطعتها إيمي بغضب:

ـ لا تنسَي أن المنزل لوالدتنا، لم يعد منزلكِ ولا أسمح لكِ أن تقولي عن أختي بأنها غبية.

رفعت لورين حاجبها مندهشة من جرأة إيمي وصفّقت لها، ثم ضحكت بسخرية:

ـ كم أنتِ قوية يا إيمي حتى تردي بهذه الطريقة! كنتُ أعتقد أنكِ الحلقة الأضعف بين الأخوة. وبصراحة تمنيتُ أن أتخلّص منكِ وأن تبقي عند مشعوذة الصحراء إلى الأبد، ولكن مع الأسف لم تستطع تلك البلهاء أن تقنعكِ.

ازداد غضب إيمي، ولكنّ جاك أمسك بذراعها وقال:

ـ حسناً هذا غير هام الآن، يجب أن ننقذ كارن ونعيدها.

جلست لورين على كرسي ضخم توسّط غرفة المعيشة، ووقف آدم قربها كالخادم المطيع، وقالت:

ـ لا نستطيع سوى الانتظار، فأختكِ دخلت الصندوق بإرادتها، وستعود بإرادتها كذلك.

اعترضت إيمي:

ـ لكن ماذا لو حدث لها أي مكروه؟

فقال جاك لأخته:

ـ لا تقلقي، فهي ستذهب لرؤية هونجو كما قالت.

ابتسمتْ لورين بسخرية:

ـ ومن قال لكَ بأن الصندوق سيعيدها إلى ذلك العصر لرؤية حبيبها؟ لا تنسَ اختلاف الزمن.. كما أنها دخلت برفقة شخص آخر لا نعلم ما يفكر فيه وما هي أمنياته أو مخاوفه.

شعرت إيمي بالحيرة:

ـ ما علاقة ذلك بالأمر؟ ألا يأخذنا الصندوق إلى حيث نريد وفق ما نفكر فيه؟

سحبت لورين نفساً عميقاً وهي تجلس بتململ:

ـ ولكنّ عقل كارن وما تفكر فيه يختلف عن ذلك الشاب، فلكِ أن تتخيلي ما الذي سيحدث؟! وإلى أين سيأخذهما الصندوق؟!

ثم أخذت تضحك، وقالت بطريقة درامية مرعبة:

ـ ربما يأخذهما إلى الجحيم.

***

أشباح الغابة

تلاشى الوميض الأزرق لتفتح كارن عينيها وهي تتلفّت يميناً وشمالاً بحثاً عن جينتشي، فقد وجدت نفسها وسط غابة كثيفة الأشجار، فشعرت بالحيرة. لكنها شاهدت جينتشي يقترب منها وعلى وجهه ابتسامة.

ـ يبدو أننا في اليابان وفي نفس الزمن الحالي، هل ذلك الصندوق آلة زمن أم أنه مجرد نوع من السحر والهلوسة؟! كيف حدث ذلك لنا؟

لم تهتم كارن لحالة الدهشة التي كان جينتشي يتحدث عنها، لكنها سألته:

ـ كيف عرفتَ أننا في نفس الزمن؟ وأين نحن؟

أخذ يفكر لثوانٍ، ثم قال:

ـ نحن في غابة أوكيجهارا، إنها من أشهر المعالم السياحية في اليابان. ولكنّ ما يحيرني هو عدم وجود الإرشادات أو السياح!، أنا أتذكر هذا الجزء من الغابة جيداً.

شعرت كارن بالتوتر، فهي وسط غابة ولا تعرف ما السبيل إلى الخروج منها، وتتساءل لماذا أخذها الصندوق إلى هذا المكان، رغم أنها كانت تفكر بهونجو؟!

ـ كيف سنخرج من هنا إذا لم نجد أي إرشادات أو موظفين؟

بحث عن هاتفه في جيبه، وعندما وجده رفعه أمامها بابتسامة انتصار وقال:

ـ سأتصل بأحد موظفي السياحة هنا، وسيقوم بإرشادنا إلى طريق الخروج. ولن أنسى أن أرفع قضية على الشركة السياحية لأن هذا الجزء مجهول من الغابة، ولا يوجد أي موظفين أو وسائل إرشاد. ماذا لو دخل أحد السياح إلى هنا بدون هاتف، كيف سيخرج إذاً؟!

أجرى اتصاله وأخبر الموظف عن عدم وجود أي إرشادات، فقال الموظف:

ـ سيدي هذا مستحيل!، فنحن نضع الإرشادات في كل مكان، ولدينا مجموعة من الموظفين منتشرين في المنطقة المفتوحة. هل أنتَ متأكد من أنكم في نفس المنطقة؟

أجابه جينتشي بغضب:

ـ هل تعتقد أنني غبي؟ طبعاً أنا في نفس الغابة، هذه ليست أول زيارة لي إلى هنا.

صمت الموظف لبرهة، ثم قال:

ـ حسناً، لا تغضب يا سيدي. كل ما عليكَ فعله هو أن تقوم بإرسال موقعكَ الحالي إلى هذا الرقم، وسنرسل لكم مرشداً سياحياً يخرجكم من هناك في أسرع وقت ممكن.

فعل جينتشي ما طلبه الموظف، وجلس هو وكارن ينتظران، وهما ينظران حولهما إلى كل تلك الأشجار المتشابكة والتي تغطي نور الشمس، فسحبت كارن نفساً عميقاً وقالت:

ـ أشعر بأن الجو خانق هنا، رغم أننا وسط الغابة.

ابتسم جينتشي وقال:

ـ ألا تعرفين ما هي غابة أوكيجهارا؟!

هزت رأسها نفياً:

ـ أنا لستُ من النوع المطلع على الجغرافيا ومثل هذه الأمور، هذا تخصص أختي إيمي وما تقوم بدراسته.

ازدادت ضحكاته، ثم قال:

ـ أوكيجهارا لها سمعة سيئة وليست غابة عادية، ولكنها الآن تحوّلت إلى مزار سياحي. هل تريدين أن أحكي لكِ قصتها أثناء انتظارنا؟

حدقت إليه بقلق، ثم قالت:

ـ حسناً.. أخبرني ولكن أرجو ألّا تكون مخيفة، فيكفي ما أشعر به الآن. كنتُ أعتقد أنني سأعود إلى الماضي كي أرى هونجو وأجعلكَ تتعرف على أسلافكَ، ولكن لا أدري كيف وصلنا إلى هنا ولماذا؟!

ـ عموماً إنها مجرد أسطورة وليست حقيقة، رغم أن كثيرين من اليابانيين يعتقدون بأنها حقيقية. فقد اشتهرت هذه الغابة منذ القرن السادس عشر، حيث قيل إنّه بعد انفجار جبل فوجي الذي دمّر القرى والمنازل المحيطة بالمنطقة وهجرها الناس، بقيت هذه الغابة مهجورة لسنين طويلة جداً، وكان كل من يمر حولها يخيّل إليه أنه يسمع صراخ الأشخاص الذين ماتوا في تلك القرى، ويرى خيالاتهم وأرواحهم المعذبة. وبعد مدة قرر مجموعة من الرحالة استكشاف الغابة، للتأكد من خلوها من البشر ولمعرفة سبب الصراخ الذي

يسمعونه.

شعرت كارن بالتوتر وأخذت تتلفت حولها، مما أضحك جينتشي، الذي قال وهو يربت على كتفها ويقترب منها أكثر:

ـ لا تقلقي إنها مجرد أسطورة وقصص للتسلية فقط، دعيني أكمل ولنَتسلّ بالحديث بدل الصمت، حتى وصول المرشد السياحي.

وافقت كارن فأكمل حديثه:

ـ دخل فريق الاستكشاف إلى الغابة وظل الناس ينتظرون عودته، ولكنّ أحداً منهم لم يعدا وبعد مرور أكثر من شهر، قرر فريق آخر الدخول إلى الغابة لمعرفة مصير الرحالة وما الذي حدث لهم، وباختصار لم يعد سوى شخص واحد، وكان في حالة سيئة جداً، فقد كان يتحدث ويهذي كالمجانين عن أمور غير منطقية، ويتصرف بطريقة غريبة حتى فقدَ عقله. وقيل إن بعض الأشخاص شاهدوه وهو يجري نحو الغابة ويدخل إليها، ولا أحد يعلم ما الذي حدث له! فقد اختفى الرجل ولم يعد.

أمسكت كارن بذراع جينتشي، وقالت له:

ـ توقفْ أرجوكَ، أنا لا أحبّ سماع هذا النوع من القصص.

ابتسم لها بلطف، وقرّر أن يصمت محترماً رغبتها، لكنّه أردف قائلاً:

ـ أخبريني عن نفسكِ يا كارن.

تغيّرت ملامحها، فبدا عليها الهدوء، ثم ابتسمت:

ـ ليس هناك شيء هام، أنا مجرد موظفة بسيطة أعمل في مجال

التمريض، ماذا عنكَ؟

ـ أنا أعمل في مجال التجارة والأعمال الحرة، حيث ترك لي والدي شركة كبيرة تعمل في مجال التنقيب عن المعادن، وبعض الأملاك والعقارات في مختلف دول العالم.

ـ لكنكَ لا تبدو كبيراً في السن.. كم عمركَ؟

ـ أنا في الواحد والثلاثين من عمري، ولكنّ أبي توفيَ في سن مبكرة، فاضطررتُ إلى أن أشغل منصبه، وأن أعمل في الشركة بالإضافة إلى إكمال دراستي الجامعية.

قالت بإعجاب:

ـ إذن، أنتَ شخص مكافح، وتعمل طوال الوقت من دون أن تفكّر بقضاء وقت ممتع.

ابتسم ببعض الخجل، ثم قال:

ـ لا تنبهري كثيراً بي، بل أنا أحب اللهو أحياناً، وأسافر كثيراً ولا أنسى أن أستمتع بوقتي حتى لو كان سفري لدواعي العمل، ووجودي معكِ هنا أكبر دليل على ذلك.

حدّق جينتشي في عيني كارن بطريقة جعلتها تشعر بالخجل، ثم اقترب ليطبع قبلة على شفتيها، ولكنّ صوت طائر مزعج قد أجفلها، فقالت وقد احمرّ وجهها:

ـ لقد تأخّروا كثيراً.. لقد بدأتُ أشعر بالقلق.

ـ لا تقلقي، أنا معكِ هنا، والمكان آمن رغم تلك الأسطورة.

***

كانت إيمي تراقب آدم بصمت، وكان هو كذلك ينظر إليها بين الحين والآخر وتعابير وجهه مفعمة بالضيق وبالغضب، وعندما لاحظت أن خالتها قد غلبها النعاس على كرسيها الضخم قالت بهمس:

ـ ما بكَ يا آدم؟ لماذا لا تُخرجنا من هنا؟

ابتسم بسخرية:

ـ لا أستطيع مساعدتكِ.. لا أنتِ ولا إخوتكِ، والدتكِ هي السبب، وأعدكِ عندما أراها بأنني سأدمرها كما دمّرتني، وسأنتقم منها.

ـ أمي كانت تريد أن تنهي المشاكل التي علقت بها بسبب خالتها الأنانية.

ـ أنا لم أكن مشكلتها، وليس من حقها أن تقرر مصيري. ولولا خالتكِ لكنتُ ميتاً الآن من دون أن أثأر لنفسي، فلقد تعرضتُ إلى الظلم بسببها.

قررت إيمي أن تصمت، فما يقوله صحيح، إذ لم يكن من حق والدتها التدخل في مصيره. فأكمل آدم حديثه وهو يشعر بالحنق:

ـ والدتكِ أعادتني إلى نفس الزمن ولكن في مكان آخر، جعلتني اكتشف أمراً ليتني لم أعرفه، بالإضافة إلى أنني لم أستطع الدفاع عن نفسي.

قاطعت لورين حديثهما قائلة لآدم:

ـ أخبرتُكَ من قبل.. لن تمسّ ابنة أختي بسوء. إنْ أردتَ محاسبتها، فأنا من ستفعل وليس أنتَ أيها الوضيع.

ثم نهضت عن كرسيها، وقالت لهما:

ـ لقد تأخرتُ أختكِ كثيراً، يبدو أنها وضعت نفسها في مأزق ما مع ذلك الغريب. إنها جريئة على العكس من أخيك الجبان.

قالت إيمي بغضب:

ـ هذا يكفي! أنا لن أسمح لكِ بإهانة إخوتي، جاك ليس جباناً.

نظرت إليها لورين بسخرية:

ـ بل هو جبان، وأنتِ استغلالية ووقحة، ولكنكِ قوية الشخصية بعكس تَوءمكِ. أنتما تذكرانني بنفسي وبجدتكما الخبيثة.

ـ محال أن أكون مثلكِ، أنا لستُ أنانية وشريرة.

صمتت لورين لبرهة، ثم قالت بشكل جدي:

ـ ماذا عن الخاتم الذي استخدمتِه عدة مرات لتحقيق مآربكِ؟، هل أذكّرك بذلك؟؟

شعرت إيمي بالخجل وهي تنظر إلى الخاتم، ولكنها أجابت:

ـ لم أكن أعرف أن ما يحدث لي هو بفعل تأثير الخاتم، كنتُ أعتقد...

ولم تستطع أن تكمل جملتها، فأكملت لورين بسخرية وهي تضحك بصوت عالٍ:

ـ كنتِ تعتقدين أنكِ أصبحتِ محبوبة وهامّة فجأة وبدون سبب. أي مغفل يعتقد أنّ ما تقولينه صحيح؟!، لقد عرفتِ في قرارة نفسكِ أن الخاتم له تأثير غريب، ولكنكِ أنكرتِ ذلك واستمتعتِ بمميزات لا تستحقينها. تلك المشعوذة الغبية كان يجب ألّا تعطيكِ هذا الخاتم إلّا بعد عقد النذور، لكنني كما يبدو وثقتُ بمجموعة من الحمقى.

خلعت إيمي الخاتم وألقَت به أمام خالتها، ثم قالت:

ـ ومَن قال لكِ أنني أريد أن أضعه؟! كلما تخلّصتُ منه عاد إلى يدي مجدداً!

وقفز الخاتم أمام لورين وعاد إلى يد إيمي التي أخذت تشتم بغضب، ولكنّ لورين كانت تضحك بتشفٍ:

ـ إذن، إنّ تلك المشعوذة الخبيثة قد عقدت النذر من دون علمكِ، يا لها من ذكية! أنتِ الآن تلميذة لها، وهي تنتظر بفارغ الصبر عودتكِ وخضوعكِ التام، وبعدها ستكونين جاهزة للمنصب الذي تستحقينه، فعلى ما يبدو أن والدتك الأنانية لا تنفع لذلك المنصب. أما أختكِ كارن فقد عشقتْ ذلك الغريب، ولا أعتقد أنها ستعود. وتوءمكِ جاك شاب ضعيف، لا ينفع لأن يكون خليفتي.

ـ لماذا تقولين ذلك عن عائلتي؟ أخي ليس جباناً، بل هو لطيف ومحترم. كل ما في الأمر أن رحيل والدي جعله حذراً ويخشى التعلق، خوفاً من أن يفقده مرة أخرى. وكارن ستعود، فلن تتخلى عنّا من أجل رجل غريب.

ابتسمت لورين، وهي تقترب من إيمي وتقف أمامها:

ـ جاك المسكين، ألم تتساءلي لماذا هو الوحيد الذي لم يتعرض إلى سوء؟ لماذا ذهب إلى عالم خيالي وطفولي، بدلاً من أن يذهب إلى مكان يختبر فيه قوته، كما حدث لكِ أنت وكارن؟، لم أشأ أن أؤذيه، لأنني أعرف شخصيته الضعيفة ومخاوفه. إنه مثل أبيه تماماً والذي استسلم بكل بساطة عندما قامت الشركة بطرده من وظيفته، ولم يدافع عن نفسه وهو يعلم أنه بريء.

لم تتحمل إيمي أن تسمع ذلك أكثر، خاصةً وأن لورين تبدو وكأنها تعرف الكثير عن عائلتها، لذا ابتعدت عنها وجلست وحيدة قرب إحدى الزوايا، متجاهلة حديث خالتها التي كانت تسخر منها ومن أفراد عائلتها، فقال آدم للورين وهو ينظر من نافذة المنزل:

ـ أنتِ محقة بشأن جاك، لقد هرب وعاد إلى أمه كالأطفال، فسيارتهم ليست موجودة في الخارج.

ضحكت لورين بصوت عالٍ وهي تنظر إلى إيمي، التي كانت تشعر بالضيق وبالغضب. فكيف يتركها أخوها هنا ويعود، من دون أن ينقذها أو يخبرها بما ينوي فعله؟!

***

وسط غابة أوكيجهارا، كانت كارن تشعر بالتوتر وبالقلق خاصةً بعد أن تأخّر المرشد السياحي، ولكن بعد مدة اتصل أحدهم بهاتف جينتشي:

ـ سيدي نحن في الموقع الذي قمتَ بإرساله إلينا، ولكننا لم نجدكما. هل تستطيع أن ترسله مجدداً؟

شعر جينتشي بغضب أكبر، فهذه المرة الثالثة التي يخبره فيها المتصل أنهم عند الموقع، ولكنهم لم يجدوه وصديقته.

ـ أرجوكَ تأكّد جيداً من الموقع، لقد مر وقت طويل على وجودنا هنا.

أجابه الموظف:

ـ سيدي كيف عرفتَ أنكَ في غابة أوكيجهارا؟

تلفّتَ جينتشي حوله، ثم قال:

ـ أخبرتُكَ من قبل بأنّ هذه ليست زيارتي الأولى للغابة، لكنّ الغريب في الأمر أنني وجدتُ جميع الجثث المزيفة وشرائط المنتحرين ومقتنيات الضائعين، لكنني لم أجد أيّ لوحةٍ إرشادية أو دليلٍ سياحي ولا حتى سواح!!

صمتَ الرجل قليلاً، ثم أكمل:

ـ هذا مستحيل! فكل مكان داخل الغابة يحوي إحدى الجثث أو المعالم السياحية توجد فيه إشارة لتنبيه السواح عن موقعهم، فكيف لم تجدها يا سيدي!؟ تأكّد من موقعكَ مجدداً وسنبذل جهدنا لإخراجكما.

أقفل جينتشي الهاتف وسحب نفساً عميقاً، ثم التفتَ إلى كارن التي كانت تبدو شاردة الذهن وهي تنظر إلى إحدى الجثث المعلقة على الأشجار، فوضع يده على كتفها ممّا أفزعها:

ـ متأسف لكنكِ تبدينَ شاردة الذهن، هل هناك شيء؟

أشارت له نحو الجثة:

ـ هل أنتَ متأكد من أن هذه الجثث مزيفة؟

ـ طبعاً، فكيف سيضعون جثثاً حقيقية ويعرضونها أمام الناس؟! إنها فقط لتمثيل الوقائع التي قيل بأنها حدثت هنا.

حدّق هو الآخر بالجثة وأفزعه ما رآه، فتلك الجثة كانت تقطر دماً، وما يزال اللحم الممزق يبدو طرياً وقد تجمّع حولها الذباب. فالتفتَ إلى كارن وهو يشعر بالذهول:

ـ مستحيل!! كيف يقومون بتعليق جثة حقيقية أمام الزوار؟!

عندها قالت كارن وهي تحدّق في وجه جينتشي بخوف:

ـ أعتقد أنّنا في نفس الغابة ولكن في زمن مختلف، سَلْ نفسكَ يا عزيزي: لماذا لم يعثروا علينا؟ ولماذا هذه الجثة الحقيقية هنا؟ وأين السواح واللوحات الإرشادية؟

أخذ جينتشي يتلفّت حوله بذعر وقد تصبّب وجهه عرقاً، فهو يعرف قصة هذه الغابة جيداً، ولكنه يعتقد أنها مجرد خرافة كانت تحكيها الجدات للأطفال لإخافتهم. وأخذ يتذكّر كيف كان يبكي ويستيقظ من نومه فزعاً عندما كان طفلاً، بعد أن تنتابه الكوابيس حول غابة أوكيجهارا. وفجأة سمعا صوت بكاء طفل صغير ممّا أفزع كارن، التي أسرعت والتصقت بجينتشي وهي ترتعد وقلبها يخفق ذعراً، لكنه قال مطمئناً:

ـ ربما هو مجرد طفل تائه.

ـ مستحيل، كيف لطفل أن يأتي إلى هذا المكان وحده؟! نحن هنا منذ أكثر من ساعتين ولم نشاهد أو نسمع أي أحد.

نظر إلى وجهها المرتعب وقال:

ـ حسناً دعينا نتبع الصوت، لعلنا نجد شخصاً هناك أو ربما مخرجاً، اطمئني يا كارن.

قررا أن يتتبعا مصدر الصوت، فحمل جينتشي سيف الساموراي، وسارا بحذر مُتتبعين بكاء الطفل الذي تغيّر فجأة ليسمعا صوت فتاة تغني، فتوقفا والذعر يملأ قلبيهما، خاصة جينتشي الذي تذكّر قصة حكتها له جدته عن فتاة تغني في هذه الغابة بعد أن تركتها عائلتها وتخلّت عنها، فابتلع ريقه وقال:

ـ يجب أن نتوقف..

ـ أرجوكَ أخرجنا من هنا يا جينتشي، إن كنت تعرف الطريق! لم أعد أتحمّل أكثر، فالمكان خانق وقد بدأتُ أشعر بالدوار.

فجأة أصبحت الرؤية صعبة، وانتشر ضباب كثيف غطّى كل شيء حولهما. وكانت كارن تمشي ملتصقة بجينتشي، الذي كان يرتعد خوفاً وهو يسمع غناء الفتاة يقترب منهما.

ـ يجب أن نبتعد... يجب أن نهرب.

ـ إلى أين نذهب؟ ولماذا لا نتبع صوت الغناء؟

أجابها بصوت مخنوق ومهزوز:

ـ إنها كوشيساكي أونا...

ثم أمسك بيدها وأخذا يجريان مبتعدين عن الصوت الذي أصبح يطاردهمان، فلم تتحمّل كارن الجري أكثر، فتوقفت وهي تلهث وترتجف.

ـ توقّف أرجوك! لم أعد قادرة على الجري، مَن هي كوشيساكي أونا تلك؟

دنا منهما صوت الغناء أكثر حتى أصبح قريباً جداً، ثم تلاشى الضباب من حولهما، فاستطاعت كارن أن ترى سيدة تقف أمامهما وقد غطى الشاش الطبي فمها وعنقها، وأخذت تنظر إليهما ببرود. أما جينتشي فقد كان يرتجف ذعراً وهو يمسك بيد كارن، وعيناه مسمرتان على تلك السيدة، فضحكت لهما بطريقة عذبة وقالت بصوت جميل:

ـ هل أنا جميلة؟ أخبرني أيها الشاب ولا تكذب.

حدقا إلى بعضهما بعضاً بتوتر، وأرادت كارن أن تجيب على سؤال الفتاة، إلّا أن جينتشي منعها، وطلب منها التراجع ببطء إلى الخلف من دون أن تتحدث إلى تلك السيدة المريبة، التي أخذت تكرر السؤال عدة مرات، وتقترب منهما كلما تراجعا إلى الخلف. فقالت له كارن همساً:

ـ إلى متى ستظل تلاحقنا؟ لماذا لا نطلب منها المساعدة؟!

ـ هل تعتقدين أنها سيدة طبيعية؟؟ دعينا من الحديث، وافعلي ما أقوله لكِ.

نفّذت كارن ما طلبه منها، رغم أن تلك الفتاة لم تتركهما، بل أخذ

غضبها يزداد عند كل مرة تعيد فيها السؤال وتكرره بصوت حاد:

ـ هل أنا جميلة؟ أخبرني ولا تكذب.

وفي أثناء تراجعهما كانت كارن تتلفت حولها، فلمحت كوخاً صغيراً بالقرب منهما، وأشارت إلى جينتشي نحوه:

ـ سندخل إلى هناك، لعلها تتركنا.

ـ لن تتركنا، يجب أن نخرج من الغابة..

فجأة سمعا صوت هاتفه مجدداً، ممّا أربكهما وأربك السيدة الغريبة التي أخذت تصرخ وتعيد السؤال بوتيرة أسرع، فلم تشعر كارن بنفسها إلّا بعد أن أجابت الفتاة قائلة:

ـ أنتِ لستِ جميلة، اتركينا وشأننا.

عندها أزالت السيدة الشاش الذي يغطي نصف وجهها، ليظهر أمامهما فمها الممزق من الأذن إلى الأذن، وأسنانها الحادة الملطخة بالدماء، وعنقها المفصول حتى بانت عظام ترقوتها، وأخذت تصرخ في وجهيهما بصوت أصمّ آذانهما، فشعرت كارن بالصدمة وصرخت هي الأخرى، وأخذت تجري محاولة الهرب، إلّا أن جينتشي أمسكها ورفع سيف الساموراي أمام السيدة وضربها بقوة، فأخذت تصرخ وتتلوّى كالمجنونة وفرّت هاربة. حدّق جينتشي إلى سيف الساموري وهو يضحك غير مصدق.

ـ لقد تخلّصنا منها أخيراً، إذن هذا هو سيف اكياما الأسطوري حقاً، إنه ليس مزيفاً!

ثم أجاب على الهاتف الذي لم يتوقف، فقال له الموظف:

ـ سيدي، اعذرنا لم نجدكما، ولكننا الآن نقف أمام الكوخ القديم الموجود وسط الغابة، هل تستطيع أن تصل إليه فهو قريب منكما؟

تنهّد جينتشي وهو يلتفت حوله، ثم قال للموظف بيأس:

ـ لا تُتعِبْ نفسكَ، لن تجدنا.

ثم أغلق الهاتف، وقال لكارن مستسلماً:

ـ يبدو أن ما قلتِه صحيح يا عزيزتي، نحن في نفس الغابة ولكن في زمن آخر، فلقد أخبرني المتصل أنهم هنا بالقرب من الكوخ.

بعد أن دخلا إلى الكوخ القديم لاحظا وجود رائحة مقرفة تملأ المكان، فشعرت كارن بالغثيان وكادت أن تتقيأ.

ـ ما هذه الرائحة، وكأنني أقف وسط المجارير.

أخذا يبحثان داخل الكوخ عن وسيلة للعودة عبر الزمن، ولكنهما لم يجدا شيئاً سوى سرير متهالك وغرفة مغلقة خمّنا أنها دورة المياه، بسبب الرائحة القوية التي تصدر منها. اهتز الباب فجأة، وسمعا صوتاً غريباً من داخلها، وكأن أحدهم يمضغ الطعام بصوت عالٍ ومُنفِّر، فاقترب جينتشي من الباب ووضع أذنه عليه ليتأكد، ثم قال:

ـ كأنني أسمع صوت أحدهم هنا، هل تعتقدين أنه صاحب الكوخ؟

ـ هل تعتقد أنني سأعرف؟ هذا موطنكَ وغابتك.

ضحك جينتشي:

ـ وما أدراني أنا؟! هل يجب أن أعرف كل شخص ياباني في هذا العالم؟!

قرر فتح باب دورة المياه بحذر، وعندما فتحه لم يجد أحداً في الداخل، ولكن داست قدم جينتشي على قذارة، فشعر بالاشمئزاز وأخذ يشتم ويسبّ بغضب، ثم سمع صوتاً طفولياً من خلفهما يقول:

ـ لا تقلق، سأساعدك في التخلص منها.

فزعت كارن والتفتت إلى الصوت، فشاهدا أغرب كائن في حياتهما. لقد كان طفلاً صغيراً، وبدا في السابعة من عمره بشعر أشعث طويل وله ذيل يزحف خلفه، أما لون بشرته الأخضر فقد زاد مظهره غرابة. وبالرغم من مظهره إلّا أنه كان يبتسم بلطف ويحرك ذيله بسعادة، ابتلعت كارن ريقها الذي شعرت أنها لم تستطع أن تبتلعه، بسبب شعورها بالغثيان والقرف، وقالت للصبي:

ـ مَن أنتَ؟ هل تعيش هنا؟

ضحك الصبي حتى بانت أسنانه القذرة، وفاحت من فمه رائحة جعلت كارن تتقيأ، وجينتشي يسدّ أنفه، وقد أصبح وجهه أحمرَ:

ـ أنا أكانامي، وأعيش هنا وحدي، ولكن أحياناً أزور المدن والقرى المجاورة..

كانت كارن تشعر بالأسف لحاله، فسألته:

ـ لماذا لا تستحم؟ يبدو أنك لم تفعل ذلك منذ زمن.

أجابها الصبي وقد علَت الدهشة وجهه المتسخ:

ـ لا أستطيع الاستحمام، إن فعلتُ ذلك ستغرق القرى والمدن بالقذارة.

ثم اقترب من حذاء وأخذ يلعق الفضلات التي كانت تعلوه، مما جعل جينتشي يضع يده على فمه من شدة القرف، أما كارن فلم تتحمّل ذلك المنظر، وحاولت الخروج من الكوخ إلّا أن جينتشي منعها قائلاً:

ـ لا تفعلي يا كارن، فهذا الصبي أقل خطورة مما قد نواجهه في تلك الغابة، لا تخرجي، ودعينا نجد حلاً أولاً.

جلسا على السرير وكذلك فعل الصبي، الذي أخذ يحدق إليهما وهو يلتهم قطعة من الفضلات تقطر من يده، فقال له جينتشي:

ـ أخبرني يا فتى، كيف تنتقل إلى القرى والمدن؟

ترك الصبي ما في يده، وطلب منهما أن يلحقا به، ثم دخلا إلى دورة المياه المتسخة، وأشار إلى حوض الاستحمام قائلاً:

ـ كل ما أفعله هو الاستلقاء داخل هذا الحوض، ثم أجد نفسي حيث أريد.

نظرا إلى بعضهما بعضاً، ثم قالت كارن:

ـ أظن أنها طريقة عودتنا، ليس هناك حل آخر، يجب أن أخرج من هنا قبل أن أفقد عقلي بسبب هذه الرائحة.

وعندما همّا بالدخول إلى الحوض، قال الصبي:

ـ لن تذهبا من هنا حتى تنفذا طلبي، وإلّا لن أترككما وشأنكما،

وسأظل ألحق بكما طوال حياتكما.

حدقا ببعضهما بعضاً، ثم قال جينتشي للصبي:

ـ وما هو طلبكَ؟

ـ ألم تسمعا صوت الطفل الرضيع الذي كان يبكي في الغابة؟ كل ما أريده منكما هو أن تحملاه إلى هنا فقط.

ثم أخذ يضحك بسخرية، وأكمل حديثه:

ـ فلا يجوز ترك طفل رضيع وسط الغابة وحده، أليس كذلك؟

قطبت كارن حاجبيها بحيرة، ولكن بدا التوتر على جينتشي الذي قال:

ـ ماذا لو رفض المجيء معي؟ أو ربما سقط من يدي.

فقالت كارن:

ـ لا تقلق سأساعدكَ على حمله يا جينتشي، إنه مجرد طفل صغير.

لكن جينتشي يعرف جيداً هذا الطفل الذي يتحدث عنه أكانامي، فهو لم ينسَ حكايات جدته أبداً. لذا تنهّد باستسلام، ثم قال للصبي القذر:

ـ حسناً سنذهب الآن، ونحمله إلى هنا.

وبينما هما يسيران في الغابة، سمعا صوت بكاء الطفل، فقالت كارن:

ـ لماذا تبدو قلقاً يا جينتشي، إنه مجرد طفل؟

ـ إنه ليس كأي طفل عادي يا عزيزتي، عندما ترينه ستعرفين ذلك.

وعندما وصلا إلى مكان الطفل وجداه يجلس على الأرض بهدوء، ثم حدّق إلى وجهيهما وابتسم، لكنّ ابتسامته كانت أقرب إلى الخبث من براءة الأطفال، فقال جينتشي لكارن:

ـ أعرّفكِ بإحدى أساطير اليابان المزعجة (كوناك جيجي).

ثم اقترب منه وقال:

ـ سأحملك الآن، ولكن أتمنى ألّا تؤذيني أو تؤذي صديقتي، فنحن نريد مصلحتك فقط.

ثم رفعه بين ذراعيه وأخذا يمشيان نحو الكوخ مجدداً، وكانت كارن تراقب الطفل وهو يتشبث بكتف جينتشي الذي بدا متوتراً، ثم لاحظت أن حجم الطفل قد تغيّر وبدا أكبر وأكثر بشاعة. فسألت جينتشي:

ـ ما الذي يحدث له؟ لماذا أصبح أكبر حجماً؟

كان جينتشي يلهث من شدة التعب وقد شعر بثقل الطفل، فكلما اقتربا من الكوخ زاد حجم الطفل أكثر، حتى كاد أن يوقعه أرضاً، فأسرع نحو كارن قائلاً:

ـ ساعديني على حمله، يجب ألّا يسقط من يدي وإلّا سيقتلنا.

كان الطفل يضحك بخبث وتشفٍّ، منتظراً أن يتعبا من حمله ويسقط أرضاً، ولكنّ كارن أمسكت بجسد الطفل ورفعته لتساعد جينتشي، حتى انحنى ظهرها وهي ترفعه بجسدها، بينما أخذ ذلك

الطفل يضحك ويقهقه.

ـ إنه ثقيل جداً، وكأنه صخرة!

انزلق الطفل من بين أيديهما حتى كاد أن يقع، فأسرع جينتشي في خطواته حتى دخل إلى الكوخ ووضع الطفل على السرير، ثم سقط أرضاً من شدة التعب وهو يلهث. فاقتربت منه كارن وساعدته على النهوض، ثم التفتا إلى الصبي القذر الذي كان يبتسم بسعادة، وقال له جينتشي وهو يتنفس بصعوبة:

ـ لقد نفّذتُ طلبكَ، والآن عليكَ أن تفي بوعدكَ لي.

فأخذهما الصبي القذر إلى دورة المياه وقال:

ـ الآن تستطيعان أن تستخدما حمامي الخاص.

كان الحوض مليئاً بالقاذورات وبالفضلات، فتردد جينتشي في الاستلقاء داخله، إلّا أن كارن لم تهتم وأخذت تردّد داخل عقلها بأنها الوسيلة الوحيدة للعودة، وأغلقت عينيها فكل ما كانت تريده هو العودة إلى منزل خالتها بأي طريقة، رغم شعورها بالقرف واضطرارها إلى التقيؤ عدة مرات. فاستلقى جينتشي داخل الحوض بالقرب من كارن التي أغلقت عينيها، ثم قالت له:

ـ الآن علينا أن نتمنّى العودة إلى الحاضر.

فسألها بسرعة:

ـ ماذا عن السيف وهونجو؟ ألن تذهبي لرؤيته؟

هزّت رأسها بالنفي وهي تبتسم:

ـ يكفي أنني وجدتُ حفيده، وأنا سعيدة جداً بذلك.

احتضنها جينتشي قبل أن يُغلق عينيه، وتمنّى أن يعودا سوياً إلى الحاضر.

***

بينما كانوا ينتظرون عودة كارن وجينتشي، اقتربت لورين من إيمي وجلست بالقرب منها، وقالت بهمس:

ـ هل تريدين أن تكوني محبوبة وقادرة على إدارة حياتكِ بشكل أفضل، وبدون الخاتم؟

قطّبت إيمي حاجبيها، فأكملت لورين وهي تبتسم:

ـ المنزل والبوابة وجميع مَن خرج ودخل إليها، سيكون تحت سيطرتك. ستحققين ما كنتِ تحلمين به، بل وأكثر..

ـ ما الذي تريدينه مني بالمقابل؟

مسحتْ على شعر إيمي بلطف:

ـ أريدكِ أن تكوني وريثتي، وسيدة هذا المكان فقط.

ـ لا يهمني منزلكِ يا خالتي، ولا أي شيء مما تتحدثين عنه. كل ما أريده هو التخلُّص من لعنة هذا المكان أنا وعائلتي.

ـ ليس أمامكِ سوى الخضوع للأمر بإرادتكِ أو رغماً عنك، فاختاري يا عزيزتي قبل فوات الأوان.

ـ ما الذي سيحدث إن لم أختر؟

ابتسمت لورين بخبث:

ـ ستظل اللعنة تلاحقكِ أنتِ وعائلتكِ، وخاصة والدتكِ التي دمّرت كل شيء.

ردّت إيمي بتحدٍ:

ـ لن أجعلكِ تفعلين ذلك بنا.

ـ ومن سيمنعني يا حلوة؟ هل هو أخوك الجبان الذي فرّ هارباً، أم أختكِ المجنونة التي لم تعد حتى الآن أو ربما والدتكِ الأنانية؟ فكّري جيداً، ففي الأمر مصلحة للجميع وأولهم أنتِ.

ثم تركتها وخرجت من الغرفة، وقد تبعها آدم بصمت. فظلت إيمي تفكّر فيما قالته لورين، بينما بقيت جالسة وحدها في غرفة الباب الخشبي، وهي تحدق إليه متمنية أن تعود كارن قريباً، ولكنها تذكّرت ما قالته لورين، واعتقدت أن أختها ربما قررت عدم العودة، وبقيت برفقة هونجو في الماضي، أو ربما حدث لها مكروه جعلها تتأخر عن العودة، لذا وبعد أن فكّرت مطولاً قرّرت أن تخضع إلى ما طلبته لورين قائلة لها:

ـ أنا موافقة، ولكن بشرط ألّا تؤذي أي فرد من أفراد عائلتي.

رفعت لورين حاجبيها بدهشة:

ـ ومَن قال بأنني أريد أن أؤذيكم؟ فمَن تسبب في كل هذا هي والدتكِ، ولكن يا عزيزتي أنا وأنت سنصلح كل شيء، وأعدكِ بأنكِ لن تندمي.

ثم أمسكت بيديها، وقالت وهي تبتسم بلطف:

ـ والآن لنستعدّ للاحتفال بتنصيبكِ قبل أن تُغيّري رأيكِ.

***

اللعنة من جديد

بينما جلست لورا وحدها في منزلها تفكّر في أولادها الذين لم يقوموا بالاتصال بها، فضلاً عن كونها لا تعرف ما الذي حدث لهم، دخل جاك المنزل وهو يلهث، وكان وجهه مضطرباً، فشعرت بالقلق لما رأته بهذه الحالة:

ـ ما بكَ؟ وأين أختاكَ؟

أخبرها جاك بكل ما حدث، فشعرت بالضيق وبالغضب من تصرفهم المتهور، ولكنّها قالت:

ـ ليس هذا الوقت المناسب لمعاتبتكم، يجب أن نجد حلاً لإخراجهما من هناك قبل أن يحدث لهما أي مكروه.

ثم طلبت من جاك أن يأخذها إلى منزل خالتها رغم شعورها بالخوف، فهي لا تريد العودة لرؤية ذلك المنزل مجدداً، ولكنّ ابنتيها قد تكونان في خطر، وأثناء الطريق أخذ جاك يخبر والدته بباقي التفاصيل.

ـ صدّقيني يا أمي، لم أشأ أن أذهب معهما، ولكن كارن...

قاطعته لورا بغضب:

ـ ليس هذا الوقت المناسب للوم أي أحد يا جاك، الآن يجب أن نخرجهما من ذلك المنزل الملعون، ثم سأتحدث إليكم جميعاً.

عندما وصلت لورا إلى القرية كان الظلام يُخيّم عليها، ممّا جعل المنزل أكثر كآبة ورعباً، فتوقفت أمام الباب وقلبها يخفق بشدة،

وقبل أن تطرقه فُتح الباب لوحده أمامها، ليظهر خلفه آدم الذي كان ينظر إليها والغضب يكاد ينفجر من وجهه، فصرخ في وجهها قائلاً:

ـ أنتِ السبب فيما يحدث الآن، أيتها الأنانية اللعينة!

ثم أمسك بعنقها، فحاولت إبعاده عنها ولكنها لم تستطع، فأخذت تستنجد وتصرخ، فشاهدت من خلف آدم امرأة ذات شعر أسود وقد رسمت على شفتيها ابتسامة ساخرة وهي تنظر إليها بتعالٍ، فعرفتها لورا مباشرة

ـ اتركها وإلّا قطعتُ رأسكَ، فمهما حدث هنا، تظل هذه ابنة أختي.

تركها آدم وامتثل لأوامر لورين وكأنه عبد ذليل، ثم التفتت لورا إلى خالتها وقالت بدهشة:

ـ خالتي! مستحيل كيف يحدث هذا؟!

ضحكت لورين بصوت عالٍ:

ـ كنتِ تعتقدين أنني ميتة؟ كلا يا عزيزتي لقد وضعتُكِ في اختبار، وقد تبيّن لي أنكِ لا تنفعين لأي شيء، فأنتِ شخص أناني وانتهازي مثل والدتكِ، ناكرة للجميل.

غضبت لورا وكادت أن تتحدث لتدافع عن نفسها، ولكنّ لورين منعتها قائلة:

ـ أغلقي فمكِ، ولا تفكّري بالدفاع عن نفسكِ، وإلّا قيّدتُكِ وألقيتُ بكِ في ذلك الصندوق كي أعاقبكِ على ما فعلتِه بمنزلي. ما رأيكِ لو أرسلتُكِ إلى المستذئب الذي خدعتِه، وكاد أن يقتله مصاص الدماء؟

أو أجعلكِ فريسة لأحد القتلة المتسلسلين الذين يستمتعون بتعذيب النساء وقتلهن؟ أو ربما ألقي بكِ في البحر لتأكلكِ الغرانيق كما فعلتِ بسيرينا، التي كادت أن تتحول إلى زبد بحر بعد أن أعدتِها أنتِ إليه؟

أراد جاك أن يدافع عن والدته، ولكنّ لورين قالت له بسخرية:

ـ اخرس أيها الجبان، عندما أحسستَ بالخطر تركتَ أختيك، وعُدتَ إلى والدتكَ كفأر صغير لتبحث عمّن ينقذكَ، ألا تستطيع فعل شيء من دون اللجوء إليها والاحتماء خلف ظهرها؟!

ردّت لورا لتدافع عن جاك:

ـ ابني ليس جباناً، لقد شعر بالخطر وبالخوف على أختيه، وهو يعلم أنني سأقلق عليهما أيضاً. هل تريدينه أن يواجه جنونكِ وحده؟ كما أنّه من حقي أن أعرف ما الذي حدث لأبنائي.

سحبت لورين نفساً عميقاً، وعادت لتجلس على كرسيها:

ـ لا يهمني ابنكِ هذا، كل ما يهمني الآن هو إحدى ابنتيكِ فقط، وأعتقد أنني وجدتُ ضالتي.

صفّقت لورين بيديها، لتخرج من إحدى الغرف سيدتان مرعبتان ترتديان ملابس غريبة وتغطيان وجهيهما بقناع أسود، وإيمي تقف وسطهما وكأنهما تحرسانها، فقالت لورا لابنتها وهي تقترب منها وتحاول التحدث إليها، ولكنّ إيمي لم تلتفت إليها، وكأنّما قد تمت السيطرة على عقلها وشلبت إرادتها:

ـ إيمي، ما بكِ يا عزيزتي؟ هل أنتِ بخير؟ ما الذي فعلتِه بها؟ لماذا لا تُجيبُني؟

ـ أردتُ أن أُعِدّها للتنصيب لتكون وريثة مناسبة لي، إنها في حالة تهيئة فقط، وقريباً ستعود كما كانت، بل أفضل.

أخذت ترجوها بيأس:

ـ أرجوكِ يا خالتي اتركيها وشأنها، إنها ما تزال صغيرة، خذيني بدلاً عنها.

رفعت لورين حاجبيها بتعالٍ وهي تتفحص لورا:

ـ أنتِ لا تنفعين لذلك، فيكفي ما فعلتِه بالمسكين آدم الذي كاد أن يفقد حياته بسببك.

التفتت لورا إلى آدم، والذي بدا مستسلماً تماماً أمام خالتها، ثم قالت:

ـ والآن هو بخير معكِ، أنتِ تعاملينه كالخادم الذليل وتهينينه، أعتقد أنه لو اختار الموت، لكان ذلك أرحم بالنسبة إليه من هذه الحياة التعيسة تحت قدميكِ...

وقبل أن تكمل جملتها اهتزّ المنزل بقوة، ثم سمعوا صوتاً يأتي من الطابق العلوي، فأخذوا ينظرون إلى بعضهم بعضاً، فقالت لورين وهي تبتسم بمكر:

ـ لقد عادت الآنسة العاشقة إلى المنزل أخيراً.

دخلت كارن يتبعها جينتشي إلى غرفة المعيشة، حيث كان الجميع ينتظرونهما وعلى وجوههم الدهشة، بينما كانت كارن وجينتشي كلاهما في حالة يرثى لها، وتنبعث منهما رائحة نتنة، جعلت الجميع

يصابون بالتقزز وبالغثيان. فقالت لورين وقد أظهرت اشمئزازها من رائحتهما:

ـ أين كنتما؟ هل كانت مغامرتكما الصغيرة في أحد المجارير؟! ما هذه الرائحة الغريبة التي تنبعث منكما؟ يا لَه من موعد غرامي غريب!!

التفتت كارن إلى والدتها وهي خجلة من نفسها.

ـ أنا أعتذر يا أمي، لكنني...

قاطعتها لورا وهي تحاول أن تتمالك أعصابها:

ـ لا تتحدّثي الآن ولا تُبرري ما فعلتِه، كل ما يهمني هو أن نخرج من هنا.

كانت لورين تستمع إلى حديثهما وعلى وجهها ابتسامة ساخرة، وعندما اقتربت لورا من الباب كي تفتحه حتى تخرج من المنزل، قالت لها لورين:

ـ ما دمتِ أتيتِ برجليكِ إلى منزلي وكذلك فعل أولادك، فلن تخرجي حتى أحصل على ما أريده منكِ.

ثم التفتت إلى إيمي التي ما تزال في حالة الشرود وعيناها تنظران إلى السقف، وأكملت:

ـ تستطيعين الخروج والعودة إلى منزلكِ الهادئ، ولكن لن يخرج أبناؤك حتى ننتهي من تنصيب إيمي كوريثة لي.

صرخت لورا بغضب:

ـ لن أسمح لكِ بذلك، ابنتي لن تكون مثلكِ.

لم تجبها لورين، بل كل ما فعلته هو التحديق في عينيها عدة ثوانٍ، فشعرت لورا بالدوار حتى كادت أن تسقط أرضاً لولا أن أسرع جاك وأمسك بها، وقال وهو يرجو خالته:

ـ أرجوكِ.. اتركي أمي وشأنها، وافعلي بي ما تريدين. لا تؤذيها أكثر، فيكفي ما قاسته.

حدّقت في وجه جاك باحتقار:

ـ وهل ستنفّذ ما أطلبه منكَ؟ فأنا أعرف أنكَ جبان.

حاولت لورا أن تتحدث، ولكنها كانت تشعر بضعف غريب، فقال جاك لوالدته مطمئناً:

ـ لا تقلقي، أعدكِ بأنّ كل شيء سيكون على ما يرام يا أمي.

فقالت لورا رغم شعورها بالضعف:

ـ أرجوكِ يا خالتي اتركي أولادي، يكفي أنني فقدتُ أباهم، ويكفي ما تعرضنا إليه في السابق في منزلكِ.

لم تشعر لورين بأي شفقة تجاه ابنة أختها، بل قالت:

ـ وأنا فقدتُ كل شيء بسببكم، والدتكِ ظلمتني في طفولتي، وأنتِ حطّمتِ كل ما بنيته، والآن عليكِ أن تدفعي ثمن أنانيتكِ.

ثم التفتت إلى جاك، وقالت بخبث:

ـ هل أنتَ مستعد لتنفيذ المهمة؟ أم أنكَ قرّرتَ التراجع أيها

الجبان؟

ـ أنا مستعد ولكن بشرط أن تتركي أختيّ وشأنهما.

رفعت حاجبيها بدهشة وقالت:

ـ ومَن أنت حتى تضع الشروط يا صغيري؟!، لكن بما أنكَ تتصرف كالرجال أخيراً سأعدكَ بشيء ما، وهو أنه عندما تنهي المهمة سأترك أختكَ كارن وهذا الشاب الغريب يخرجان بسلام. أمّا إيمي ووالدتك فلي شأن آخر معهما. وإن رفضتَ العرض، فلن يخرج أي أحد منكم من هذا المنزل أبداً.

رفع جينتشي السيف في وجهها وقال بغضب:

ـ ومَن أنتِ حتى تتحكمي بنا؟ إن لم تفتحي الباب، فسأقطعكِ إلى نصفين بهذا السي...

وقبل أن يكمل جملته أحسّ بيد تمسك بكتفه من الخلف، وعندما التفتَ إليها كانت كوشيساكي أونا أمامه بفمها المشقوق، فأمسكت بعنقه وهي تضحك، بينما أخذ هو يستنجد ويحاول تخليص نفسه منها، وهي تسأله:

ـ هل أنا جميلة أيها الشاب الوسيم؟

ضحكت لورين ثم قالت:

ـ إنها أسوَأ كوابيسكَ أيها الشاب، ما رأيك لو تركتُها تتحقق؟

اقتربت كارن من خالتها وقالت وهي ترجوها:

ـ اتركيه أرجوكِ، لا ذنب له في كل هذا.

تنهدت لورين ثم قالت موجهة حديثها إلى كوشيساكي، والتي ما تزال تحاصر جينتشي وتُخيفُه بفمها الممزق:

ـ اتركيه يا عزيزتي، إنه لا يستحق العناء ولن ينفعكِ كزوج مخلص... هكذا هم الرجال! فأنتِ لستِ جميلة ولستِ قبيحة أيضاً، بل سيدة مسكينة تعرّضت للخيانة وللأذى ممن وثقت بهم.

تركت كوشيساكي عنقه، ثم التفتت إلى لورين وهي تنوح وتبكي حتى تلاشى طيفها واختفَت، فقالت لجينتشي: لا تحكم على الأشخاص من مظهرهم الخارجي، فإن وهبكَ الله جمالاً، فهذا لا يعني أنك كامل أبداً. كوشيساكي كانت جميلة جداً وزوجة مخلصة لرجل لا يستحقها، تعذّبت على يده وأذاقها المر والحسرة، ثم قام بخيانتها وشوّه وجهها ودفنها في تلك الغابة. ولكنّ الناس لا تعرف من قصتها سوى أنها السيدة المخيفة، ذات الفم الممزق.

ثم التفتت إلى جاك وهي تبتسم بسخرية، وقالت:

ـ أعرف أنكَ لستَ بشجاعة أختيك، لذا سأترك القرار والاختيار لكَ، فإما أن تذهب مع المستذئب وتواجه دراكولا، أو تذهب مع القاتل المتسلسل وتساعده في التخلص من الجثث قبل أن يكتشفوا جرائمه الأخرى، أو مع عروس البحر وتبحث عن الناي والزهرة.

ابتلعَ جاك ريقه بصعوبة وهو ينظر إلى المستذئب، ثم يلتفت إلى القاتل المتسلسل الذي كان يقف بتأهُب، ويحمل بيده منشاراً كهربائياً. ثم قال وهو ينظر إلى الحورية الجميلة ذات الشعر الأشقر والعينين الزرقاوين:

ـ حسناً... سأذهب برفقه الحورية.

أخذت لورين تضحك وتقهقه بصوت عالٍ حتى أدمعت عيناها، وقالت:

ـ لقد توقعتُ أن يكون هذا ما ستختاره، صدّقني إنّ مهمتكَ لن تكون سهلة، فحوريتي ليست بريئة كما في قصص الأطفال التي تقرؤها لكَ والدتكَ قبل أن تنام.

اقتربت منه الحورية الجميلة وأخذت تنظر إلى وجهه من دون أن ترمش، حتى شعر أن نظراتها تغلغلت في عقله وجعلته عاجزاً عن الكلام أو الحركة. وفجأة برز من وجنتيها زعانف واستطال رأسها كالسمكة، وأصبح جلدها لامعاً مزرقاً كجلد السمك. أمّا عيناها فقد أصبحتا أكثر اتساعاً بشكل غريب، وأخذتا تلمعان بلون البحر الأزرق وكأنهما قطعتان من الزجاج، فاقتربت منهما لورين وهي تبتسم، وقالت لها:

ـ سيرينا عزيزتي، لطالما حلمتِ بالارتباط بشاب من البشر، فتقترنين به وتصبحين ملكة. والآن أنا أهديكِ هذا الشاب الوسيم، فليذهب معكِ.. ولكن لا تَنسَي وعدكِ لي.

أومأت سيرينا إليها بالإيجاب، ثم التفتت إلى جاك وأخذت تتفحّصه وتدور حوله وتلمس جسده، ثم قالت بصوت ساخر:

ـ إنه مناسب، ولكنه لا يرتقي إلى مستواي.

ضحكتا بصوت عالٍ، ثم قاطعتهما لورا:

ـ لن يذهب ابني إلى أي مكان!

حدّقت سيرينا إليها بلا مبالاة، وقالت:

ـ أنا لا يهمني ابنكِ، ولكن إن لم يأتِ معي، فهو مُخيّر بين مستذئب وقاتل، فماذا تفضلين أيتها الأم؟

لم تُجبها لورا، بل التفتت إلى خالتها ترجوها:

ـ دعيني أذهب بدلاً عنه!

ـ سيرينا تحتاج إلى رجل ليُتمّ المهمة، وليس أمامنا غير جاك، فهذه فرصته كي يثبت رجولته وشجاعته.

التفتت لورا إلى آدم الذي ظلّ صامتاً وأشاح بوجهه عنها، فشعرت باليأس من طلب مساعدته، لذا لم يكن أمامها حلّ آخر، فأخذت تبكي وهي تنظر إلى أولادها بيأس، مما جعل آدم يشعر بالضيق متمنياً لو أنه يستطيع مساعدتها، ولكنه هو الآخر كان عاجزاً أمام سطوة لورين وجبروتها، كما أنه ما يزال يشعر بالغضب بسبب ما فعلته به لورا في السابق. اقترب جاك مع سيرينا من الصندوق وقلبه يخفق بتوتر، فقالت له سيرينا ساخرة:

ـ وَفّز أنفاسك يا صغيري، فأنت ستذهب برفقة حورية البحر وستحتاج إلى كل نفس.

فُتح الصندوق على مصراعيه وتوهج بلونه الأزرق الساطع، فالتفت جاك إلى والدته وقال:

ـ لا تقلقي، أعدكِ بأنني سأعود، وسنخرج من هذا المنزل الملعون...

لكنّ سيرينا لم تدعه يكمل حديثه، فقد أمسكت معصمه وسحبته

معها نحو الصندوق وهي تضحك، فاختفيا في داخله.

***

انتقام حورية البحر

فتح جاك عينيه ليجد نفسه قرب بحيرة جميلة تحيط بها الأشجار والنباتات، وكان المكان هادئاً وتنبعث منه رائحة الزهور المتنوعة، فأخذ جاك يتلفّت حوله بحثاً عن سيرينا، ولكنه لم يجدها، فاقترب من البحيرة ليغسل وجهه، وما إن وضع يديه في الماء حتى سرَت البرودة المريحة إلى جسده، فشعر براحة عجيبة وأخذ يغسل جسده ويبلل وجهه وهو يبتسم بسعادة، ولكنه لاحظ أنّ هناك شيئاً مختلفاً، فتوقّف عن الحركة حتى ركد الماء، ونظر إلى انعكاس وجهه على صفحة الماء فانتابه الذعر والهلع، وأخذ يفرك عينيه غير مصدق لما يراه!، فهو لم يكن ينظر إلى انعكاس وجهه، بل إلى وجه شابٍ شديد الجمال والوسامة ولا يشبهه أبداً!! فأسرع جاك وخرج من البحيرة وهو يشعر بالذهول ويُحدّث نفسه بأن ما يحصل له هو نتيجة الانتقال فقط، فاقترب مجدداً من البحيرة وأطلّ بوجهه إلى الماء الراكد، فظهر له وجه الشاب الجميل مجدداً، فوضع يده على وجهه وأخذ يتحسس ملامحه ويتساءل: لماذا يرى وجهه مختلفاً؟ ومَن هو هذا الشاب الجميل الذي يرى انعكاسه؟ وبينما هو يتساءل وينظر إلى الماء، لاحظ وجود فتاة جميلة تسبح وسط البحيرة وتراقبه وعلى وجهها ابتسامة، فسألها:

ـ هل تحتاجين إلى مساعدة؟

أجابته الفتاة:

ـ مساعدة؟

فسألها مجدداً:

ـ مَن أنتِ، ولماذا تحدقين إليّ؟!

أجابته وعلى وجهها الحزن:

ـ تحدقين إليّ؟

شعر جاك بالحيرة، وقرر أن يقترب من الفتاة لعلها تحتاج المساعدة. فدخل إلى الماء ليدنو منها، ولكنّ صوتاً غاضباً من خلفه قال له:

ـ اخرج من الماء بسرعة.

التفتَ جاك ليجد سيرينا تنظر إليه وهي غاضبة جداً، فخرج مسرعاً. وعندما التفتَ ليرى الفتاة كانت قد اختفت، فسأل سيرينا:

ـ مَن هي تلك الفتاة؟

لم تُجبه، بل سارت أمامه من دون اهتمام وقالت:

ـ علينا أن نبحث عن زهرة معينة، هذا ما تريده خالتكَ. أمّا أنا فأريد أن أنتقم من نرسيس.

ـ مَن هو نرسيس، ولِمَ تريدين الانتقام منه؟

فتنهّدت سيرينا بغضب، وقالت وهي تمسك بذراعه وتشدّه:

ـ تعالَ معي ولا تُكثِر من الأسئلة، كل ما عليكَ فعله هو أن تأخذ الزهرة إلى خالتكَ، ثم تعود من حيث أتيتَ.

وصلا إلى ميناء البحر، ووقفت سيرينا أمامه قائلة وهي تشير إلى

إحدى السفن:

ـ هل ترى تلك السفينة التي يقوم أصحابها بتجهيزها وتحميل البضائع عليها؟ ستصعد برفقتهم كتاجر مجوهرات، وستجد من بين الركاب فتاة تحمل ناياً قديماً وتعزف عليه. أريد منكَ أن تأخذ ذلك الناي بأي طريقة من تلك الفتاة، حتى لو كلّفكَ الأمر أن تعطيها كل هذه المجوهرات التي في داخل الكيس.

أعطتهُ كيساً مليئاً بالأحجار الكريمة والمجوهرات، ثم قفزت إلى الماء وقد لاحظ أن قدميها قد تحولتا إلى ذيل سمكة قبل أن تصل إلى الماء! صعد جاك إلى السفينة وهو يحمل كيسَ المجوهرات، وأخذ يبحث بين الركاب عن الفتاة ولكنه لم يجدها. وعندما حلّ الليل، ظل جالساً يتأمل السماء ويتذكّر أفراد عائلته متمنياً أن يعود إليهم بسلام. وفجأة شاهد وسط البحر مجموعة من الفتيات يسبحن بدون خوف وبمهارة عالية، فأصابته الدهشة وأخذ يراقبهن وهن يحاولن التقدم نحو السفينة، ولكنه سمع صوت عزف غريب خلفه، فالتفت ليرى فتاة تعزف على الناي لحناً جميلاً وحزيناً، جعله يشعر بنعاس غريب وكأنه مُنَوّم مغناطيسياً. أما الفتيات اللواتي كُنّ يحاولن الصعود إلى السفينة، فأخذن يبتعدن تدريجياً حتى اختفين تحت الماء. شعرَ جاك بالخوف على مصير الفتيات معتقداً أنهن قد غرقن، وعندما توقفت الفتاة عن العزف اقتربَ منها وأخبرها بما رآه، فابتسمت الفتاة بحزن وقالت:

ـ هؤلاء لسنَ فتيات عاديات، إنهن بنات البحر أخوات سيرينا، وقد أتين كي يقتلن جميع الرجال الذين على متن هذه السفينة انتقاماً

لجدّتهن. لا تنخدع بجمالهن، فخلف ذلك الحسن يكمن الشر وحبّ الانتقام.

تركته وابتعدت، ورغم أنه حاول اللحاق بها، إلّا أنها اختفت من أمامه وكأنها تبخّرت، فاقترب من أحد أفراد طاقم السفينة وسأله عن الفتاة، فقال الرجل بدهشة:

ـ هل تعلم يا بني أنكَ لستَ الشخص الوحيد الذي شاهد فتاةً تعزف على الناي؟ وليست هذه أول سفينة تحدث فيها مثل هذه الأمور! ولكن أنا شخصياً لم أصادفها ولا أعتقد أن على متن سفينتنا أي فتاة، فجميعُ الركاب من الرجال، وهم تجارٌ وذوو نفوذ ومال متوجّهون إلى التجارة، أما الباقون فهم مجرد عُمّال.

لم يقتنع جاك بما قاله الرجل، وظلّ يبحث عنها في جميع مرافق السفينة حتى شعر بالتعب وبالعجز، فظلّ يفكر كيف سيجد الفتاة ويأخذ الناي منها حتى يعود إلى عائلته. وعندما وصلت السفينة إلى مرفَئِها، شاهد سيرينا تنتظره وقد علَت ملامحها نظرات الضيق، وقالت له:

ـ لقد فوّتَ فرصتكَ في أخذ الناي أيها المغفل.

ـ لكنني بحثت عنها في كل مكان، ولم أجدها.

ـ كانت تعزف أمام عينيكَ، وكان بإمكانكَ أن تأخذ الناي منها قبل أن تُكمل عزفها.

قاطعها، وقد ازداد غضبه:

ـ لم أستطع فعل ذلك، فقد انتابني شعور غريب أثناء عزفها

وكأنني..

قاطعته، وقد برزت زعانفها وكأنها تستعد لقتله:

ـ لا تُبرِّر غباءك لي، فأنا أكره الأغبياء. الآن عليكَ أن تبحث عن سفينة أخرى وتصعد على متنها، وتعود ومعكَ الناي بأي ثمن.

ثم تركته وغاصت في الماء مجدداً.

تنهّد جاك بضيق، وأخذ يبحث عن سفينة تجارية على متنها ركاب من الرجال فقط، حتى وجد واحدة وصعد على متنها متمنياً أن يلتقي بالفتاة مجدداً. وعند المساء، شاهد بنات البحر يسبحن ويقتربن من السفينة، لتظهر الفتاة وهي تحمل الناي، ثم أخذت تعزف عليه مجدداً. فحاول جاك مقاومة عزفها واقترب منها وأمسك بنايها، لكنّ الفتاة قاومته وبدَت أكثر قوةً منه وإصراراً، فأكملت عزفها. وأخذ جاك يتراجع، ويشعر بالضعف أكثر كلما زاد عزفها حِدّة. وعندما التفتَ إلى السفينة كانت بنات البحر قد صعدن إلى متنها، وحاولن الاقتراب من الفتاة وكأنهن ينوينَ مهاجمتها، لكنهن لم يستطعن الاقتراب منها، فأخذن يصرخن ويضعن أيديهن على آذانهن. وظلت الفتاة تعزف وهي تبكي، بينما بقيت بنات البحر يصرخن بألم ويحاولن تجنب صوت الناي، حتى استسلمن وعدن إلى الماء واختفين مجدداً. وبعد أن توقّفت عن العزف اقتربت الفتاة من جاك وصفعته بقوة على وجهه، مما جعله يشعر بالدهشة، بينما كانت هي غاضبة جداً:

ـ تصرُّفكَ الغبي كاد أن يتسبب في مقتل الجميع!

أمسك ذراعها قبل أن تذهب وقال:

ـ صدّقيني أنا بحاجة إلى هذا الناي بأي ثمن، لديّ الكثير من المجوهرات، سأعطيكِ كل ما تريدينه، ويمكنك شراء ناي آخر.

ـ وهل هذه المجوهرات ستعوّضني عن والدي وأخي؟! هل مجوهراتكَ ستحمي هؤلاء الرجال من غدر الحوريات وانتقامهن؟!

سألها جاك عن انتقام الحوريات وما تعنيه بذلك، فتنهدت الفتاة بحزن وقالت:

ـ نرسيس هوالسبب، وسأخبرك مَن هو نرسيس قبل أن تسألني عنه. كان هناك شاب أرستقراطي وهبه الله الكثير من الجمال والحسن، حتى أعجب به الجميع وانبهروا بحسنه. فكانت الفتيات يلاحقنه ويتغزلن به، ولكنه لم يكن يهتم بهن، فبرغم جماله إلّا أنه كان شخصاً مغروراً جداً. وفي إحدى المرات رأته حورية جميلة تُدعى إيكو، فأعجبت به هي الأخرى وحاولت التقرب منه والتودد إليه، ولكنه لم يهتم بها رغم جمالها وأنوثتها. فطلبت تلك الفتاة من إحدى الساحرات أن تحوّلها إلى بشر لعلّ نرسيس يعجب بها، ولكن كان ثمن تلك الأمنية هو أن تأخذ الساحرة صوتها، ولا تستطيع إيكو سوى ترديد آخر كلمة مما يقوله نرسيس فقط. فوافقت إيكو على طلب الساحرة، فأعطتها الساحرة صفات البشر وأخذت صوتها.

توقّفت الفتاة عن الحديث، وقالت لجاك:

ـ يجب أن أذهب قبل أن يبزغ الفجر، سأجدكَ في الرحلة القادمة وأكمل لكَ قصة نرسيس والحورية إيكو.

لكنه قال قبل أن تختفي:

ـ وماذا أفعل بسيرينا التي تُهدّدني؟

ابتسمت الفتاة وقالت:

ـ لا تخف منها، إنها تحتاجكَ ولن تقوم بقتلكَ قبل أن تنهي مهمتكَ.

ثم اختفت من أمامه.

***

بعد عدة أيام، صعد جاك على متن سفينة أخرى وحدث نفس المشهد مجدداً، الفتاة تعزف على الناي والحوريات يهربن خوفاً من صوت العزف. وعندما شاهدث جاك اقتربت منه وهي تبتسم وقالت له:

ـ ما رأيكَ أن أكمل لكَ قصة إيكو ونرسيس، وبعدها قرّر إن كنتَ تريد هذا الناي أم لا.

وافقَ جاك، فأكملت الفتاة بعد أن جلست بالقرب منه.

ـ لم يهتم نرسيس بإيكو حتى بعد أن أصبحت بشرية، بل أخذ يسخر منها عندما تتحدث وهي تردد عبارته الأخيرة عندما يتحدث إليها. فمثلاً إذا قال لها: "تعالي إلى هنا". تردّد إيكو قائلة "إلى هنا". فيضحك نرسيس ساخراً منها، حتى شعرت إيكو بالحزن والندم لأنها أحبّت شخصاً مغروراً لا يهتم سوى بنفسه، وتخلّت عن صوتها العذب من أجله. فعادت إيكو إلى الساحرة وظلت ترجوها أن تعيدها حورية كما كانت، لكنّ تلك الساحرة رفضت، وقالت لها: "لو اقتربتِ من الماء

سيتحوّل جسدكِ إلى زبد البحر، وستظلين عائمة إلى الأبد". فلم يكن أمام إيكو خيار آخر سوى الموت، فقفزت إلى الماء وتحولت إلى زبد بحر. وانتشر خبر ما حدث لها في كل مكان حتى وصل إلى الساحرة، التي شعرت بالحزن وتأنيب الضمير على موت إيكو المسكينة، وقررت أن تنتقم من نرسيس، فقامت بتحويل صوت إيكو الجميل إلى ناي سحري، وأعطته لابنة إيكو التي كانت تعزف عليه وتغوي رجال البشر، ثم تقوم بقتلهم. واستمرّ ذلك إلى أن التقث ابنة إيكو بنرسيس وأعجبث بجماله، فسقط الناي من يدها في البحر، وعندما نظر نرسيس إلى الماء ليبحث عن الناي رأى انعكاس وجهه فأعجب بنفسه ولم يستطع مقاومة جماله، فحاول الإمساك بانعكاسه لكنه سقط في البحر، وتحوّل إلى زهرة نرجس بيضاء جميلة.

توقّفت الفتاة عن الحديث، فقال جاك بتردد:

ـ لو أخذتْ الناي إلى سيرينا، فستقتل الرجال مجدداً انتقاماً لجدّتها!، لن أقبل بحدوث ذلك.

ابتسمت الفتاة بحزن.

ـ بل إنكَ ستكون أول ضحاياها، إنّها كاذبة ولن تعيدكَ إلى عائلتكَ كما وعدتكَ، لذا عليكَ أن تتخلص من تلك الزهرة قبل أن تصل إليها.

شعر جاك بالحزن وقال:

ـ ولكن كيف أعود إلى عائلتي، وأين أجد تلك الزهرة؟

ـ عليكَ أن تبحث عنها بنفسكَ.

احتار جاك في أمره، فكيف سيبحث عن زهرة، وهو لا يعلم أين قد

يجدها؟! لذا قالت له الفتاة:

ـ إن ساعدتني وأتيتَ لي بقشور من زعانف سيرينا، سأدلّكَ على الطريقة للوصول إلى زهرة النرجس، هل أنتَ موافق؟

تنهّدَ جاك بحزن ويأس، وقال:

ـ لا أحد يُقدّم خدمات مجانية هذه الأيام، ليس أمامي سوى الموافقة، فقد تعبتُ من الصعود والنزول من هذه السفن بدون جدوى.

ـ حسناً إذن، قشور من زعانف سيرينا، مقابل أن أدلّكَ على مكان الزهرة، اتفقنا.

عاد جاك إلى سيرينا التي وَبّختْه ووصمتْه بالجبن وبقلة الذكاء، فقال بغضب:

ـ لا أستطيع الصعود إلى تلك السفن بعد الآن، لقد تعبتُ يا سيرينا إلى درجة أنني كرهتُ رائحة السمك ورائحتكِ المقززة أيضاً.

صفعته سيرينا وأمسكتْ بعنقه بقوة.

ـ هل تسخر مني أيها البشري المغفل؟ حسناً، سأجعلكَ تأكل السمك النيء، بل هناك الأسوَأ من هذا، سأجعلكَ تبتلع قشوري، ولن تتركَكَ رائحة السمك طوال حياتكَ.

أخذتْ بعض القشور من زعانفها، وأجبرتْ جاك على أكلها، فلم يكن أمامه خيار آخر، فهذه فرصته للحصول عليها. وأخذتْ تضحك بسخرية، بينما كان هو يتقيّأ، وقالت قبل أن تتركه:

ـ إن لم تأتِ بالناي غداً، سأقطع رأسكَ وأضعه أمام إحدى السفن، مكان تلك الحورية الخشبية.. سيبدو رأسكَ قبيحاً هناك.

وعندما تركته وابتعدت، أخرج جاك القشور من فمه وهو يبتسم بانتصار، ثم صعد إلى أول سفينة تجارية وأخذ يبحث عن الفتاة، وعندما اقترب منها سألته وهي تسد أنفها:

ـ ما هذه الرائحة؟

أخرج القشور من جيبه، فابتسمت الفتاة بسعادة، ولكن قبل أن يعطيها إياها قال:

ـ أولاً عليكِ أن تدليني على مكان الزهرة، لا تنسَي وعدكِ لي

فكّرت الفتاة قليلاً، ثم قالت له:

ـ عليكَ أن تقفز إلى البحر قبل أن يبزغ الفجر، وبعد أن ينجلي الظلام سيستمر الوقت لعدة دقائق فقط، إن استطعت الخروج من الماء بالزهرة ستنجو بحياتكَ، وإن لم تستطع فستتحول إلى طحالب مائية، ولن تعود مجدداً.

فتح عينيه بذعر:

ـ هل أنتِ مجنونة؟ كيف سأعود خلال دقائق؟ ربما تراني سيرينا أو إحدى الحوريات؟

ـ لا تقلق، سأظل أعزف على الناي حتى يبزغ الفجر وتنجلي الظلمة، هذا هو الحل الوحيد يا جاك.

سألها بينما هي منشغلة بالنظر إلى قشور سيرينا:

ـ وأنتِ ما الذي ستفعلينه بتلك القشور؟

ابتسمث بمكر وقالت:

ـ سأسلّط غرانيق البحر على سيرينا وأخواتها بهذه القشور، فبواسطة تلك القشور ستتمكن الغرانيق من تحديد مكانها وملاحقتها، وبذلك سأنتقم لأبي وأخي ولكل الرجال الأبرياء الذين قتلتهم.

في المساء وعندما حلّ الظلام، خرجت الحوريات من البحر، فأخذت الفتاة تعزف طوال الليل، وكان جاك حينها يشعر بالنعاس وبالتعب فقال لها:

ـ إن استمررتِ بالعزف هكذا سأنام.

ـ وإن توقفتَ ستهجم الحوريات على السفينة، ولن تستطيع إنقاذ نفسكَ ولا الحصول على الزهرة.

استسلم جاك وبذل كل جهده كي يبقى يقظاً، وكان يخيل إليه أنه يسمع صوت سيرينا تصرخ بألم، وصوت والدته وأختيه وهنّ ينادينه ولكنه لا يستطيع الردا وقد ازداد شعوره بالدوار حتى إنه سقط على الأرض عدة مرات وأخذ يترنح محاولاً البقاء يقظاً. وقبل بزوغ الفجر، قالت له الفتاة:

ـ حان الوقت، الآن اقفزْ إلى الماء وابحث عن زهرة النرجس، ستجدها بعد أن يختفي صوت القيثارة عن سمعكَ تماماً، وستعرفها من وهجها الجميل.

قفز جاك إلى البحر، وغاصَ فيه وهو يشعر بدوار غريب كلما سمع

صوت العزف، حتى إنه لم يعد يشعر بأنه يغوص في الماء، فابتعد كثيراً عن السفينة واختفى صوت العزف. وفجأة لاح أمامه شعاع أبيض جعله يشعر بالهدوء وبالسكينة، فاقترب منه أكثر ورأى الزهرة أمامه تشع بنور خلاب، فوقف ينظر إليها بانبهار، ثم أمسك بها وكاد أن يقطفها، إلّا أنه شاهد سيرينا تقترب منه وهي غاضبة، وقد بدأت تزمجر.

ـ أيها المخادع، هل تعتقد أنني سأتركك تهرب مني؟

أمسكته من عنقه بقوة وخنقته، ولكنها تركته فجأة وقد تغيرت ملامح وجهها إلى الخوف والذعر، فالتفت جاك إلى حيث كانت تنظر، ليرى مجموعة كبيرة من الرجال لديهم ذيول أشبه بذيول التماسيح، كانوا دميمي المنظر، أما شعورهم فعبارة عن طحالب مائية خضراء، يتجهون نحو سيرينا بسرعة، فتركت سيرينا عنق جاك وأسرعت بالهرب منهم وهي تصرخ كالمجنونة، لكنهم ظلوا يلحقون بها، فأمسك جاك بزهرة النرجس وقطفها، ثم خرج من الماء وهو يلهث ويتنفس بصعوبة.

عندما وصل جاك إلى الشاطئ، لاحظ أن بعض الطحالب الخضراء قد علقت في شعره، فأخذ يُزيلها عنه ولكن بلا فائدة!، فكلما أزالها ازدادت. فنظر إلى وجهه في الماء واكتشف أن شعره قد تحوّل بأكمله إلى طحالب مائية خضراء اللون، فأخذ يصرخ بذعر وهو يشدّ شعره بقوة. وبينما هو ينظر إلى انعكاس وجهه، لاحظ دوامة مائية تظهر أمامه وتجذبه بقوة نحوها، فترك نفسه يغوص فيها حتى اختفى واختفَت الدوامة.

***

كانت لورا تقف بالقرب من الباب الخشبي بتوتر وتنتظر عودة جاك، فاقتربت منها كارن مُطَمئِنة:

ـ لا تقلقي يا أمي، سيعود جاك إلينا... صدّقيني!

ابتسمت لورا بحزن وهي تمسح دمعة تجمعت في مقلتيها، وقالت:

ـ لكنني أخاف أن يتعرّض إلى سوء.

ثم التفتت إلى آدم الذي كان ينظر إليها بحنق، وقالت:

ـ أعلم أنكَ ما تزال غاضباً لكنني لم أكن أنوي لك شراً، صدّقني يا آدم، كل ما أردته هو التخلص من هذا المنزل اللعين.

سحب آدم نفساً عميقاً كيلا يفقد أعصابه، ثم أشاح بوجهه من دون أن يتكلم، فقد كانت لورين تراقبه. وفجأة فُتح الباب على مصراعيه وسطع النور الأزرق، ليخرج جاك من وسطه ويقف أمامهم مذهولاً وهو يضحك بسعادة:

ـ لقد عُدت أخيراً.

فاحتضنته والدته بسعادة، لكنه اقترب من لورين وهو يُخرِج الزهرة من جيبه.

ـ هل هذا ما أردتِه؟ خُذيها واتركي عائلتي وشأنها.

ابتسمت بسخرية وقالت:

ـ لا تساومني يا عزيزي، إن أردتَ الاحتفاظ بالزهرة فافعل، فهي

ليست ذات أهمية كأختكَ إيمي، التي لن أتركها أبداً قبل أن تصبح وريثتي. وأنت تستطيع الخروج مع باقي أفراد عائلتكَ، وذلك الغريب الآسيوي.

ثم ضحكت، وهي تشير إلى رأسه.

ـ ما الذي حدث لك؟ لماذا تضع الطحالب على رأسكَ هكذا؟

التفتَ الجميع إلى جاك، فأجابها بغضب:

ـ هذه نتيجة أفعالكِ، لقد تحوّل شعري إلى طحالب بعد أن قطفتُ تلك الزهرة، والتقيتُ بالرجال الغرانيق، الذين كانوا يلاحقون سيرينا.

أجابته لورين وهي تأخذ الزهرة من يده:

ـ لكل شيء ثمن يا عزيزي، عليكَ أن تعتاد على التضحية أحياناً حتى تصل إلى ما تريد. اشكر الله على أنكَ لم تتحوّل إلى طحالب أو تأسركَ سيرينا.

اغتاظ جاك كثيراً، ثم التفت إلى والدته وقال:

ـ يجب أن نخرج يا أمي، سنذهب إلى الشرطة ونطلب منهم المساعدة حتى تترك أختي رغماً عنها.

وافقت لورا على اقتراح جاك، وقالت بغضب لخالتها:

ـ كنتُ أود أن أحترمكِ وأن أكون قريبة منكِ، لكنّ ما فعلته بي وبأبنائي كثير جداً، سأخبر الشرطة وهم سيتصرفون معك.

فتحت لهم لورين الباب بلا مبالاة، وقالت:

ـ هيا اخرجوا من منزلي، وبلّغي مَن تشائين يا حلوتي.

لم تشَأ لورا أن تترك ابنتها إيمي، ولكن ليس لديها حل آخر، فيجب أن تذهب إلى الشرطة لتطلب منهم أن يساعدوها، ولن يهمها ما قد يحدث لخالتها. لكنّ كارن قالت:

ـ سأبقى مع أختي يا أمي، اذهب يا جينتشي أيضاً، فقد تعرّضتَ إلى الكثير من الأذى هنا، وأنا أعتذر لكَ عمّا حدث.

أمسك جينتشي بيد كارن وقال:

ـ لن أتركَكِ وحدكِ مع هذه المجنونة، بل سأبقى وأحميكِ.

ابتسمث كارن له بحب وشكرته، أمّا لورا وجاك فقد خرجا من المنزل، وقررا أن يستعينا بالشرطة، ولكنها قالت لجاك:

ـ لن نذهب إلى مركز القرية فهم لن يساعدونا، لذا ابحث عن أقرب مركز شرطة في إحدى المدن أوالقرى القريبة من هنا.

كانت كارن وجينتشي يراقبان إيمي، التي كانت في حالة من اللاوعي وكأنها مخدرة لا تستطيع الحراك أو الكلام، وكانت عيناها تتحركان وتراقبان ما حولها فقط، فقالت:

ـ أرجوكِ يا خالتي اتركي أختي!

ـ لا أستطيع يجب أن تكون إحداكما وريثة لي ولجميع السحرة لحراسة هذه البوابة، وجميع الأعضاء اختاروا إيمي رغم أنكِ أكثر قوة منها، إلّا أنكِ وقعتِ بسهولة في الحب، وهذا لا يتناسب مع مهماتنا

ربّت جينتشي على كتف كارن بعطف، وقال هامساً:

ـ لا تقلقي، لا أعتقد أنها ستؤذي إيمي، لنتمنّ أن تعود والدتكِ برفقة الشرطة، ونتخلص من هذا المكان.

ضحكت لورين بسخرية وقالت:

ـ هل تعتقدون أن الشرطة تستطيع إيقافي وردعي؟

قال جينتشي بغضب:

ـ إن لزم الأمر سيأتون بالجيش، وسيهدمون هذا المنزل الملعون فوق رأسكِ.

جلست على كرسيها، وقالت بتعالٍ:

ـ حسناً لنراقب وننتظر ما الذي سيحدث إذاً.

ظلوا صامتين، وبقيت كارن تنظر إلى أختها وتشعر بالشفقة على حالها، فاقتربت منها وأخذت تتحدث إليها وهي تبكي، ثم اقترب آدم منها وقال بهمس:

ـ لن تستطيع والدتكِ إنقاذ إيمي، هل تعتقدين أن أهالي القرية لم يقوموا بالتبليغ عن خالتكِ من قبل لدى الشرطة؟! ألم تتساءلي أين هم؟

حدّقت كارن إليه مستفهمة فأكمل:

ـ لقد هجروا القرية جميعهم، ولم يبقَ أحد هنا منذ أن عادت لورين.

ـ لماذا؟

ـ لم يتحمّلوا ما فعلته بهم، وكل تلك الوحوش المخيفة التي تركتها تتحرك بحرية في القرية. فخرج أهل القرية منها وتركوها، لا أحد يستطيع الاقتراب من خالتكم أو منزلها، ولا حتى رجال الشرطة. وسترين ما سيحدث!

***

دخلت لورا مع جاك إلى مركز الشرطة، وعندما تحدّثت إلى أحد الضباط وأخبرته بكل شيء، شعر بالدهشة وقال:

ـ لكنّ الجميع يعرف أن تلك القرية مهجورة، هل أنتِ واثقة ممّا تقولينه يا سيدتي؟

سحبت نفساً عميقاً، وأكملت حديثها بغضب:

ـ هل تعتقد أنني مجنونة؟ هذا ابني وهو يشهد معي على كل شيء.

أومأ جاك بالإيجاب، وعندما انتبه الضابط إلى شعر جاك الأخضر أحسّ أنّ هناك خطباً ما، واعتقدَ أنهما مجنونان، أو واقعان تحت تأثير الكحول، فقال الضابط:

ـ حسناً سيدتي، سأطلب من أحد رجال الشرطة أن يرافقكما. وإن كان ما تقولانه صحيحاً، سيتم إرسال التعزيزات بشكل سريع.

تبع الضابط سيارة لورا التي كانت تشعر بالأمل والراحة، متمنية أن تسير الأمور على خير ما يرام وتنقذ أولادها. وعندما وصلوا إلى المنزل، توقفت لورا أمامه، وقالت للضابط:

ـ هذا هو المنزل، أرجوكَ: ابنتاي في الداخل، ساعدني كي أخرجهما منه.

رفع الضابط حاجبيه بدهشة، ثم التفتَ إلى زميله الذي كان مندهشاً هو الآخر، وقال:

ـ سيدتي، لا يوجد أي منزل هنا، إنها مجرد أرض جرداء!

التفتت لورا إليهما بغضب وهي تشير إلى منزل خالتها:

ـ ما الذي تقوله؟ المنزل أمامكما، هل تسخر مني؟!

ظل الضابطان صامتين يحدقان إلى لورا وجاك، الذي قال:

ـ أرجوكَ أُختاي في الداخل، إن لم تساعدونا فمَن سيفعل؟

كتم الضابط ضحكته وقال:

ـ سيدي.. لا يوجد أي منزل هنا، صدّقني.. إننا نريد مساعدتكما ولكن...

صرخت فيهما لورا بغضب كالمجنونة، وهي تبكي:

ـ أنتما جبانان وخائفان منها.

ثم اقتربت من باب المنزل، وأخذت تطرقه بقوة وهي تبكي:

ـ افتحي الباب، واتركي أولادي وشأنهم.

وكان رجلا الشرطة يحدقان إليها، وهي تضرب برجلها ويديها الهواء وتصرخ كالمجنونة، وقد علَت وجهيهما الدهشة، فقال أحدهما للآخر همساً:

ـ أعتقد أنه يجب أن نأخذهما إلى مستشفى المجانين، ألا ترى ماذا تفعل تلك السيدة؟ وابنها الذي وضع الطحالب على رأسه، أعتقد أنهما مجنونان!

اقترب الضابط من لورا وقال بهدوء:

ـ حسناً يا سيدتي.. تعالي معنا، سنحل الأمر في مركز الشرطة.. لا تقلقي.

لكنها رفضت، وقالت وهي تمسح دموعها:

ـ أنتم خائفون من سطوتها ومن وحوشها، إن كنتَ تريد مساعدتنا، فحطّم هذا الباب، وأنقذ ابنتيّ منها قبل أن تؤذي إيمي.

كان جاك يحاول كسر الباب، ورجلا الشرطة ينظران إليه وقد كتما ضحكتهما، بينما كان هو يركل الهواء برجليه.

ـ سيدي أرجوك، لا تؤذي نفسكَ.

ـ ساعدني على كسره إذاً.

وبصعوبة استطاع رجلا الشرطة إقناع لورا بالعودة معهما إلى المركز مجدداً.

***

كانت كارن تراقب كل ما يحدث من نافذة المنزل وهي تبكي:

ـ لماذا لا يستطيع رجال الشرطة الدخول إلى المنزل؟ ما الذي يحدث لأمي وأخي؟

ابتسمت لورين بخبث وقالت:

ـ لأنهم لا يرون أي منزل، والدتكِ مجنونة الآن في نظرهم، وأخوكِ كذلك.

ـ أنتِ شريرة ولا تستحقين أي شفقة، لا أعرف كيف تكونين خالة لأمي، بينما هي طيبة والجميع يحترمونها؟

ظلت لورين صامتة تحدق إلى كارن التي كانت تبكي، ثم نهضت من كرسيها وقالت لآدم:

ـ سأذهب كي أرتاح قليلاً، عليكَ أن تُجهّز كل شيء لمراسم التنصيب واستقبال الضيوف هذا المساء. أما أنتِ يا كارن، تستطيعين الرحيل وإنقاذ والدتكِ، التي سيأخذونها إلى مستشفى الأمراض العقلية.

أخذت كارن تبكي وهي تجلس بالقرب من أختها، وجينتشي يحاول تهدئتها. أمّا آدم فظل يراقب ما يحدث، ثم قال بعد أن ابتعدت لورين:

ـ والدتكِ تصرّفت بغباء عندما خرجت من المنزل، ولم تبالِ بما قد يحدث للآخرين

أجابه جينتشي:

ـ لكن ليس من حق لورين أن تحبسهم رغماً عنهم.

ـ لكنها لم تجبر أحداً على البقاء، لقد خرجت لورا وجاك من المنزل، وأنتَ أيضاً تستطيع الخروج، وكذلك كارن.

فقالت كارن:

ـ وماذا عن إيمي؟ لِمَ تجبرها رغماً عنها؟ إيمي لن تقبل أن تكون وريثة لها.

أغلق آدم عينيه لثوانٍ، ثم قال بعد تردد:

ـ بل إنّ أختكِ وافقت على ذلك بإرادتها، فهي تملك قوة لا يملكها الكثيرون. وهذه القوة موجودة لدى أحد التوائم، ويستطيع تقويتها بكل سهولة عكس الأشخاص العاديين الذين لا يشعرون بها. ورغم أنّ جاك هو توءم إيمي، لكنه لا يملك هذه الموهبة. كذلك إيزابيل جدتكم لم تكن تمتلكها، عكس لورين التي استطاعت تقويتها والتحكم بالمنزل وبالبوابة وبنا أيضاً.

وافقه جينتشي قائلاً:

ـ نعم لقد قرأتُ عن قوة التوائم وصفاتهم المميزة رغم إنكار العلم لذلك، لكن لم أتوقع أن أرى ذلك بعيني. لقد استطاعت إخفاء المنزل عن أعينهم، وجعلتهم يعتقدون أن السيدة لورا وجاك مجنونان!

ـ إنها تستطيع أن تتحكم بالكثير من الأشياء، لكن لا تفعل ذلك إلّا عند الحاجة. ورغم ذلك فإن قوتها بدأت تضعف، لذا فهي تحتاج إلى إيمي كي ترث هذه الموهبة منها، وتحمي المنزل وما فيه، وخاصة تلك البوابة.

فقالت كارن بغضب:

ـ وأنتَ تساعدها على ذلك يا آدم، ألهذه الدرجة أنتَ ذليل وخاضع لها؟

لم يشأ أن يغضب منها، فهو يعلم مدى ألمها وضيقها خاصة بعدما حدث لوالدتها فقال:

ـ أنا مجرد خادم ولا أستطيع رفض أوامرها، وكل ما حدث لي كان بسبب تهور والدتك عندما ألقت بي كالكلب داخل الصندوق وتخلّت عني. لقد أعادتني إلى المستقبل في وقت غير مناسب لأكتشف أن زوجتي كانت تخونني مع أحد أعدائي، ولم أستطع حماية نفسي ولا الانتقام، بل تم سجني مجدداً وكادوا أن يقتلوني لولا أن خالتكِ أعطتني فرصة أخرى، وأوهمت الجميع أنني مُت بسكتة قلبية.

***

كان جاك يجلس وحيداً في مركز الشرطة، بعد أن أخذوا والدته إلى التحقيق للتأكد من سلامتها العقلية. وعندما عادت كانت نظراتها حزينة، وقد امتلأت عيناها بالدموع فسألها:

ـ هل أنتِ بخير يا أمي؟ ما الذي حدث؟ لماذا لم يساعدونا؟

بكّت لورا بصمت وقالت:

ـ رجال الشرطة لم يرَوا المنزل، لقد التقط الضابط صوراً لموقع المنزل، ولم يكن موجوداً في تلك الصور. هل نحن نهلوس حقاً؟! لكن كيف يحدث ذلك؟

ـ يجب أن نُخرج أنفسنا من هذا المأزق، سأخبر رجال الشرطة بأننا كاذبون، أو بأننا قمنا بتعاطي المخدرات.

ـ لكن كيف سيكون موقفي؟ الأمر محرج!

ـ هذا أفضل من أن يتم وضعنا في المصحة العقلية، يجب أن نعود لإنقاذ إيمي والباقين.

فجأة شعر جاك بألم فظيع في رأسه، وأخذ يئن من شدته وقال:

ـ يجب أن نخرج من هنا بسرعة يا أمي.. هناك شعور غريب ينتابني، إيمي في خطر، أشعر بالاختناق!

ثم سقط على الأرض مغشياً عليه.

فجأة استفاقت إيمي وأخذت تتلفث حولها وقد علّت الدهشة وجهها، فاحتضنتها كارن بسعادة:

ـ أخيراً استفقتِ، هل أنتِ بخير؟

حدّقت إيمي إلى أختها وكأنها لا تعرفها، ثم قالت:

ـ مَن أنتِ أيتها الشابة الجميلة؟

ـ إيمي هذه أنا أختكِ كارن، ما بكِ يا عزيزتي؟

ضحكت إيمي بصوت عالٍ، وقالت:

ـ أنا ليس لديّ أخوات يا عزيزتي، ولكن يسعدني أن تكوني أختي.

التفتت كارن إلى جينتشي وهي تبكي لكونها عاجزة عن فعل شيء لأختها، فقال لإيمي كي يتأكد:

ـ حسناً، أخبرينا ما هو اسمكِ؟ ولماذا أنتِ هنا؟

قاطعهم صوت لورين:

ـ أوه! لقد اكتمل القمر يا عزيزتي، تعالَي معي كي نقوم بتجهيزكِ

للطقوس لتصبحي وريثتي.

وقفت كارن أمام أختها وهي تحاول أن تمنعها من الذهاب برفقة لورين، ولكنّ إيمي تصرّفت بلا مبالاة وكأنها شخص آخر، وأبعدت كارن عن طريقها، ثم سارت برفقة لورين التي كانت تقف وتنتظرها وهي تبتسم بسعادة. فقالت كارن وهي ترجوها:

ـ أرجوكِ، اتركي أختي وشأنها... خذيني بدلاً عنها.

ـ لا حاجة إلى ذلك، اخرجي مع حبيبكِ من منزلي واتركينا وشأننا. لقد اختارت إيمي أن تُتمّ طريقها معي، وأنتِ طريقك سيكون مع والدتكِ.

ذهبت إيمي برفقة لورين، فأخذت كارن تبكي عاجزة، بينما أخذ جينتشي يُربّت على كتفها، ويحاول التخفيف عنها:

ـ ليتني أستطيع مساعدتك!

فارتمت في أحضانه، وأخذت تبكي وتفكر في مصير والدتها وأخيها.

***

اضطرت لورا أن تخبر الشرطة أنها كانت ثملة هي وابنها، وقدّمت بلاغاً كاذباً واعتذرت عن إزعاجهم متعللة بمشكلة أسرية. لم يقتنع الضابط بحديثها ولكنه تركها تذهب بعد أن تعهّدت بعدم تكرار ما حدث، وإلّا سوف يتم سجنها. أسرعت نحو منزل خالتها مجدداً، وعندما وصلت أخذت تطرق الباب بقوة، فسمعت صوت كارن تقول:

ـ لا أستطيع فتح الباب يا أمي، خالتي تُضمِر أمراً سيئاً لإيمي، وأنا لا أعرف ماذا أفعل!

ازداد غضب لورا من خالتها، ثم قالت:

ـ أين آدم؟ أخبريه أنني أريد أن أتحدث إليه بسرعة.

أسرعت كارن لتبحث عن آدم، والذي كان يجهز مائدة الطعام للضيوف الذين سيأتون إلى حفل التنصيب. فقالت له:

ـ أرجوكَ تعالَ معي..

رفض آدم أن يتحدّث إلى لورا، فقالت له كارن وهي تبكي:

ـ أرجوكَ يا آدم نحن بحاجة إليكَ، لا تترك خالتي تتحكم في إيمي!

لم يكن أمامه سوى الرضوخ لكارن، فاقترب من نافذة المنزل حيث كانت لورا تنتظره، وقالت له وهي تبكي:

ـ أعلم أنك ما تزال غاضباً وربما تكرهني وتود قتلي، لكن لا ذنب لإيمي أو لكارن فيما حدث. أرجوكَ يا آدم لأجلهما وليس لأجلي، ساعد إيمي وخلّصها من يد خالتي قبل أن يحدث لها مكروه.

صمت آدم لبرهة، ثم قال:

ـ ليس في يدي حيلة، أنا مجرد خادم ذليل لها بعد أن أقسمتُ على طاعتها...

قاطعته لورا:

ـ أنتَ لست خادماً لها، فلطالما ساعدتَني واهتممتَ بأولادي، وأنا

أرجوكَ الآن وأعدكَ أنني سأفعل كل ما تطلبه مني إنْ أنقذتَ حياة ابنتي.

ـ خالتكِ لن تقتل إيمي يا لورا، هي فقط ستورثها قوتها وتُنَصِّبها لملكية المنزل والبوابة.

ـ لا تسمح بذلك يا آدم، إيمي لا تستحق كل هذا العذاب.. ابنتي فتاة رقيقة وحساسة ولا علاقة لها بمثل هذه الأمور. ساعدني، وأعدكَ بتنفيذ كل ما تطلبه مني.

صمت آدم وأخذ يفكّر وقد بدأ يشعر بالخوف، فهو يعلم سطوة لورين وقوتها، ولكنه قال:

ـ يبدو أنها ستكون نهايتي! حسناً سأحاول أن أنقذ إيمي، ولكنني لا أعدكِ بشيء. أولاً يجب أن تدخلي إلى المنزل.

ـ لكن نحن لا نستطيع الدخول إلى المنزل.

ـ بل تستطيعين الدخول يا لورا عبر الصندوق الموجود في الكوخ.

ـ لكن ماذا لو أخذني إلى أزمنة أخرى؟ ربما أتأخر قبل أن أصل إلى المنزل وأنقذ إيمي!، ألا يوجد حل آخر؟

ـ لا أعتقد، فلن تستطيعي الدخول إلى المنزل بأي طريقة أخرى، وإن خرجتُ أنا فلن أستطيع الدخول مجدداً أيضاً. فخالتك تحمي المنزل جيداً بحراس من عوالم سفلية، لذا عليكِ أن تعودي إلى زمن بعيد جداً، حتى لا تستغرقي وقتاً طويلاً للعودة.

فكّر قليلاً ثم قال:

ـ لمَ لا تنتقلين إلى طفولة خالتكِ ووالدتكِ؟ لعلكِ تجدين شيئاً يساعدكِ في إنقاذ إيمي أيضاً.

وافقت لورا على ما يقوله، فهي لا تملك حلاً آخر، وقبل أن تذهب إلى الكوخ، قالت لآدم:

ـ أرجوكَ اعتنِ بابنتي، وسامحني يا آدم!

ثم أسرعت نحو الكوخ هي وجاك، وقالت له قبل أن تدخل إلى الصندوق:

ـ اعتنِ بنفسكَ، وأنا سأبذل جهدي كي أعود وأنقذكم جميعاً بشكل صحيح هذه المرة.

ـ ألا يجب أن أذهب معكِ؟

ـ كلّا يا عزيزي، بل ابقَ هنا.. لعلك تجد طريقة لدخول المنزل أو تجد مَن يستطيع مساعدتكَ.

احتضنت ابنها، ثم قفزت إلى الصندوق الذي أغلق أبوابه خلفها...

***

العودة إلى الماضي

شعرت لورا بسعادة عندما وجدت نفسها داخل المنزل مباشرة، ولم تحتج أن تذهب إلى زمن مختلف، بل أوصلها الصندوق إلى داخل المنزل مباشرة. فأسرعت إلى الطابق السفلي تبحث عن آدم، لكنها لم تجد أحداً في المنزل! فالمكان كان هادئاً جداً، ولكنها كانت تشمّ رائحة غريبة. وفجأة فَتَح أحدهم الباب الخارجي، فاختبأت كيلا يراها، فدخل رجل يبدو في الخمسينات من عمره ملتحٍ ويحمل في يده عصا، ثم دخلت خلفه فتاة تبدو في منتصف العشرينات تقريباً وترتدي ملابس غريبة وكأنها من العصر الفيكتوري، حيث كان الزيّ فستاناً منتفخاً ومليئاً بالتفاصيل وعلى رأسها قبعة تحوي بعض الريش وقماش التل. فأخذت لورا تراقبهما بحذر وسمعت الحوار الذي دار بينهما.

حيث قالت الفتاة للرجل بسعادة:

ـ إنه منزل جميل يا حبيبي، هل سنتزوج هنا؟

اقترب منها الرجل وقبّل يديها بلطف وقال:

ـ نعم يا حبيبتي، سنقيم الحفلة في الحديقة ما رأيكِ؟

ضحكت الفتاة بغنج وهي تحتضن الرجل، ثم أخذت تقفز كطفلة صغيرة.

ـ أنا محظوظة جداً لأنني سأتزوج رجلاً مثلكَ.

ثم بان الحزن على وجهها الجميل، وقالت:

ـ ولكن متى ستتخلص من زوجتكَ؟ لقد وعدتَني أنك ستُنهي الأمر بسرعة، أنتَ تعرف أنني أخاف منها ومن تصرفاتها المجنونة.

ـ لا تقلقي، سيكون كل شيء على ما يرام، ولكن أنتِ تعلمين أنني لا أستطيع تطليقها أو الانفصال عنها، لأنها تملك كل شيء. لذا يجب أن أجد طريقة أخرى للتخلص منها.

قاطعته الفتاة وهي تبتسم بمكر:

ـ لماذا لا تتخلص منها نهائياً، وتصبح أنتَ الوريث لكل أملاكها؟

ـ وكيف أفعل ذلك؟ هل أقتلها؟

شهقت الفتاة وتصنّعت الذعر:

ـ كلا نحن لسنا مجرمين، لكن هل نسيتَ تلك الغرفة التي أخبرتَني عنها؟ لِمَ لا تحبسها فيها وتتركها هناك، وتخبر الناس أنها خرجت من المنزل ولم تعد؟، فالجميع يعلمون كم هي مجنونة وأنها تتصرف أحياناً بطريقة عدائية، لذا سيصدقون ذلك

لكن الرجل قال:

ـ لا تنسَي أن لديها وريثة، وهي ابنتها المعاقة.

ـ ومن يعلم بأمرها غيركَ؟ الفتاة محبوسة في المصحة العقلية منذ سنين، ولا أحد يعلم أنها ابنتها غيركَ، لذا لا تكترث لأمرها.

أخذ الرجل يفكر، ثم قال:

ـ إذن عليكِ أن تساعديني.

تبعتهما لورا بحذر، وهما يذهبان إلى الطابق العلوي، ثم دخلا إحدى الغرف حيث كانت تستلقي على السرير سيدة في منتصف الخمسين من عمرها. كانت تبدو مريضة جداً، فقد نحل جسدها وغزا الشيب شعرها، فاقترب الرجل منها وقال وهو يتصنّع الحب:

ـ عزيزتي، سنأخذكِ إلى المستشفى، فأنتِ تبدين منهكة.

التفتت السيدة إليه وابتسمت رغم تعبها:

ـ لا تُرهقْ نفسكَ يا حبيبي، سأتناول الدواء وأنام، مَن هذه الصبية؟

أجابها وهو يجلس قربها ويمسك بيدها بلطف:

ـ إنها ممرضة، أتيتُ بها كي تساعدكِ وتعطيكِ الدواء وتعتني بكِ.

حدّقت السيدة بالفتاة وفي عقلها شك وقلق، فالفتاة لا تبدو كممرضة، فملابسها أنيقة جداً، كما أنها تضع مساحيق التجميل على وجهها بشكل مبالغ فيه.

ـ كيف ستساعدني وهي بهذه الأناقة؟! هل أنتَ متأكد من أنها ممرضة؟

قالت ذلك بوجه متجهم وغاضب، فردّ بلطف:

ـ عزيزتي إنها ممرضة خاصة، وتريد أن تتعرف عليكِ أولاً قبل أن تبدأ العمل. ما رأيكِ لو تجربين طريقتها في إعطاء الحقنة، فموعد دوائكِ قد حان؟

ترددت السيدة في القبول، ولكنّ إصرار الرجل جعلها توافق، فقامت الفتاة بإعطاء العجوز حقنة الدواء بطريقة بارعة، فقالت

السيدة وهي تنظر إلى يدها:

ـ تبدو ممرضة جيدة وبارعة، فهي لم تجعلني أتألّم كما فعلت الممرضة السابقة، ولكن لا أحب ملابسها ولا تبرُّجها الصارخ، يجب أن ترتدي زي الممرضات.

ابتسمت الفتاة وقالت:

ـ بالطبع يا سيدتي سأفعل، إنما أتيتُ هكذا اليوم كي أتعرف عليكِ أولاً، وسأكون سعيدة بالعمل هنا معكِ.

وبعد بضع دقائق فقط، غطّت السيدة في نوم عميق، وأخذ الاثنان يضحكان ويقهقهان، ثم قال الرجل:

ـ سأذهب أولاً لتجهيز المكان، أما أنتِ فانتظريني هنا.

لحقت لورا بالرجل بحذر، ولكنّه توقّف أمام صندوق ضخم جداً مزين بزخارف غريبة، وعندما فتحه كان الصندوق مجوفاً ويؤدي إلى غرفة سرية بين جدران المنزل. فذُهِشت لورا ممّا رأته فقد كان نفس الصندوق الموجود في منزل خالتها، وأخذت تتساءل: كيف وصل إلى هنا؟ وفي أي زمان هي؟! أطلّت برأسها داخل الصندوق وهي ترتجف خوفاً من أن يكتشفا وجودها... وما شاهدته جعلها تفتح عينيها بذعر وتغلق فمها بيدها كيلا تصرخ، فقد كانت الغرفة السرية مليئة بالعظام والجماجم البشرية، وفي وسطها سرير طبي وفوقه جثة متحللة، وقد عُلّقت مجموعة من الأجزاء البشرية المتعفنة على خطاطيف معلّقة في السقف. والإضاءة كانت خافتة جداً ممّا جعل المكان أكثر كآبة بالإضافة إلى رائحته العفنة. ظلّ

الرجل داخل الغرفة السرية بضع دقائق، ثم عاد مسرعاً وحمل السيدة بمساعدة الفتاة، ووضعها على السرير داخل الغرفة السرية بعد أن أزاح الهيكل العظمي المتحلل، وبعد أن خرجا أقفل الصندوق خلفه بقفل حديدي وألقى بالمفتاح من النافذة. وأخذا يضحكان بخبث وهما يقبلان بعضهما، ثم قالت الفتاة:

ـ الآن عليك أن تذهب إلى الشرطة وتخبرهم أنها اختفت، وعندما يأتون للبحث عنها لن يجدوا لها أي أثر، كما حدث للأشخاص السابقين.

ابتسم الرجل، لكنه قال بقلق:

ـ أعتقد أنني يجب أن أتريّث قليلاً، فعندما تأتي الشرطة ربما يشكون في الأمر وتنكشف خطتنا! لنتركها تموت جوعاً ومرضاً وبعدها نخبر الشرطة.

وخلف ذلك الصندوق كانت العجوز تصرخ بكل قوتها، ولكن لم يكن يسمعها أحد ولا حتى لورا. خرج الرجل مع الفتاة من المنزل ليحتفلا، فاقتربت لورا من الصندوق وحدّقت إليه بخوف، ثم وضعت يدها فوقه ليتوهّج وتُفتح أبوابه على مصراعيها، فدخلت الصندوق بسرعة ثم وجدت نفسها في المنزل مجدداً.

أسرعت إلى الطابق السفلي تبحث عن آدم لكنها لم تجده، بل وجدت شابة تجلس وحيدة وهي تبكي، وعندما أمعنت النظر إليها عرفت مَن تكون، فقد كانت خالتها لورين عندما كانت أصغر عمراً، فظلت تراقبها ولورين تجلس وحدها وهي تحمل بيدها صورة لها ولأختها إيزابيل وتحتضنها وتبكي، ثم نهضت لورين وأمسكت

الهاتف وأخذت تتحدث:

ـ إيزابيل، أنا أحتاجكِ كثيراً.. ساعديني!

ثم صمتت قليلاً، وقد ازداد بكاؤها:

ـ أرجوكِ! أنتِ أختي الوحيدة، ولا أحد يستطيع مساعدتي، لا تتخلّي عني!

مسحت لورين دموعها، وأكملت:

ـ بعد كل ما مررنا به سوياً وبعد أن فقدنا والدينا، الآن تتركينني وتتخلين عني! أنا مريضة يا إيزابيل وربما أموت قريباً، لا أطلب منك الكثير.. فقط دعيني أكون بقربكِ، فأنا أشعر بالوحدة، ولا أحد يهتم بي!

ثم أغلقت الهاتف وأخذت تبكي بحرقة مجدداً، لا تعرف لورا ما الذي حدث بين لورين ووالدتها، ولكن لماذا ترفض والدتها البقاء مع أختها الوحيدة؟! وهل كانت خالتها مريضة؟ أخذت لورين تصرخ وهي تضع يدها على رأسها وكأنها تتألم، فشعرت لورا بالشفقة عليها وتمنّت لو أنها تستطيع الاقتراب منها لتساعدها، ولكن كيف ستفعل ذلك؟ عندما شاهدت الصندوق يتوهج مجدداً أسرعت وقفزت في داخله، فهي لا تريد أن تتأخر أكثر عن ابنتها، وعندما فتحت عينيها وجد نفسها مجدداً داخل المنزل، وآدم يقف أمام الباب الخشبي منتظراً.

ـ أخيراً أنا هنا، أشكركَ يا آدم وأعدكَ أنني سأفي بوعدي.

ابتسم آدم بصعوبة رغم شعوره بالضيق:

ـ انسَي أمر الوعود الآن، إيمي في خطر علينا أن نسرع.

أسرع الاثنان نحو العليّة، حيث كانت لورين تُجهِّز إيمي وتتلو التعاويذ عليها، فطرقت لورا الباب بقوة:

ـ أرجوكِ يا خالتي دعيني أتحدث إليكِ، وأعدكِ بأنني سأفعل ما تريدين بعدها.

لم تجبها لورين، فأكملت لورا بعد تردد:

ـ عرفتُ الآن أنّ والدتي تخلّت عنكِ، عرفتُ أنكِ كنتِ مريضة ووحيدة، وأنّ أمي لم تهتم. عرفتُ سرّ لعنة هذا البيت والبوابة.

توقفت لورين عن إلقاء التعاويذ، وفتحت الباب وفي عينيها دهشة وغضب:

ـ لماذا فعلتِ ذلك، وعدتِ إلى الماضي؟

ـ لم أفعل ذلك بإرادتي، كنتُ أريد الدخول إلى المنزل فقط، وأخذتني البوابة إلى ماضيكِ أنتِ وأمي. أنا أعتذر بالنيابة عنها، لم أكن أعلم شيئاً عن علاقتكما.

التفتت لورا إلى ابنتها النائمة بهدوء داخل الغرفة على سرير فاخر، وقالت بحزن:

ـ إيمي بريئة.. ربما هي في محل براءتكِ وعفويتكِ عندما كنتِ في عمرها، لكنها لا تصلح لمثل هذا الأمور يا خالتي!

فقالت لورين بعد صمت:

ـ كارن وجاك مثل والدتكِ، هما أيضاً لا يصلحان، وأنتِ أنانية ومليئة بالحقد. إيمي هي الوحيدة التي تستحق أن تكون وريثتي، لذا أرجوكِ دعيها لي، يكفي أن والدتكِ تخلّت عني وأضرّت بسمعتي وحياتي وألّبت الجميع ضدي ودمرت نفسيتي من دون سبب. لقد تركتني وأنا في أمس الحاجة إليها، ونسيتني، وكأنني لا أعني لها شيئاً، أرجوكِ لا تفعلي مثلها.

قاطعتها لورا:

ـ أنا على يقين أنّ هناك سبباً جعلها تفعل ذلك.

صمتت لورين، ثم التفتت إلى إيمي، وقالت وهي تقترب منها:

ـ يجب أن أجهّز إيمي للتنصيب، فعند منتصف الليل سيبدأ الاحتفال، وسيبدأ الضيوف بالتوافد. لذا أرجوكِ ارحلي!

أمسكت لورا بذراع خالتها وهي تبكي:

ـ أرجوكِ دعينا نؤجّل الأمر، ونعود أنا وأنتِ إلى طفولتكِ لربما عرفنا السبب، عندها نستطيع حلّ جميع الأمور بطريقة مختلفة.

سحبت لورين ذراعها، ثم أشاحت بوجهها عن لورا كيلا ترى دموعها.

ـ لا أستطيع، وإيمي لن تستيقظ إلّا بعد إنهاء المراسم. لديكِ جاك وكارن.. لذا اتركي إيمي معي، وأعدكِ بأنني سأرعاها، ولن أدعَ أي مكروه يصيبها، بل على العكس ستكون الملكة هنا.

رفضت لورا ذلك بحزم:

ـ أبنائي سيخرجون جميعهم معي، وإلّا لن أخرج من هنا أبداً!، لذا أرجوك مجدداً.. عودي معي إلى الماضي كي نصلح الحاضر بيننا يا خالتي. أنا لم أكن أعرفكِ جيداً وأنتِ كذلك، ربما هذه فرصة كي نعرف بعضنا بعضاً، ونحيا كأسرة حقيقية.

صمتت لورين وهي تفكر، ثم قالت:

ـ هل تعدينني بعد ذلك أن تظل إيمي معي؟

ترددت لورا في الإجابة، لكنها قالت وهي تنظر إلى إيمي النائمة:

ـ إن كانت إيمي موافقة على ذلك بإرادتها، سأوافق حينها.

أغلقت لورين الباب، وطلبت من آدم حراسته أثناء غيابهما، ثم ودّعت لورا ابنتها كارن وقالت لها:

ـ اعتني بأختكِ وأنتَ أيضاً يا جينتشي، أعلم أنكَ هنا رغماً عنكَ، ولكن أنا أثق أنكَ ستهتم بابنتيّ وستحميهما.

ـ لا تقلقي يا سيدتي، ستكون كارن بخير، وكذلك إيمي وجاك، أعدكِ بأنني سأبذل كل جهدي لحمايتهم.

ثم التفتت إلى آدم الذي بذل جهده لكيلا يبدو ضعيفاً أمام نظراتها الحزينة، وقال لها:

ـ جميعهم تحت حمايتي يا لورا، لذا لا تقلقي!

ـ أنا أثق بكَ الآن كما وثقتُ بكَ في الماضي، وأعلم أنهم سيكونون بخير ما دمتَ معهم. شكراً لكَ وأعدكَ أنني سأعوضكَ عمّا فعلتُه بكَ في الماضي.

ثم التفتت لتنظر إلى جاك، والذي كان ما يزال خارج المنزل يراقب ما يحدث من النافذة، فابتسمت له، ثم قالت لها لورين:

ـ سأعود معكِ إلى الماضي، عندما كنا أطفالاً أنا ووالدتكِ، وسترين حجم معاناتي وغضبي يا لورا، وأنا أثق أنكِ ستعذرينني بعد ذلك.

قفزتا سوياً داخل الصندوق ووقفت كارن تنظر إليه وفي عينها دمعة، فاقترب منها جينتشي ووضع يده على كتفها، ثم أحاطها بذراعيه وقال:

ـ ربما هذه فرصتهما كي تنتهي جميع المشاكل، ويصبح كل شيء واضحاً بينهما.

ابتسمت ومسحت دمعتها:

ـ أتمنى ذلك.

أمّا آدم فكان عقله مشغولاً بلورا، وما ستعرفه من حقائق بعد مغامرتها مع خالتها في الماضي.

***

وجدت لورا نفسها في منزل صغير جداً مختلف تماماً عن منزل خالتها، وسمعت صوت بكاء فتاة صغيرة، فتبعت مصدر الصوت لتجد فتاتَين توءم، إحداهما كانت تبكي على الأرض والأخرى تقف بالقرب منها وتمسك بيدها عصا. وفجأة دخلت سيدة وأخذت تضرب الفتاة التي تحمل العصا بقسوة وتوبّخها:

ـ لماذا ضربتِ أختكِ؟ أنتِ فتاة شقية، ولن تتعلمي الأدب!

لم تبكِ الفتاة، بل ظلّت تنظر إلى المرأة بصمت وفي عينيها حزن وخوف، ثم أمسكت تلك السيدة بيد الفتاة الأخرى وحملتها وقالت:

ـ أنتِ معاقبة يا لورين، وستبقين محبوسة هنا بدون عشاء، حتى تتعلمي كيف تتعاملين مع أختكِ وتصبحين أكثر لطفاً.. يا لَك من فتاة غريبة!

ثم خرجت وأغلقت الباب بقوة، فاقتربت لورا من الفتاة التي تبدو في السادسة من عمرها تقريباً، وقالت لها:

ـ ما هو اسمكِ يا عزيزتي؟ شعرت الفتاة بالذعر، لكنّ لورا ابتسمت بلطف، فأجابتها الفتاة:

ـ اسمي لورين، مَن أنتِ؟ وكيف دخلتِ الغرفة؟

ابتسمت لورا وربتت على شعرها بعطف، وقالت:

ـ اسمي لورا وأنا صديقة لكِ، لكن أخبريني: لماذا قمتِ بضرب أختكِ؟

أخفضت لورين رأسها بحزن، وقالت:

ـ لم أضربها، أنا فقط طلبتُ منها أن تعيد كتابي، لكنّها مزّقته ثم أعطتني العصا وأخذت تبكي وتصرخ، ولا أعرف لماذا؟!

ثم ابتسمت لورين، وأكملت حديثها:

ـ أنتِ لستِ أول شبح أقابله، لقد رأيتُ أيضاً شبحاً لرجل غريب لديه ندبة في عنقه، ولكنني لم أشعر بالخوف منه. وكذلك هناك شبح سيدة عجوز، قالت لي إنه سيكون لي طفلة اسمها إيمي عندما أكبر.

ـ إذن، أنتِ ترين الأشباح؟!

أجابتها الطفلة لورين:

ـ نعم الكثير منهم، وبعضهم يطلبون المساعدة مني. لقد ساعدتُ سيدة في البحث عن المجرم الذي قتلها ووضعها في حفرة، لكنّ أمي لا تصدّقني وتقول بأنني مجنونة.

شعرت لورا بالأسى على حال لورين، من جراء سوء المعاملة التي تتعرض لها من قبل عائلتها، فقالت لها:

ـ لا تقلقي، سيعلم الجميع يوماً ما أنكِ لستِ كذلك.

فكّرت لورا بحزن: هل كانت والدتها قاسية أم أنانية عندما تسببت بإقصاء لورين وإبعادها عن الناس وعن عائلتها؟ فجأة فُتح الباب مجدداً وعادت لورا إلى الاختباء خلف الستارة، فدخل رجل وأخذ يتحدث إلى لورين بلطف قائلاً:

ـ والدتكِ قالت بأنكِ ضربتِ إيزابيل، لماذا فعلتِ ذلك؟

ـ لم أضربها يا بابا، أردتُ منها أن تعيد كتابي فقط.

قاطعها والدها بنفاذ صبر، وهو يمسك معصمها ويهزها بقوة:

ـ إلى متى ستستمرين في الكذب؟ في الأمس تسببتِ بموت الكلب...

شهقت لورين، وأخذت تبكي بحرقة:

ـ هل مات ليكسي؟ صدّقني لم أقتله يا أبي! أختي إيزابيل هي من وضعته في الثلاجة، ثم أخبرتني أن هناك هدية لي في الثلاجة، لم

أعتقد أنه ليكسي!

سحب والدها نفساً عميقاً وهي ما تزال تبكي، ثم صرخ في وجهها:

ـ لا أعرف كيف أتصرف معكِ! ما زلتِ طفلة وتكذبين كثيراً وتتصرفين بعدوانية مع الجميع، حتى إنّ معلمتكِ تشعر بالخوف منكِ وممّا تقولينه داخل الصف! ما الذي ستفعلينه عندما تكبرين؟

فجأة لاحظ الأب أن لورين تحدّق في الفراغ وتبتسم وكأنها تراقب أحدهم، فصفعها على وجهها بقوة، فسقطت أرضاً ووضعت يدها على خدها، فأمسك بذراعها وشدّها بقوة وأخذ يصرخ:

ـ أنتِ مجنونة حقاً، يجب أن أجدَ حلاً لكِ قبل فوات الأوان.

وبعد أن خرج وصفق الباب خلفه، وقفت لورين تحدّق في الفراغ مجدداً وتبتسم:

ـ هل أنتِ هنا يا صديقتي؟ صدّقيني سأخرجكِ من الظلام! لا تخافي.. أجل سأحاول إقناع والدتي.

ثم تضحك وتكمل:

ـ أجل هناك سيدة اسمها لورا أيضاً، وتبدو لطيفة.

ثم دخلت إيزابيل وأخذت تضحك بسخرية:

ـ أنتِ تتحدثين إلى الحائط مجدداً؟! مَن هي لورا؟

التفتت لورين إلى أختها إيزابيل:

ـ إنها صديقتي الجديدة، كانت هنا تتحدث معي قبل قليل.

ظلت إيزابيل تسخر من لورين التي لم تهتم لسخريتها، بل تركتها وخرجت من المنزل. فبحثت لورا عن خالتها، ولكنها لم تجدها في أي مكان. لذا قررت أن تتبع لورين الطفلة، فرأتها تتجه نحو المقبرة وتدخل إليها، فدخلت لورا خلفها لتجد لورين تجلس بالقرب من أحد الأضرحة وكأنها تتحدث إلى شخص يقف أمامها.

ـ لا تخافي... سنخرجكِ قريباً.

ثم أخذت تغني وتمسح على شاهدة القبر، وأخذت دموعها تنهمر على وجنتيها. فشعرت لورا بمدى حزن خالتها وشدة ما تعانيه رغم صغر سنها. ثم دخلت والدتها إيزابيل إلى المقبرة، واقتربت من لورين وأخذت تشتمها وتضربها ثم تضحك بسخرية. أرادت لورا أن تتحدث إليها وتُنقذ لورين، لكنّ آدم أخبرها من قبل بأنه يجب ألّا تقوم بأي عمل قد يتسبب في تغيير المستقبل. فظلت تراقب ما يحدث بحزن، وتفكر بكل ما كانت تقوله والدتها عن خالتها لورين وردة فعلها إذا سألتها عنها، وتذكّرت حديث لورين عن أختها بأنها شخص أناني ولا تحب أحداً سوى نفسها. لكنها لم تكن تتوقّع أن والدتها بهذه القسوة أبداً، رغم أنها لا تتذكر والدتها كثيراً. ثم تساءلت في نفسها: هل هي شخص طيّب كما كانت تعتقد، أم أنها كوالدتها قاسية القلب؟ وتذكّرت ما فعلته بآدم وكيف تخلّت عنه بعد أن ساعدها وكيف تصرفت بمنزل خالتها، ثم أخذت تبكي وتشعر بالذنب، ثم شعرت أن أحدهم وضع يده على كتفها، وعندما التفتت كانت خالتها لورين تبتسم لها وتقول:

ـ هل رأيتِ كيف كانت طفولتي يا لورا؟ الجميع كانوا يسخرون

مني!، وعندما أصبحتُ مراهقة تمرّدتُ وكرهتُ كل شيء. وبالرغم من كل ما حدث لي، لم أكره أختي حتى جاء ذلك اليوم الذي وصمتني فيه بالعاهرة ظلماً، لأنّ حبيبها أخذ يلاحقني، كما أنه أخبرها بأنني أجمل منها وأنه يفضّلني عليها، مما زاد غيظها وكرهها لي. كان ذلك بعد وفاة والدينا مباشرة، فلم أتحمّل ما كانت تقوله، لذا خرجتُ من المنزل ولم أعد إليه مجدداً. أما هي فلم تهتم بي أو تحاول معرفة أخباري حتى توفيَ والدكِ، وأصبحت هي بلا مأوى، فاستقبلتها بكل حب ولم أتصرف بعدائية معها. كنتِ أنتِ حينها طفلة صغيرة، هل تذكرين؟

ـ ما زلتُ أحتفظ ببعض الذكريات، كنتُ أعتقد في البداية أنها مجرد أحلام، وأذكر صراخ أمي وشجاركما الدائم.

ـ أجل، لم أنسَ ذلك اليوم عندما استيقظتِ وحدكِ وأتيتِ إلى غرفتي، لقد لعبنا سوياً وكم كنتُ سعيدة عندما ناديتِني بماما!، لأنني كنتُ أتمنّى أن تكون لي ابنة، ثم أخذتكِ لأريكِ الحصان المجنح الذي كنتُ أحتفظ به في الكوخ، لتلعبي معه لأنها كانت أمنيتكِ.

ابتسمت لورين وهي تتذكر وتكمل حديثها:

ـ كان منظر والدتكِ مضحكاً عندما دخلتُ إلى الكوخ وأنتِ فوق الحصان، فقد أمسكتُ بذراعكِ وخرجتُ كالمجنونة من المنزل. كنتُ أعتقد أنها ستبلغ الشرطة، ولكن لا أعرف لماذا لم تفعل!

ـ ربما كانت تخاف أن يعتقدوا بأنها مجنونة.

صمتت لورين لبرهة وهي تتذكر:

ـ الجميع وصمني بالجنون، ولم يهتموا بمعرفة ما أعانيه. وعندما قمتُ بشراء ذلك المنزل ازداد فضولي وتغيّرتُ تماماً.

ـ أنا أعتذر بالنيابة عنهم جميعاً وعن نفسي، ليتَني عرفتُكِ أكثر، لكنّ أمي لم تسمح بذلك وأبعدتني إلى درجة أنني لم ألجأ إليكِ بعد أن توفيت وتركتني وحدي، وفضّلتُ البقاء في دار الأيتام، ليتَني لجأتُ إليكِ حينها!

ابتسمت لورين:

ـ لكُنتِ أنتِ وريثتي وابنتي أيضاً.

قالت لها لورا وهي ترجوها:

ـ أرجوكِ يا خالتي اتركي إيمي.. إنها ما تزال صغيرة، أنا سأكون بدلاً عنها، وأعدكِ أنني لن أخذلكِ. ثم إنّ هناك شخصاً يستحق التضحية، ويجب أن أعوّضه عمّا فعلته به.

ابتسمتْ لورين وقالت:

ـ أتقصدين آدم؟ ذلك المغفل.. ظلّ يفكر بكِ حتى بعد ما فعلتِه، أعتقد أنه يحبكِ كثيراً، لكنه يُظهر عكس ذلك بسبب ما حدث بينكما في الماضي.

شعرت لورا بالخجل:

ـ لقد قابلتُ آدم في وقت غير مناسب، ولكن الآن أشعر أنني ظلمته ولم أحترم قراره، وأريد أن أعوّضه كي يسامحني.

تنهدت لورين بحزن وقالت:

ـ كنتُ أتمنى أن أسمع اعتذاراً من أختي، أو على الأقل أن تشعرني بأنني شخص هام بالنسبة إليها.

ـ وما سبب كرهها لكِ؟ أنتما توءم، وكان من المفترض أن تكونا قريبتَين من بعضكما بعضاً.

أجابتها لورين وهي تمشي متجهة إلى المنزل:

ـ لا أعرف، رغم أنني حاولتُ التحدث إليها والتقرب منها، ولكن بلا فائدة! لقد كانت تكرهني إلى درجة أنها تُفضِّل أن تبقى وحيدة على أن تبقى بقربي.

عندما عادتا إلى المنزل شاهدتا إيزابيل الصغيرة تجلس وحدها، وتلعب بدمية لورين وتتحدث معها. ولكنّ طريقة لعبها لم تكن عادية كما يفعل الأطفال، فقد كانت تتحدث إلى الدمية وكأنّها شخص حقيقي، وتجثو أمامها وهي تبكي:

ـ سامحني أرجوكِ!، لن يكتشف أحدهم أمري.. أعدكِ.

ثم أخذت تبكي وهي تحتضن الدمية. حدّقت لورين بدهشة إلى أختها إيزابيل الصغيرة، وتساءلت في نفسها: "هل ترى أختها الأشباح أيضاً؟ ولكن.. لماذا لم تخبرها؟!"، ثم طلبت من لورا أن تتحدث إلى إيزابيل وتخبرها بأنها شبح. فاقتربت لورا من إيزابيل الطفلة، فأسرعت بمسح دموعها وقالت بغضب:

ـ من أنتِ؟

أجابتها لورا وهي تبتسم:

ـ اسمي لورا، أنا شبح وأحتاج إلى المساعدة، هل تستطيعين مساعدتي؟

فتحت إيزابيل عينيها بدهشة وخوف، وقالت بارتباك وهي تتلفّت حولها:

ـ اخرجي قبل أن يعود الساحر ويراكِ هنا، هيا اذهبي إلى لورين ستساعدكِ، أنا لا أستطيع فعل ذلك، وإلّا سيغضب مني!

شهقت لورين وهي تسمع حديث أختها مع لورا، فالتفتت إيزابيل إليها وأخذت تُحدّق بلورين، ثم خرجت بسرعة من الغرفة، فسألتها لورا:

ـ ما الذي تقصده؟

كانت لورين متوترة وهي تحمل الدمية التي كانت تتحدث إليها إيزابيل، وتحدق إليها بذعر ثم قالت:

ـ ألهذا كانت تكرهني؟ عرفتُ أخيراً ما السبب، يا إلهي! كيف لم أفكر بهذا الأمر من قبل؟!

لم تفهم لورا شيئاً ممّا تقوله، لكنّ لورين أمسكت بيدها وقالت:

ـ يجب أن نعود الآن إلى الحاضر بأسرع وقت، يجب أن ننقذ إيمي.

سألتها لورا، وقد بدَت مذعورة:

ـ أخبريني ما الذي يحدث؟ وما علاقة إيمي؟

كانت لورين ترتجف بخوف وهي تحدق إلى الصندوق، وقالت بعد تردد:

ـ أعتقد أن والدتكِ عندما جاءت لتعيش معي قد فتحت باباً ولم تستطع إغلاقه، لهذا هربت من المنزل وتركتني.

قطّبت لورا حاجبيها، فأكملت لورين:

ـ لقد علمت بأمر الصندوق وعبثت بالماضي، لكنني لا أعلم ما الذي فعلته بالضبط؟! وهل ما عبثت به يتعلّق بالمنزل أو بالبوابة أو في ماضينا أنا وهي عندما كنا طفلتين؟!

صمتت لبرهة، ثم قالت وهي تمسك بيد لورا:

ـ يجب أن نعود الآن، وسأخبركم بكل شيء.

ـ لكن كيف سنعود، ونحن في منزل عائلتكِ عندما كنتِ طفلة؟

ـ أنا أعرف الطريقة، لا تقلقي!

أخذتها لورين إلى غرفة صغيرة لا تكاد تتسع لشخص واحد، فوقفتا متقابلتين وقالت لورين وهي تنظر حولها بحزن:

ـ كانت والدتي تحبسني هنا أحياناً عندما تغضب مني، أو تعتقد أنني فتاة مجنونة وأستحق العقاب. وكنتُ أقضي ساعات طويلة وأنا أبكي.

ثم سطع ضوء أزرق غطّى المكان الصغير بالكامل، واختفتا من تلك الغرفة. وعندما فتحتا عيونهما وجدتا نفسيهما في منزل لورين، فأخذتا تحدقان إلى بعضهما لثوانٍ، ثم سمعتا صوت فتاة شابة تضحك بصوت عالٍ وتقول:

ـ سنتخلص منها الآن، وبعدها نتخلص من ابنتها المشوهة، ولن

يعلم أحد بالأمر سوانا.. سيكون هذا سرنا الصغير يا حبيبي.

شعرت لورين بالتوتر وهي تسمع كل ذلك، فقالت لها لورا:

ـ لقد كنتُ هنا من قبل يا خالتي، تلك الشابة وذلك الرجل قاما بحبس سيدة مريضة داخل غرفة سرية...

قاطعتها لورين وعلى وجهها علامات الذعر، وقالت:

ـ تلك الغرفة بابها هو نفس باب الصندوق، أليس كذلك يا لورا؟ إن ماضي هذا المنزل مرتبط بنا، ولكن لا أعرف كيف حدث ذلك؟!

ـ ربما والدتي هي مَن غيّرت الأحداث، وتسبّبت بذلك؟

شهقت لورين حينها:

ـ يا إلهي، إذن هذا هو الأمر! الآن عرفتُ السبب، لقد عادت والدتكِ بالزمن إلى هنا، وقامت بفعل شيء غيّر حياتي وحياتها.

ثم سمعتا صوت الباب الخارجي يُفتح، وبعدها عمّ الهدوء المكان، فقالت لورين بهمس:

ـ يجب أن أعرف ماذا فعلتْ أختي؟ ومَن أيقظتْ فتسبّبَ لنا بكل هذا؟ ولكن سأذهب لرؤية الصندوق أولاً.

وقفتا أمام الصندوق، فقالت لورا:

ـ لكن كيف سندخل إلى الغرفة السرية من دون أن نفتح أي بوابة زمنية أخرى؟

ـ لا تقلقي أنا أعتقد أن ذلك المجرم يحتفظ بمفتاح الصندوق في

غرفته، سنبحث عنه ونحاول معرفة ما الذي حدث لتلك السيدة المسكينة.

بحثتا في الغرفة الرئيسية ولم يظلْ بحثهما، فقد كان المفتاح على الطاولة بالقرب من السرير، فأخذته لورين ووقفت مجدداً أمام الصندوق، وقالت للورا:

ـ لا أنصحك بالدخول معي، يجب أن تبقي هنا أو عودي إلى المنزل وانتظريني.

لكنّ لورا رفضت ذلك وأصرّت قائلة:

ـ بل سأدخل معكِ، وسننهي كل شيء سوياً يا خالتي.

فتحت لورين القفل، ثم أدارت باب الصندوق وفتحته ببطء وبحذر، ثم وقفتا أمام تلك الغرفة المخيفة وأخذتا تنظران إلى ما في داخلها بذعر ودهشة!!

***

كانت كارن تشعر بالقلق كثيراً وهي تفكر بوالدتها، فقال لها جينتشي:

ـ لا تقلقي يا عزيزتي، أنا متأكد من أن كل شيء سيكون على ما يرام.

ربّت على كتفها بحنان، فالتفتت إليه وقد لاحظ دموعها وهي تقول:

ـ أنا أعتذر لأنني جئتُ بكَ إلى هذا المنزل، يبدو أننا لن نخرج منه!

لكنه ابتسم بلطف، ومسح دمعتها وقال:

ـ لا تعتذري، بل أنا سعيد جداً بوجودي معكِ، أنا حقاً أشعر أنّني أعرفكِ منذ زمن وأنّ ما بيننا له تاريخ، وأنّ كل ما حدث لنا هنا لم يكن صدفة، بل إنه مُقدّر يا عزيزتي.

كان جاك يتحدث إليهما عبر نافذة المنزل قائلاً:

ـ ألم تَعُد أمي بعد؟ لقد تأخّرت كثيراً! وإيمي ما تزال على هذه الحالة الغريبة!

تنهّدت كارن بضيق وهي تنظر إلى أختها، التي كان يحرسها رجلان ضخمان، بينما آدم يقف بالقرب منها.

ـ أتمنى أن تعود أمي بسرعة، أنا خائفة على إيمي المسكينة.

فجأة دخلت إلى الغرفة عجوز قبيحة منحنية الظهر وقصيرة القامة وتحمل في يدها عصا طويلة، وقد علّقت فوقها جمجمة بشرية. فشعرت كارن بالخوف وهي تقترب منها، فقالت:

ـ مَن أنتِ؟ وماذا تريدين؟

ابتسمت العجوز، فبانت أسنانها الصفراء المتآكلة وقالت:

ـ أنا مدعوة إلى حفل التنصيب، أين لورين والصبيّة الوريثة؟

ودخل خلفها مجموعة من الأشخاص غريبي المظهر، كلٌ منهم يرتدي ملابس أكثر غرابة ممن حوله، فقالت العجوز لكارن:

ـ هؤلاء ضيوف لورين أيضاً، فأين هي؟

كان عددهم أحد عشر شخصاً، وقفوا في صف واحد وأخذوا يحدّقون بإيمي بصمت، بينما قالت العجوز:

ـ كيف تترك لورين وريثتها بهذه الحالة وتختفي؟! لقد اقترب وقت التنصيب كثيراً، ويجب أن نبدأ المراسم.

ظلت كارن تراقبهم وهم يقتربون من إيمي ويحيطون بها، فوقفت بينهم وقالت:

ـ أرجوكم، اتركوا أختي وشأنها!

فقالت العجوز:

ـ نحن هنا بأمر من لورين، ولا نستطيع بدء التنصيب بدونها، لذا سنحرس الفتاة حتى تعود.

أحاطوا بإيمي وشكّلوا دائرة، ثم أمسكوا بأيدي بعضهم بعضاً، وظلوا واقفين بينما كارن وجينتشي يراقبان كل ما يحدث بخوف، فاقتربت كارن من آدم وقالت له:

ـ افعل شيئاً يا آدم، أرجوك أبعِدهم عن أختي!

ـ لا أستطيع، يجب أن تعود خالتكِ بسرعة، لقد تأخّرت كثيراً.

***

سر اللعنة ومنزل ألينور

بعد أن دخلت لورين ولورا إلى الغرفة السرية، ظلتا واقفتين تحدقان إلى العجوز التي كانت تصرخ بهستيريا وقد أحاطتها سحابة سوداء، أخذت بالتصاعد وبالزيادة كلما ازداد بكاؤها وصراخها، فاقتربت لورين منها بحذر وقالت:

ـ هل تحتاجين إلى المساعدة يا سيدتي؟

توقفت السيدة عن البكاء، وقالت وهي تنظر إلى لورين:

ـ لقد ساعدتني فتاة طيبة مسبقاً، وأنا مستعدة الآن كي أنفّذ انتقامي، لكنني سأطلب منكِ خدمة أخيرة، أريدكِ أن تأخذي دبوسَ الشعر هذا وتعطيه لابنتي، وأخبريها أنني لم أتخلَّ عنها بإرادتي، وأنني أحبها وأشعر بالندم كثيراً.

ازداد حجم السحابة السوداء حتى غطّت السيدة، وقالت لهما:

ـ اخرجا من هنا قبل فوات الأوان.

أسرعتا فخرجتا من الغرفة، ثم أغلقت لورين باب الصندوق وهي ترتجف ذعراً، وقالت:

ـ والدتكِ هي مَن ساعدتها، والآن تريد الانتقام وتدمير المنزل بمَن فيه...

توهج الصندوق مجدداً، فدخلت لورين ولورا إليه كي يأخذهما إلى الحاضر أخيراً. وبتأثير عودتهما اهتز المنزل بقوة عدة مرات، وقالت لورين وهي تتلفّت حولها بذعر، وتحاول أن تتوازن:

ـ لقد بدأت في تنفيذ انتقامها، يجب أن ننقذ إيمي..

أسرعتا نحو الطابق السفلي حيث كانت كارن وجينتشي يجلسان بصمت، بينما كان السحرة قد التفوا حول إيمي، وهم يرددون همهمات ويتلون تعاويذ وكلمات غير مفهومة، فصرخت لورين بهم بصوت عالٍ:

ـ توقفوا!

فالتفت الجميع إليها، وأخذوا يراقبون لورين التي وقفت وسطهم وقالت:

ـ لن تصبح إيمي وريثة لي، إنها مجرد خدعة حتى تكون قرباناً لهذا المنزل، لقد تمّ خداعي!

فقالت العجوز التي تحمل العصا:

ـ ما الذي تقولينه يا لورين؟ لقد صبرنا طويلاً حتى هذه اللحظة.. أنا وجميع السحرة الذين تمّ نبذهم من هذا العالم عبر الأزمان المختلفة، والآن تطلبين منا أن نتوقف!!

ـ كنتُ أعتقد مثلكِ أن هذا المنزل سيكون الملاذ المناسب لمَن هم من أمثالنا... لكن الحقيقة أن هناك سيدة تريد أن تنتقم من هذا المنزل الملعون، معتقدةً أننا من أعوان زوجها الذي ظلمها وتسبّب بموتها. وذلك الصندوق كان وسيلة لها للدخول عبر الأزمنة، للبحث عنه وعن حبيبته التي ساعدته..

وأكملت لورا بعد أن فهمت كل شيء:

ـ وأمي ساعدتها على ذلك، وأعادتها إلى الحياة لتسيطر على المنزل مجدداً. والآن ابنتي قد تصبح قرباناً لهذا المنزل، وستكون سبباً في تدميرنا أيضاً.

توقّف الجميع عن إلقاء التعاويذ، وساد الصمت بينهم. فقالت العجوز:

ـ والآن ما الذي سنفعله؟ لقد جئنا لإكمال التنصيب، وأردنا أن يكون ذلك ملاذاً آمناً لنا

فقالت لها لورين:

ـ لن يكون هذا المنزل هوالمكان المناسب، ما دامت تلك السيدة مصممة على الانتقام.

لكنّ باقي السحرة لم يعجبهم الأمر، فقال أحدهم:

ـ لن نتوقف عن المراسم يا لورين، يجب أن ننهي ما بدأناه.

وقال آخر:

ـ لن أعود إلى زمني أبداً، هل تريدين لهم أن يعلقوني في ساحة السوق بعد أن يُحرقوا جثتي، لأكون عبرة للناس؟

وقالت ساحرة أخرى:

ـ وأنا كذلك، لا أريد أن يتم حرقي وسلخ رأسي.

واستمر السحرة بالاعتراض، ولكنّ لورين قالت لهم:

ـ سنجد حلاً آخر، أما هذا الحل فلن يُغيّر شيئاً، بل سيزيد الأمر

سوءاً، وربما سيتسبّب في قتلنا جميعاً، لأن تلك السيدة غاضبة جداً وتستطيع أن تتحكم في هذا المنزل، لتعكس اللعنة علينا جميعاً.

فجأة اهتزّ المنزل بقوة، فذُعِر الجميع، وقالت العجوز:

ـ لقد جاء الساحر العظيم.. هيّا لنكمل التعويذة.

صرخت لورين مجدداً:

ـ هذا ليس الساحر العظيم الذي تنتظرينه، إنّها السيدة صاحبة المنزل.

فشاهدوا أمامهم دخاناً أسود أحاط بالمنزل حتى أحال كل شيء إلى ظلام، فأمسكت كارن بيد جينتشي الذي قال لها:

ـ يجب أن نخرج من هنا بأي طريقة!

ـ كيف سنخرج؟ وماذا عن أختي والباقين؟

اقتربت لورا من كارن وقالت:

ـ ما يقوله جينتشي صحيح، خُذي هذا الدبوس وابحثي عن صاحبته.. إنها ابنة السيدة صاحبة المنزل، وهي فتاة معاقة اسمها أوديت، كانت تعيش في المنزل قبل أكثر من 100 عام، ووالدتها اسمها ألينور... وأنتَ أيضاً يا جاك، اذهب برفقة كارن.

لكن جاك قال معترضاً:

ـ لن أتركك يا أمي أنتِ وإيمي وحدكما هنا.

أما كارن، فقالت وهي تأخذ الدبوس من يد والدتها:

ـ سأعود يا أمي وأنقذكم.

ـ اذهبي الآن وأنا وجاك سنبقى مع إيمي، وسنحاول أن نخلّصها. ولا تنسَي أن آدم معنا أيضاً، وأنتِ عليكِ أن تُنقذي منزل خالتكِ من غضب تلك السيدة.

خرجت كارن برفقة جينتشي من المنزل، ثم أسرعوا نحو السيارة وابتعدوا عن المنزل، وعندما التفتَ جينتشي ليرى المنزل لاحظ أنه اختفى ولم يعد له أي أثر، لكنه لم يشأ أن يخبر كارن، كيلا تحزن وتطلب منه العودة إليه، بل قال عندما لاحظ حزنها:

ـ لا تقلقي يا عزيزتي، سنبحث عن حلٍّ، ثم نعود لإنقاذهم.

ـ أنا السبب في كل ما حدث، ليتني لم أفكّر بالعودة إلى هذا المنزل! لقد دمّرتْ كل شيء مجدداً وجعلتْكَ تعاني معنا.

أمسك بيدها وقبّلها، ثم قال:

ـ بل أنا سعيد جداً، لأنني معكِ وسأبقى معكِ دائماً.

***

مرت عدة أيام، شعرت كارن خلالها باليأس وهي تبحث عن طريقة للوصول إلى عائلة السيدة ألينور، فسألت عنها المصحات العقلية ودور المسنين، لكنها لم تجد أي سجل أو عنوان يشير إليها. ورغم ذلك لم يتركها جينتشي وظل يساعدها، حتى إنها طلبتْ منه أن يعود إلى موطنه، إلّا أنه رفض وقال:

ـ لن أتركَكِ يا عزيزتي حتى تلتقي بعائلتكِ مجدداً.

بكت كارن وهي تحتضنه، بينما راح هو يُربّت على شعرها بحنان.

ـ ماذا لو لم يعودوا أحياء؟ ما الذي سيحدث لي؟ وكيف سأتصرف؟

ـ لا تقلقي.. أنا هنا إلى جانبكِ، وسنجد عائلة السيدة أليونور بأي طريقة، وحينها سنعرف كيف علينا أن نتصرف.

وفي أحد الأيام وبينما كارن وجينتشي يبحثان في إحدى المكتبات عن أسماء الأشخاص الذين كانوا يعيشون في تلك القرية أشار جينتشي إلى إحدى الصور في كتاب قديم وقال:

ـ انظري يا كارن إلى هذه الصورة، أليس هذا هو منزل خالتكِ؟

ألقت كارن نظرة على الصورة وأدهشها ما شاهدته، فقد كانت هناك سيدة شابة تقف أمام المنزل، وتحمل على يدها طفلة صغيرة تبدو مشوهة ولكنها كانت تبتسم بسعادة، ثم أخذت تقرأ ما هو مكتوب تحت الصورة، فوجدت عنوان المنزل وأسماء أصحابه ومَن قاموا بشرائه ومن سكنوه خلال أكثر من 100 عام.

ـ انظر يا جينتشي، هذا هو اسم الفتاة أوديت ميركور واسم والدتها ووالدها أيضاً.

دوّنت كارن اسم الفتاة وأخذت نسخة من الصورة، وخرجا من المكتبة للبحث عن العنوان. وبعد عدة أيام وعدة محاولات وسؤال الكثيرين من الأشخاص، استطاعت كارن التوصّل إلى عنوان سيدة لها صلة بتلك العائلة، ولكنها كانت تعيش في منطقة بعيدة جداً، فذهبت برفقة جينتشي إلى منزل السيدة التي استقبلتهما برحابة صدر، وأخذت تستمع إليهما بكل هدوء وبكل صبر، فقالت كارن بعد

أن انتهت من حديثها عن المنزل وما حدث:

ـ هذا الدبوس يعود للسيدة أليانور والتي كانت تعيش في ذلك المنزل، وكان لديها ابنة معاقة اسمها أوديت كانت تعيش في مصحة عقلية.

أمسكت السيدة التي كانت تبدو في الستين من عمرها بالدبوس، وقالت وهي تبتسم:

ـ أجل، إنها جدتي. لكنها توفّيت منذ زمن طويل، جدتي لم تكن مجنونة كما ادعى زوج والدتها، بل كانت تعاني من بعض التشوهات، كما أنها كانت صماء. لذا أطاعته والدتها وأخذتها إلى المصحة العقلية بعد أن صدّقت كذبه، ولكن بعد سنوات خرجت جدتي من المصحة وتزوّجت من جدي الذي اعتنى بها وأحبها كثيراً، ثم انتقلا إلى مكان آخر بعيدٍ جداً عن ذلك المنزل. كل هذا أخبرتني به والدتي، وأخبرتني الكثير عن المنزل، لكنني لم أفكّر بزيارته أو برؤيته.

لاحظت كارن الحزن على وجه السيدة وهي تتمعن في الدبوس، وأضافت:

ـ مسكينة هي جدتي!، وكذلك والدتها التي صدّقت ذلك الرجل، الذي لم يكن يهمه سوى المال.

فقالت كارن للسيدة:

ـ ما رأيكِ في أن تعودي معنا إلى ذلك المنزل؟ ربما أستطيع إنقاذ والدتي وإخوتي؟

ترددت السيدة كثيراً، ولكن بعد إلحاح من كارن وحديثها عن

عائلتها، وافقت وقالت:

ـ سأعود من أجلكِ يا بنتي، فأنتِ تكبّدتِ عناء البحث عنّي حتى تعطيني هذا الدبوس.

وعندما أخذهم جينتشي إلى المنزل، اكتشفت كارن أن المنزل لم يعد موجوداً، وكأنّه اختفى ولم يعد له أي أثر، فقالت كارن وهي تبكي:

ـ لقد تأخّرنا كثيراً، يبدو أنني لن ألتقي بعائلتي مجدداً.

لكن السيدة ربتت على كتفها بعطف، وقالت:

ـ بل ستفعلين يا عزيزتي، لكنّ عليكما أن تتركاني هنا وحدي وتعودا إلى منزلكما، وأعدكِ بأنّ كل الأمور ستسير كما تريدين، وسترين والدتك مجدداً...

حدّقت كارن بحيرة إلى السيدة التي كانت تبتسم بلطف، فأضافت السيدة:

ـ أنا أرى المنزل، لذا لا تقلقي!

ـ ولماذا لا نستطيع نحن رؤيته؟

ـ لأنه ميراثي من جدتي، ولا تستطيع خالتكِ أو أي أحد إخفاءه عني، والآن لا تُكثري من الأسئلة.. واذهبي من هنا!

ترددت كارن، ولكنّ جينتشي أمسك بيدها، وقال:

ـ هيا سنعود إلى المنزل، ولنترك السيدة تتصرف حيال منزلها.

ذهبت كارن برفقة جينتشي، الذي كان يطمئنها طوال الطريق بينما كانت تبكي:

ـ لا تقلقي كل شيء سيكون على ما يرام، لقد بدَت تلك السيدة واثقة ممّا تقول.

هزت كارن رأسها موافقة وهي تمسح دموعها:

ـ لكن كيف ستفعل ذلك؟

ـ لا أعلم يا حبيبتي، لنغذ إلى المنزل وننتظر كما قالت.. وهذا ما نستطيع فعله.

عندما وصلت كارن إلى منزلها، لاحظت أن المنزل مضاء وأنّ هناك حركة في داخله، فشعرت بالسعادة وهي تدخل بسرعة، لترى والدتها وجاك يجلسان في الصالون، فقالت وهي ترتمي في أحضانها:

ـ أمي... جاك!! كيف عدتُما إلى المنزل؟

قبّلتها والدتها، ثم شكرت جينتشي على اعتنائه بكارن، وقالت:

ـ بعودة صاحبة الإرث الأصلية إلى منزلها، عاد كل شيء إلى وضعه الطبيعي، وتوقّفت السيدة ألينور عن تنفيذ انتقامها، واختفَت بعد أن هدأت روحها المعذبة.

أخذت كارن تبحث عن إيمي، لكنّها لم تكن موجودة، فقالت لها والدتها:

ـ لقد فضّلت البقاء مع خالتي لورين، لتساعدها على إعادة كل شيء إلى مكانه، وكذلك مساعدة السيدة على استعادة إرثها.

صمتت كارن لبرهة، وقد لاحظت الحزن في وجه والدتها.

ـ ماذا عن آدم؟

اغرورقت عينا لورا بالدموع، وقالت:

ـ يبدو أنني خذلته مجدداً، فبعد أن دخلت تلك السيدة المنزل اختفى كل شيء، وعاد إلى الصندوق الذي أُغلق نهائياً ولم يعد ثقباً زمنياً. وأعتقد أن آدم كان من ضمن محتوياته، أتمنى أن يكون بخير هذه المرة وألّا يكرهني، رغم أنني سأشتاق إليه.

ثم التفتت لورا إلى جينتشي، وقالت له وهي تبتسم بامتنان:

ـ أنتَ رجل شهم يا جينتشي!

شعر جينتشي بالخجل، وهو يقول:

ـ وأنا يُشرّفني ويسعدني أنني تعرفتُ على كارن وعائلتها، ويبدو أنني لن أعود إلى اليابان على الأقل لفترة طويلة.

احمرّ وجه كارن، فطبعَ هو قبلة على وجنتها وقال:

ـ هل تقبلين بي كحبيب لكِ يا كارن؟

ابتسمتْ له بلطف:

ـ بل يسعدني ذلك يا عزيزي، ولن أجد رجلاً بمثل شهامتكَ.

فقال ممازحاً:

ـ حتى هونجو؟

ارتمت بين ذراعيه وقالت:

ـ أنا وجدتُ مَن هو أفضل من هونجو الآن.

قال جاك:

ـ مبارك لكما، والآن سأذهب بدوري كي أبحث عن سيرينا فتاة أحلامي.

فشهقت لورا:

ـ ماذا تقول يا جاك؟

ضحك جاك بشدة وقال:

ـ أنا أمزح معكِ يا أمي، سأذهب إلى الشركة كي أبرر لمديري سبب عدم حضوري إلى العمل عدة أيام، وإلّا سيقوم بفصلي.

حدّقت كارن إلى شعره الذي عاد كما كان، وقالت:

ـ يبدو أن الطحالب البحرية عادت إلى الصندوق أيضاً.

فرك جاك شعره بيده:

ـ الحمد لله، لقد عاد شعري إلى لونه الطبيعي، ولم أعد غريب المظهر الآن، رغم أنني بدأت أتأقلم مع ذلك اللون الغريب، ربما أغيّر لون شعري يوماً ما إلى لون الطحالب، وقد تصبح موضة.

بعد عدة أيام، عادت إيمي إلى المنزل برفقة خالتها لورين، التي قالت بامتنان:

ـ أشكركِ يا لورا لأنك ساعدتِني أنتِ وعائلتك، لن أنسى ما فعلتموه من أجلي أبداً.

فقالت لورا وهي تبتسم:

ـ لكننا أقفلنا البوابة، ولن تستطيعي الآن السرقة وأخذ المقتنيات، أو أن تنتقلي عبر الأزمنة.. فماذا ستفعلين؟

ضحكت لورين ثم قالت، وهي تغمز:

ـ لا تقلقي لديّ وسائلي الأخرى، والآن إلى اللقاء.. وأنا أرحب بكم في منزلي في أي وقت.

فقالت كارن:

ـ لا أعتقد بأنني سأعود إلى ذلك المنزل مجدداً، لكن نحن مَن نرحب بكِ لزيارتنا يا خالتي.

وافقتها لورا:

ـ أجل على الرحب والسعة في أي وقت يا خالتي.

احتضنت إيمي خالتها وودّعتها.

ـ أشكركِ كثيراً يا إيمي، فبفضلك استعدتُ عائلتي أيضاً، والآن إلى اللقاء.

فسألتها لورا:

ـ ولكن أين ستقيمين الآن، بعد أن استعادت تلك السيدة إرثها؟

ابتسمت لورين بمكر وقالت:

ـ لقد وجدتُ مكاناً آخر أكثر روعة وإثارة...

ثم خرجت من منزل لورا وهي تضحك، فقالت كارن:

ـ خالتكِ غريبة الأطوار يا أمي.

فأكملت إيمي:

ـ لكنها طيبة القلب وعفوية، رغم مظهرها الذي يجعلها تبدو قاسية ومتعجرفة.

***

بعد مرور أكثر من عام على تلك المغامرة، لم تستطع لورا نسيان ذلك المنزل وما حدث فيه، وما تزال تشعر بالحزن على رحيل آدم وتشتاق إلى وجوده وحديثه معها، خاصةً بعد زواج كارن من جينتشي وذهابها معه إلى اليابان لتستقر هناك. أما إيمي فقد تخرجت في الجامعة، وقامت بشراء شقة خاصة بها. بينما سافرَ جاك إلى إحدى الدول الأوروبية لحصوله على فرصة وظيفية أفضل، وطلبَ من لورا أن تأتي معه، لكنها رفضت وفضلت البقاء في منزلها وحيدة. وفي أحد الأيام وبينما كانت تتسوق لشراء حاجياتها كالعادة، اقترب منها رجل تعرف ملامحه جيداً وذلك الخدش الطويل، الذي يشق عنقه حتى يصل إلى ما تحت عينه اليسرى مباشرة، ففتحت عينيها بدهشة وقالت وهي تنظر إليه:

ـ آدم!!

ابتسم الرجل بلطف، وانحنى بأدب ليلتقط الأكياس التي سقطت منها.

ـ سيدتي، لقد سقطت منكِ بعض الأشياء من الكيس.

لم تهتم، بل كانت تنظر إلى وجه الرجل وتبتسم، وقد اغرورقت عيناها بالدموع. أما الرجل فقد قال بحيرة:

ـ لماذا تنظرين إليّ بهذه الطريقة يا سيدتي؟ هل هناك خطب ما؟

عادت لورا إلى رشدها وشعرت بالخجل، فأخذت تمسح دموعها وتجمع حاجياتها عن الأرض وهي تعتذر قائلة:

ـ كنتُ أعتقد أنكَ شخص آخر، أنا أعتذر منكَ يا سيدي!

ثم خرجت مسرعة من المتجر، ووقفت أمام سيارتها وأخذت تبكي مجدداً. وبعد لحظات شاهدت الرجل يحمل حقيبتها التي سقطت منها وهو يبتسم:

ـ لقد سقطتْ منكِ هذه أيضاً.

أخذت حقيبتها منه، ثم ابتسمت رغم حزنها وقالت:

ـ شكراً لكَ، وأعتذر مجدداً.

لكنّ الرجل أمسك بيدها وقال:

ـ هل اشتقتِ إليّ إلى هذه الدرجة يا لورا؟

لم تصدق لورا عينيها وهي ترى آدم يقف أمامها ويفتح ذراعيه لها وهو يبتسم، فارتمت بين أحضانه وهي تضحك وتبكي:

ـ نعم، لقد اشتقتُ إليكَ كثيراً، ولكن كيف بقيتَ هنا بعد كل ما حدث؟ خاصة أن لورين أخبرتني أنها أعادت كل شيء إلى مكانه!

ابتسم وهو يمسح دموعها ويقبّلها:

ـ وهل تصدّقين خالتكِ لورين؟ إنّ لها طُرقها لفعل ما تريد وأنا كذلك.

سارا سوياً نحو منزل لورا، التي قالت له ممازحة:

ـ ما رأيكَ في أن أدعوكَ إلى تناول العشاء؟ رغم أن الوسائل المتاحة في منزلي قديمة، إلّا أنني طباخة ماهرة.

ضحك آدم وقال:

ـ أنا أحب كل ما هو قديم وأثري، ويسعدني تناول الطعام مع سيدة جميلة مثلكِ. ولكن ما رأيكِ أن نتناول العشاء في باريس هذه الليلة، على أن نعود غداً صباحاً؟

ـ وكيف سنفعل ذلك؟! فالمسافة بعيدة، وقد تستغرق أكثر من خمس ساعات بالطائرة!

غمزها آدم ثم ابتسمَ، وقال:

ـ سأريكِ بنفسي كيف نفعل ذلك، تعالي معي.

انتهت.